سعد البزاز

الحرب السرية

خفايا الدور الإسرائيلي في حرب الخليج



منشورات مركز العالم الثالث للدراسات والنشر ـ لندن

Third World Centre for Research and Publishing Ltd. - London.

الحرب السرية



CLANDESTINE WARFARE
THE SECRETS OF ISRAEL'S ROLE IN THE GULF WAR
BY: SAAD AL-BAZZAZ

- COPY RIGHTS RESERVED

- FIRST EDITION FEBRUARY 1985
- THIRD WORLD CENTRE-LONDON

حقوق الطبع محفوظة:

- توزيع الطبعة الأولى: المكتبة العالمية ـ بغداد ـ ساحة التحرير
- الطبعة الأولى: شباط (فبراير) ١٩٨٥
- طبع دار آفاق عربية.
- تصميم الغلاف والداخل: ليث متي

- لا يجوز النقل من هذا الكتاب، أو إعادة نشر فصوله، أو ترجمتها، دون الاتفاق مع المؤلف

الفصل الأول

تجسس في الخليج
يسبق الحرب العالمية الثالثة!

تجسس في الخليج
يسبق الحرب العالمية الثالثة!

في حزيران ١٩٨٤ أدلى إسحاق شامير بتصريح أشبه بـاللغز، عندما تحدث عن «نوايا إسرائيل للتدخل في منطقة الخليج إذا تعرضت مصالحها للخطر». هذا التصريح جدد سؤالاً مركباً، قديماً وجديداً، عن طبيعة ونوع المصالح التي نشأت لإسرائيل في هذه المنطقة، إلى الحد الذي تخشى تعرضها للمخاطر. كما جدد سؤالاً تقليدياً يرتبط بالتفسير الشائع للسلوك الإسرائيلي، وهو كيف تربط إسرائيل «الأمن الذاتي» بأحداث وتطورات منطقة لا تعد جزءاً مباشراً من الجبهة العربية التقليدية التي نازعتها عسكرياً في أربعة حروب منذ عام ١٩٤٨؟

فسر رد الفعل السوفيتي الحاد والشديد ضد تصريحات «شامير»، وجود معلومات سرية كانت قد بدأت تتسرب منذ ربيع ١٩٨٤، حول النوايا الإسرائيلية الحقيقية في المياه الدافئة شرقي المتوسط، بعد أن انتقل التحالف الاستراتيجي بين أميركا وإسرائيل إلى مستوى جديد، للاتفاق على صيغ عمل سياسي وعسكري مشترك، في المناطق الساخنة، عدا منطقة الصراع المباشر مع دول المواجهة العربية. . وتسربت معلومات محددة ــ لم تتردد إسرائيل في ترويجها ــ عن «توصل إدارة الرئيس الأميركي رونالد ريغان

وحكومة إسحاق شامير إلى اتفاق شامل بينهما، لتبادل التسهيلات العسكرية، إذا قرر أحد الطرفين التدخل في منطقة الخليج».

كانت العادة في السابق أن يأخذ الأميركان المبادرة في الكشف عن أسرار التحالفات والاتفاقات الغامضة. ولكن إسرائيل هي التي تبرعت هذه المرة للقيام بالدور، بعد أن بلغ الغرور والاسترخاء والشعور بزوال المخاطر ـ ولو مؤقتاً ـ حداً يجعل من الإعلان عن النوايا أسلوباً في التهديد والقمع النفسي الاستباقي للأعمال الحقيقية، بحيث يحل بديلاً في بعض الأحيان، عن القيام بعمليات مكلفة غير معروفة النتائج، لذلك تقدم صحفي إسرائيلي، تسربت إليه المعلومات، ليعلن بنفسه عن مفردات الاتفاق الإسرائيلي ـ الأميركي، حول الخليج، عندما حصل «وولف ليبزر» على معلومات تفصيلية من الأجهزة السرية الإسرائيلية، حولها إلى تقرير مثير نشره في صحيفة «الواشنطن بوست»، حول تفاصيل التحالف الاستراتيجي بين إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية، وكان التصور العام السائد عند الإعلان الأولي عن ذلك الاتفاق أنه ينصب على التسليح والدعم المالي والسياسي من قبل أميركا، لمواجهة مهمات ومتطلبات الفعاليات العسكرية والسياسية الإسرائيلية على خطوط المواجهة التقليدية، دون أن يخطر ببال كثير من العرب، أن الإدارتين الأميركية والإسرائيلية، قد اتفقتا على التناوب في أداء الأدوار، حول كل ما يخص حرب الخليج والتطورات اللاحقة المحتملة، والخطير في هذا الكلام، إن الاتفاق قد صيغ قبل أن تتصاعد حرب الناقلات في الخليج ويشتد الحصار العراقي على جزيرة «خرج»، وهو أمر يفسر جانباً من حملات التخويف الغربية ضد أقطار الخليج التي بدأت برحلة المبعوث

الأميركي «رامسفيلد»، المشهورة، إلى الخليج، ملوحاً بالخطر، ومطالباً بتسهيلات للوجود العسكري الأميركي في المنطقة.

عودة إلى «وولف ليبرز»، نجد أن تقريره انطوى على ما يلي:

* تضع إسرائيل إمكاناتها تحت الأمرة الأميركية، إذا ما احتاجت الإدارة العسكرية الأميركية إلى ذلك.
* اعتبار إسرائيل قاعدة انطلاق لأية عملية أميركية للتواجد في الخليج.
* فتح الباب أمام تدخل إسرائيلي مباشر في المنطقة.

وأي من الاحتمالات الثلاثة، هو مشروع عدواني ضد الأرض العربية، ضد سيادة الأقطار العربية في أقاليمها البرية والبحرية، وأي منها، هذه الخيارات، هو مقدمة لإخضاع العرب في الخليج. عسكرياً. للإدارة الأميركية والإسرائيلية، في نقاط التقاء دوافعها وأهدافها حول:

* النفط.
* صلة هذه الأقطار بالصراع مع «إسرائيل».
* مستقبل القوى العسكرية العربية التي تكونت وتعاظمت وبخاصة في العراق، ثم السعودية.

إن كل ما يقال حول استنزاف العراق من خلال إطالة أمد الحرب، وتعطيل دوره الطبيعي في الحياة العربية، وفي حيز الصراع المركزي مع إسرائيل، هو كلام صحيح، ولكنه عام. فلم تعد وقائع الأحداث تقبل بقراءة خارجية تمس الأبيض والأسود. فالقراءة الوحيدة

الممكنة هي التوغل في هذا اللون الرمادي الذي يوحي بوجود سيناريوهات تطبخ منذ سنوات في إسرائيل وأميركا وعواصم غربية أخرى، أبرزها: لندن، حول مستقبل المنطقة. ولكن هذه السيناريوهات لم تتحول إلى وقائع كانت مفترضة في الخطوط البيانية لأحداث المنطقة. وهي طبخات يراد بها شل النفط العربي، كسلعة استراتيجية، وكسلاح سياسي، وكعامل للتطور العلمي والاقتصادي، ومنع قيام الجبهة الشرقية، بإخراج العراق منها، وإشغاله بحرب على حدوده الشرقية، ثم خلق مبررات الدخول العسكري والسياسي المباشر في المنطقة لتعود إلى أوضاع كانت قائمة قبل السبعينات على الأقل.

في كل الأحوال ينبغي لهذا الهاجس.. هاجس وقوع المفاجأة البديلة المعدة في الضد من العراق وأقطار الخليج، أن يبقى متقداً وبخاصة في الفترات التي تشاع خلالها معالم الاسترخاء، وتوحي بالاطمئنان، ففي الأحوال الصعبة التي تواجه الأعداء، يفترض أن نتوقع استخداماً شريراً للطلقة الأخيرة عندما يقع أصحابها في اليأس.

ماذا تريد إسرائيل في الخليج؟ وكيف تحركت في السنوات الأربع التي دارت خلالها الحرب، وسبقت الكشف المقصود لاتفاقها مع الإدارة الأميركية على مخطط ردعي، له ذراع عسكرية في التنفيذ، على ساحة الخليج، بعدما استدارت نتائج الحرب فيها بعكس «السيناريو» الذي أعد على نار هادئة..؟

● ● ●

يرى مؤلف كتاب «الحرب العالمية الثالثة» الجنرال جون هاكيت «Sir. Jhon Hackett» ومن اشترك معه في تأليفه، وكتاب الروايات

والأفلام التي تحترف «تخيل» الحرب القادمة، كما تذهب تنبوءات الفلكي الشهير «نوسترا داموس» «Nostrandamus» إلى أن الشرارة الأولى في الحرب ستنطلق من الخليج، وأن تدمير آبار النفط فيها سيكون في أولويات العمليات الخرافية التي تبتلع العالم. ومثل هذه النهايات السينمائية التي توضع لمستقبل البشرية، هي من الصياغات المركبة فنياً ونفسياً واستخبارياً، للوصول إلى أهداف مركبة، فيها التدمير والتخويف المسبق، وانتظار ردود الأفعال، وفتح الباب أمام الاحتمال نفسه، ثم تضليل القوة العظمى المنافسة. ويفترض هؤلاء «الخياليون» دائمًا وجود أدوار أساسية في الأحداث لإسرائيل، كحليف محلي للولايات المتحدة، ورأس جسر، وقاعدة انطلاق، ومصدر معلومات. والعكس قائم بأن يكون للولد المدلل الطائش حق استخدام التسهيلات الأميركية لأداء أدواره الإقليمية.. وعلى هذا تجد إسرائيل لنفسها الحق في أن تدور حول الفتيل سريع الاشتعال المخبأ في منطقة الخليج. لأن الشعور السلطوي لممارسة دور الرقيب والقوة المحلية المعنية بأحداث المنطقة الساخنة يسيطر على عقلية معظم القادة السياسيين والعسكريين، من تيارات اليمين والوسط واليمين الديني المتطرف وحزب العمل والمجموعات اليسارية المتفرقة، مع اختلافات في صيغ وأساليب ووتائر التعبير عن هذا الدور.. ومن المهم هنا أن نتتبع العمليات التمهيدية، والطريقة التي تجمع بها إسرائيل المعلومات عن منطقة الخليج. وبهذا التوقف نتمكن من معرفة دوافع الإعلان الرسمي الصريح عن «الدور الإسرائيلي»، «والمصالح الإسرائيلية» في هذه المنطقة، والذي تتحكم فيه الرغبة لتهشيم خط الدفاع الثاني، الذي يشكل الامتداد السوقي العربي عسكرياً واقتصادياً، وإبقاء خطوط التماس العربي ـ الإسرائيلي عارية ومكشوفة ووحيدة.

حين انفجرت الحرب العراقية ـ الإيرانية قال الجنرال «ساغي» من الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية: إن الحرب كانت مفاجأة. وعلينا الآن أن نتدخل حتى لا تقع مفاجآت في تطوراتها تكون ضد مصالحنا. ومنذ ذلك الحين بدأ توريد السلاح لسد الحاجات الإيرانية إلى المعدات والذخائر وقطع الغيار. بينما شرح «شارون» الإطار السياسي لما كان يعنيه «ساغي» حين قال:

«إن أمامنا ثلاثة خطوط للعمل، يمثل الأول دول المواجهة والفلسطينيين. ويمثل الخط الثاني العراق والسعودية ودول الخليج، ويصل الخط الثالث بالامتداد بالنفوذ إلى آسيا، وصولاً إلى مياه المحيط الهندي». ويشرح شارون خطورة الخط الثاني بقوله: «إن علينا أن نلاحق بدقة ما يقع في العراق والخليج، حتى لا تجري أمور من وراء ظهورنا».

كانت إسرائيل إلى وقت قريب، تعيش نقصاً في المعلومات والخبرات عند معالجة الموضوعات الخليجية، لكن الأمر اختلف منذ بدء الحرب، عندما عملت على أن تجد لها موضع قدم في منطقة كانت شبه مقفلة عليها. وهكذا بدأ تحرك محموم لا تعادل نتائجه حتى الآن شيئاً من التباهي والغرور الذي يظهر في تصريحات المسؤولين الإسرائيليين. فما زال أمامهم الكثير قبل أن يردموا الهوة بين قدراتهم، وكلامهم.

قامت بعثة سرية إسرائيلية بزيارة إلى كل من «طوكيو» «وسيئول» «ومانيلا» نهاية عام ١٩٨٠، تحت غطاء الاتصال بالشركات وكبريات المؤسسات التي تدير أعمالاً إنشائية في بلدان العالم الثالث، للاطلاع على إمكاناتها، والتباحث في إقامة مشاريع مشتركة، وتكونت تلك البعثة من أشخاص قدموا أنفسهم على أنهم «رجال أعمال»، وعملوا على إخفاء

الهدف الحقيقي لجولتهم الآسيوية تلك. كانت مهمتهم التعرف على طبيعة أعمال تلك المؤسسات في أقطار الخليج العربي، «وإقامة علاقات ودية» مع مديريها وشخصياتها المتنفذة، والتعرف على طبيعة ظروف العمال الذين يعملون ضمن مشاريع تلك المؤسسات في أقطار الخليج، والاتصال بشخصيات من جنسيات مختلفة مقيمة في تلك العواصم، وترتبط بعلاقات مع إسرائيل، بهدف دفعها للاحتكاك بالشركات ووكالات تشغيل العمال في منطقة الخليج، والتعرف بأوسع ما أمكن على العمال أنفسهم، ومعرفة مدى استعدادهم لنقل نوع من المعلومات الخاصة عن المنطقة، مقابل مكافآت مالية، حتى ولو كلف الأمر إخفاء اسم «إسرائيل»، والإيحاء لهم بأن المعلومات تخدم مؤسسات تجارية أو علمية محايدة.

منذ بدء تلك الجولة الاستطلاعية الإسرائيلية، ثم ما رافقها من نشاط فعلي للاتصال بالعمالة الآسيوية المقيمة في الخليج، جرى تجسس على مختلف مرافق الحياة العامة، وبخاصة رصد المؤسسات الاقتصادية والمنشآت النفطية والعسكرية. ولم يكن تشغيل «مصادر آسيوية» في تلك العملية مهمة سهلة، فقد واجهت إسرائيل خلاصة مشكلتها «الآسيوية» المزمنة. فاسم إسرائيل عند الغالبية العظمى من الآسيويين، يرتبط بكيان توسعي يعمل ضد مصالح الشعوب المقهورة، ويعيد إلى الأذهان مواقف الرفض الجماعي التقليدية ضد «إسرائيل» منذ إعلان كيانها حين وقفت الدول الآسيوية في الضد من الموقف الصهيوني الذي طرحته الوكالة اليهودية الدولية في مايس ١٩٤٧ فرفضت «الهند وأفغانستان وتركيا» المشروع الصهيوني وتبنت الموقف العربي، وفي تشرين من العام نفسه عملت جبهة عربية ـ آسيوية معها اليونان وكوبا، على مقاومة

المشروع الصهيوني الذي تؤيده أوروبا والقوى العظمى. في ذلك الحين عملت إسرائيل على إذابة «العقدة الآسيوية» بالبحث عن «هوية آسيوية» لنفسها، وتشغيل اليهود المنحدرين من أصل آسيوي «السفارديم»، لإحياء بعض صلاتهم القديمة مع أوطانهم السابقة في الشرق الأدنى.. لكن التأييد الآسيوي للعرب ظل مستمراً، حتى نشأت العلاقات الإيرانية ــ الإسرائيلية في حيز التقاء المصالح المشتركة للطرفين ضد العرب، وبقيت المشاعر المعادية للصهيونية عامة حتى في بعض الدول التي أقامت علاقات دبلوماسية مع «إسرائيل» وكما يصف «جـ. هـ. جانس» في كتابه المشهور عن «الصهيونية وإسرائيل وآسيا»: إن «إسرائيل» تسير في خط يتعارض مع شعور قومي أفرو ــ آسيوي أساسي وهذا الشعور الباطني هو الذي يحمل بلداناً مثل بورما واليابان وحتى تايلاند على الاشمئزاز من كلمة إسرائيل بسبب استعلائها وغطرستها».. وإلى جانب ذلك الشعور الباطني العفوي ظلت العوامل الدينية والاقتصادية والسياسية تحد من الدور «الإسرائيلي» وتحجمه في هذه القارة رغم كل ما يبذلوه من جهود للتغلغل فيها حتى نهاية السبعينات وظلت العلاقات التي قامت على أساس تقديم المشورة في مجالات التدريب والعلاقات التجارية محصورة بكل من «بورما والنيبال وسنغافورة» وبصورة واسعة غير معلنة مع «إيران».

تحت سقف هذه المناخات السلبية التي تقابل الإسرائيليين، وما يحيط بهم من تحفظ وتردد وشعور بالاشمئزاز، فإن الهدف الإسرائيلي الذي نشأ بعد اندلاع الحرب، كان العثور على مصادر معلومات في أوساط العمالة الآسيوية الكثيفة في الخليج، بعد أن كانت أفضل المعلومات الإسرائيلية عن المنطقة قد وصلت عبر ثلاث قنوات من قبل،

هي: علاقات التنسيق بين الموساد والسافاك، والخبراء الأوروبيون العاملون في المنطقة، وبخاصة عبر شركة النفط البريطانية «برتيش بتروليوم»، وعلاقات التنسيق مع المخابرات الأميركية.

لكن إسرائيل وجدت في الحشد الهائل من ألوف العمال الآسيويين مناخاً خصباً لتحريك عدد منهم في خدمة أهدافها. ولذلك تقرر تأسيس محطات مؤقتة للاتصال بالعمال عند عودتهم في إجازاتهم السنوية لاستلام المعلومات منهم، وإعطائهم مخططاً لأولويات أهدافهم في المنطقة. وقد أضيف امتياز جديد لصالح هذا المخطط عند مباشرة ضباط الموساد أعمالاً فعلية لهم في «سري لانكا»، لتدريب أجهزتها السرية، وهو أمر أعطى إسرائيل أندر فرصها في تنفيذ برنامجها للتغلغل عبر العمالة الآسيوية إلى الخليج.

وجرت بالفعل اتصالات مع وكالات تشغيل العمال السريلانكيين في الخليج، بحثاً عن العناصر المؤهلة لأدوار التجسس تحت تأثير الإغراءات المادية. لكن دولتين عربيتين على الأقل، أقدمتا على إجراءات احترازية هما العراق، والسعودية، وقررتا تخفيض تمثيلها الدبلوماسي في «كولومبو» ووضع ضوابط لتشغيل العمالة السريلانكية.

اعتمدت الموساد في «سري لانكا» على ولاء ضابط الشرطة «سيريل هيراث»، الذي تولى مسؤولية «مكتب المخابرات القومي»، وأصبحت استخبارات الشرطة والجيش والبحرية والطيران والأمن تحت أمرته. إلى جانب ثلاثة مليارات روبية وضعت تحت يديه عام ١٩٨٤، بما يعادل ثلاثة أضعاف ما كانت عليه عام ١٩٧٧ ويعود الاطمئنان الإسرائيلي إلى هذا الضابط منذ تلقيه التدريب على أيدي أعضاء الموساد

في إسرائيل، حين اعتبره مدربوه أفضل الأصدقاء الذين يعتمد عليهم في بلاده الآسيوية التي تواجه مشاكل تثيرها طائفة «التاميل».

القناة الأخرى التي جرى التحرك عليها كانت قناة إيرانية، فإسرائيل التي طورت علاقات التسليح السرية مع إيران لم تكن تطمح بالوصول إلى علاقة تعاون مباشرة بين جهازي المخابرات الإسرائيلية «الموساد» والإيرانية «الساواما». ولكنها كانت تطمح لمعرفة ما يتوفر من معلومات لدى الأجهزة السرية الإيرانية عن الخليج، بعد أن تكاثرت هذه الأجهزة وتكاثرت مهماتها هناك. لذلك جرى التوجه إلى ضباط السافاك الذين سبق أن تدربوا في إسرائيل، وعملوا في مهمات التنسيق الأمني مع الموساد، لتشجيع من بقي منهم خارج «الساواما» والأجهزة الأمنية الإيرانية، على العودة إلى هذه الأجهزة والعمل في المديريات العشرة التي تنظم عمل «الساواما»، مستفيدين من الباب المفتوح الذي تركه لهم الجنرال حسين فردوست رئيس الجهاز ومعاونه اللذان سبق لهما العمل في خدمة الجهاز السابق خلال عهد الشاه. وبهذه الطريقة انتقلت معلومات كثيرة توفرت لضباط المخابرات الإيرانية عن الخليج إلى إسرائيل، عبر الاتصال الفردي غير الرسمي الذي جرى معهم بعد سقوط الشاه، وبشكل أكثر كثافة بعد اندلاع الحرب.

في هذه الأثناء ركزت إسرائيل كثيراً على دور الضباط القدامى من جهاز السافاك، الذين أسهموا في تأسيس جهاز سري جديد لنظام الخميني، واعتمدت عليهم لتنشيط مصادر المعلومات الإيرانية في الخليج وتوجيهها بما يخدم «أهداف إسرائيلية» تتركز على جمع المعلومات عن حجم التسلح ونوع الأسلحة الجديدة ورصد الشخصيات البارزة في المجتمع والصراعات الاجتماعية والفكرية السائدة، وبتلك الطريقة

أصبح بالإمكان تشغيل الإيرانيين المقيمين في أقطار الخليج كخلايا لجمع المعلومات بموجب الإرشاد الذهبي القائل: أرصدوا كل شيء، لا توجد معلومة غير نافعة. وجرى تدريب أولي تم حيث يقيمون، على مهمة بسيطة وكبيرة تجري تحت أغطية القانون، بما لا يعرضهم للملاحقة أو التصادم الظاهر مع القوانين والأنظمة، فليس المهم أن تكون تحت وسادة كل إيراني بندقية. ولكن المهم أن تكون هناك ورقة، وقلم، لا يمل من تدوين كل شيء. وأي شيء. وستستمر هذه الحالة التي تتسرب من خلالها المعلومات إلى إسرائيل، حتى تعاد قنوات التنسيق الرسمي مع إيران. وهو الأمر الذي فسر عدم تردد بعض الإيرانيين الذين أدعوا في البداية معاداة السلطة الإيرانية الجديدة في تقديم المعلومات حول منطقة الخليج إلى ضباط السافاك القدامى. ضباط الساواما الجدد.

وترافقت تلك الحمى في جمع المعلومات مع مخططات وبدائل مخططات لمهاجمة الأهداف العربية الحيوية في الخليج، وإدامة حالة الشعور بالقلق بين المطرقة والسندان، وبين فكي الأطماع الإيرانية والإسرائيلية.. وبينما يجري الحديث عن سيناريو لمهاجمة قاعدة «تبوك» وميناء «ينبع» في السعودية، وآبار النفط في الكويت، عاد الحديث مجدداً عن تطويق عرب المشرق والجزيرة بين البحار. تغلغل إسرائيلي نحو البحر الأحمر بهدف التمركز في جزره الصغيرة، وتسيير دوريات الردع في مساراته. وتحرش إيراني مباشر في مياه الخليج.. بحيث يحاصر النفط العربي. نفسياً ودعائياً. ثم اقتصادياً وعسكرياً.

تمكنت المخابرات الإسرائيلية في هذه الأثناء، من نقل أجهزة إرسال صغيرة متطورة إلى وكلائها، الذين نجحت في تجنيدهم في دول الخليج. وقد جرى ذلك بسهولة شديدة نظراً لصغر الأجهزة التي تشبه

أجهزة الراديو الترانسستور الصغير، وسهولة تشغيلها، والانتقال بها من مكان إلى آخر، دون أن تتعرض للكشف. وتركزت جهود وكلائها على نقل المعلومات العسكرية عن دول الخليج والعراق، كما تم تزويد الوكلاء التايلانديين والفليبينيين بالحبر السري، وتدريبهم على استعماله بعد لقاءات مباشرة جرت معهم في «مانيلا» و «بانكوك». وادارت العملية السفارة الإسرائيلية في العاصمة التايلاندية «بانكوك».. وقد تلقت «الموساد» ضربة موجعة لخططها، عند صدور قرار حكم بإعدام أحد عملائها التايلانديين العاملين في العراق، في صيف ١٩٨٤ وأحدث ذلك القرار هزة قوية لدى وكلائها، الذين تصوروا فترة طويلة أنهم في أمان مضمون، وأن العقوبات التي يمكن أن تلحق بهم، لن تكون بمثل هذه الشدة، وأن رجاءات حكوماتهم، قد تنقذهم في اللحظة الأخيرة. لكن ذلك كله لم يحدث، بعد أن وقع وكيل واحد لم يعلن عنه رسمياً، في الفخ الذي نصب له منذ اليوم الأول لبدء نشاطه التجسسي!

• • •

رافقت ذلك كله، عملية تصوير ومسح، لمياه وجزر وسواحل الخليج، أجرتها لحساب إسرائيل سفن تحمل أعلام دول مختلفة منها ليبيريا وبنما.. وكانت إحدى المهمات الاستكشافية، معرفة وتحديد المناطق التي يمكن إلغامها، وزرعها بمتفجرات تشغل بالسيطرة بعيدة المدى، بواسطة أجهزة الراديو، والريموت كونترول. بما يعطي انطباعاً قاطعاً إن هذه العمليات، إنما تسبق معركة كبرى تخطط إسرائيل لخوضها في مياه الخليج العربي وعلى سواحله يوماً من الأيام.. وهو يوم يسبق الحرب العالمية الثالثة، أو يكون أحد أيامها المبكرة، كما يتكرر في كوابيس الكتاب الأميركان!

الفصل الثاني

مؤامرة الربيع!

مؤامرة الربيع!

بدأ التخطيط لمؤامرة الربيع منذ كانون الثاني «يناير ١٩٨٢»، عندما انشغلت طهران وتل أبيب بالبحث عن حلول للخروج من الركود السياسي والعسكري في حرب الخليج، وانتزاع المكاسب التي حصل عليها العراق، بعد أن كان قد مضى على الحرب ستة عشر شهراً. وأضيف إلى مؤامرة الربيع عامل جديد لم يكن قد دخل بطريقة مؤثرة في الحرب. هو العامل الاقتصادي إلى جانب العوامل العسكرية والسياسية والنفسية.

كانت إيران قد واجهت طوال عام ١٩٨١ هزائم متلاحقة منذ معركة الخفاجية الأولى، قبل عام بالضبط، عندما حلت واقعة لا يجدر أن توصف إلا بالكارثة. وانتهاء بالمعارك الطاحنة التي دارت حول بلدة البسيتين في إقليم «عربستان».. وما شهدته قمة السلطة في إيران من تفسخ بعد هروب أول رئيس للجمهورية (أبو الحسن بن صدر) إلى فرنسا، ومقتل رئيس الحزب الجمهوري الإسلامي (الدكتور بهشتي) وعدد كبير من الوزراء والقياديين، في حادثين مثيرين أتيا على رئيس الحزب الحاكم ورئيس الجمهورية محمد علي رجائي ورئيس الوزراء جواد باهونار، ثم مصرع وزير الدفاع ورئيس الأركان في حادث تحطم طائرتها

في الجو. وهي أحداث أكد ترابطها ووقوعها في فترات متقاربة، أنها كانت إفرازاً لصراع عنيف على السلطة، يدور بين القيادات الحاكمة في إيران.

كان على الذين قفزوا إلى أعلى الهرم في تكوين السلطة، أن يقوموا بشيء ما ليبرروا على الأقل ما شهدته البلاد من صراع دامٍ أتى بهم إلى قمة الحكم. وكان السلاح الإسرائيلي في ذلك الوقت قد بدأ يتدفق ليسد الاحتياجات الأساسية في أسلحة الطيران والمشاة والمدفعية والدروع.

وبينما كانت خطة غزو لبنان جاهزة على طاولة أريبل شارون وزير الدفاع في حكومة مناحيم بيغن.. انتقل وفد من المستشارين الإسرائيليين إلى طهران بجوازات سفر أوروبية، تحمل أسماء رجال أعمال يمثلون شركات تهتم بتصدير الأغذية واللحوم والمعدات الالكترونية. ووصلت البعثة أوائل كانون الثاني «يناير» ١٩٨٢ لتحل في فندق «شيراتون» طهران.. كانت مهمتها: تقديم المشورة لإخراج القيادات العسكرية من مأزق الركود ومعاينة الأوضاع على الطبيعة ومعرفة نوع وحجم الاحتياجات الفعلية المطلوب إرسالها بصورة عاجلة إلى إيران.. وقد وجد كل من العقيد المتقاعد ياكوب، والعقيد المتقاعد فري «وهو يهودي إيراني»، والضابط السابق في الموساد ماكس شولمان، إن على رأس الطلبات الإيرانية شحن كمية إضافية من إطارات طائرات «ف ٤» و«ف ٥» مع قطع غيار ومعدات تشويش للميدان وقطع غيار للدبابة الأميركية «م ٦٠».

بدأ المتقاعدون الإسرائيليون اجتماعاتهم في يوم ماطر حين جاءهم ضابط من رئاسة الأركان لينطلق بهم من الفندق إلى جناح أنيق مجاور

لبناية رئاسة الأركان، حيث اجتمعوا للمرة الأولى مع «عميد» من رئاسة الأركان واثنين من قيادة الحرس. بينما تخلف العقيد ياكوب في اليوم الثاني عن الالتحاق بهم وانتظر قدوم شخص آخر إليه أخذه من الفندق وتوجها معاً إلى فيلا كبيرة تقع في ضواحي طهران في اتجاه الطريق المؤدية إلى مدينة «كرج». وكان ذلك الشخص مساعداً لمسؤول لجنة المشتريات في وزارة الدفاع الذي سبق أن التقاه في لندن من قبل.

أمضى المستشارون الإسرائيليون معظم أماسيهم في دعوات عشاء أقامها دبلوماسيون غربيون، وتجار إيرانيون يهود، وتمتعوا بالكثير من التسهيلات إلا مرة واحدة عندما اعتذر أحد مساعدي رئيس الأركان عن تأمين زيارة لياكوب ومرافقيه إلى أحد المعسكرات القريبة من الجبهة ووعدوه بتقديم تقرير مفصل من جانبهم عن الاحتياجات ومشكلات التعبئة..

ويرر الضابط الإيراني موقفه بالقول: لا نريدكم أن تذهبوا إلى منطقة قريبة من الجبهة مع العراقيين.. فليس هناك مكان آمن..

بعد أحد عشر يوماً من إقامتهم ومعاينة الأوضاع السياسية والعسكرية نقلوا إلى تل أبيب خلاصة اتصالاتهم وملاحظاتهم «هناك نقص في كفاءة إدارة العمليات الاستراتيجية، وعجز في التوفيق بين العمل العسكري ومكملاته السياسية والإعلامية».

أبرقوا بهذا المعنى عبر سفارة دولة صديقة لإسرائيل في طهران موضحين: «أنهم هنا مصابون بالعجز والتردد ويحتاجون إلى تشجيع علني»، واقترحوا «وضع خطة تحرك إعلامي وحملة ضد العراق قبل الشروع بعملية عسكرية كبيرة في قاطع الشوش»، وأعادوا التأكيد في

رسالتهم «إن أصدقاءنا الإيرانيين يعانون من نقص في الأفكار».

في تل أبيب تحولت آراء وملاحظات مجموعة «الخبراء» إلى موضوع انشغل به اختصاصيو الحرب النفسية، وجرت مشاورات مع أجهزة عديدة والتباحث مع دبلوماسيين يعملون في أوروبا، واتخذ قرار يقضي بـ: «تسريب معلومات مشجعة لإيران / ومعلومات مشوشة عن الوضع العسكري السياسي / الإيحاء بتراجع عسكري عراقي / الاتصال بالأصدقاء في وسائل الإعلام لمنع ظهور أي أخبار لصالح العراق..»

منتصف شباط «فبراير» ١٩٨٢ استلم موظفو الجفرة في عدة سفارات إسرائيلية بأوروبا، تعليمات محددة لبدء الحملة.. حملوها إلى الملحقين الصحفيين.. وهكذا بدأت.

● ● ●

صممت مؤامرة الربيع على أساس انتزاع عناصر التفوق العراقي التي استمرت رغم مرور عشرين شهراً على الحرب.. وذلك بمنع استمرار التنمية الاقتصادية، وفرض حصار اقتصادي، وخفض كمية النفط المصدرة، ثم تطوير هذا الموقف بالتأثير المباشر على الوضع المعاشي للعراقيين، الذين تمكنوا في الأشهر العشرين الأولى من الحرب، من الاستمرار في امتلاك «الزبدة والسلاح» معاً.. على أساس أن حرمان العراقي من خبزه اليومي، سيدفعه إلى موقف جديد من الدولة، اعتماداً على نظرية قديمة شائعة حول المزاج اليومي العراقي، وهو أمر يكاد يتغير بالكامل مقارنة بما كان عليه قبل سنوات الحرب.. كان الخلل في هذه النظرية أن تجويع العراقيين بفرض عوامل الحصار الاقتصادي الخارجي، ومن قبل جهات خارجية، دفعهم إلى مزيد من العناد، وأشعرهم أن المواجهة يمكن أن تدخل كل بيت، وتمس كل معدة.

العنصر الثاني الذي جرى التخطيط لانتزاعه من العراق هو الدور السياسي المتطور في المحيط الدولي وبخاصة محيط دول العالم الثالث ومجموعة دول عدم الانحياز بعد أن تهيأ العراق لاستضافة القمة السابعة لدول عدم الانحياز ببغداد، وأعد مدينة جميلة لاستقبال زعماء العالم.. واستندت النظرية الإسرائيلية إلى أن ترؤس العراق للمجموعة الدولية لعدم انحياز سيعطيه وزناً إضافياً أمام أعدائه. لذلك كان لا بد من الاستعجال لتغيير الخارطة العسكرية وإشعار الدول الأخرى بعدم أمان الاجتماع ببغداد كما شرح ذلك يوسف عازار آخر رئيس لمكتب العلاقات الإسرائيلية في طهران، وهو يقيّم التطورات المنتظرة في حرب الخليج أمام موظفي القسم الفارسي في الإذاعة الإسرائيلية أوائل ١٩٨٢ وهو الأمر الذي ركز عليه القسم الفارسي في إذاعة إسرائيل آنذاك. وعبر ذلك عن التفسير الإيراني الرسمي والفعلي في تلك المرحلة، بعدما تلقت الزعامات الإيرانية نصائح عديدة بعمل أي شيء ضد انعقاد المؤتمر ببغداد، حتى لو كلف الأمر القيام بهجوم جوي انتحاري ضد مؤسسات المؤتمر قبل انعقاده. لو كان ذلك ممكناً..

● ● ●

رفع الملحق الصحافي الإسرائيلي بلندن «ياكوف كينان» سماعة الهاتف من غرفته في بناية السفارة «رقم ٢ بالاس كرين» في منطقة «كينزكتن» في القسم الثامن من غرب لندن، حيث تعيش جالية إيرانية كبيرة، وعلى بعد أقل من نصف ميل من بناية السفارة الإيرانية، وتحدث طوال يوم كامل مع «مراسلين دبلوماسيين» يعملون في الصحف البريطانية.

وبينما كانوا يسألون حول الانتخابات ومستقبل كتلة «الليكود» والهجمات الفدائية شمال الأرض المحتلة، كان «كينان» يحول النقاش

معهم إلى الجبهة الأخرى المشتعلة في الشرق الأوسط. جبهة الحرب العراقية الإيرانية، متحدثاً عن تطورات ستقع في تلك الجبهة موحياً بوجود معلومات مهمة لدى سفارته حول هذه الحرب يمكن تقديمها للصحفيين فيثير بذلك فضولهم وحب الاطلاع الطافح عندهم، واتفق مع بعضهم على أن يبعث معلوماته بيد اثنين من العاملين معه في السفارة. وبالفعل انطلق موظفان إسرائيليان في اليوم التالي إلى مكاتب عدد من الصحف.

في الزيارة الأولى وضعا على طاولة صحفي يعمل مراسلاً دبلوماسياً لإحدى أكبر الصحف تقريراً ما كاد يتمعن فيه حتى سحب قلمه وأضاف عبارات إلى التقرير متمتماً معها أنه حصل على التقرير من مصادر دبلوماسية إسرائيلية، فلم يتمالك أحد الإسرائيليين نفسه وهوى بيده على الورقة يسحبها من أمامه بينما ابتسم الثاني قائلاً: إننا نقدم لك خدمة ونتبرع بالمعلومات فهل تجازينا بهذه الطريقة.. عندها اعتذر الصحفي عن نشر الموضوع ما لم يذكر «المصدر الإسرائيلي» الذي زوده به. وحدث الأمر نفسه مع صحفي آخر بطريقة مختلفة، فقد طلب إليهما أن يتركا التقرير أمامه ليدرسه، وما أن غادرا مكتب الصحيفة حتى رفع سماعة الهاتف على «ياكوف كينان» الملحق الصحفي الإسرائيلي يعتذر بأسلوب ناعم بعد أن أدرك أن هناك حملة إعلامية تنظمها إسرائيل حرص أن لا يكون حصان طروادة فيها ليستخدم ضد أحد طرفي النزاع في حرب الخليج.

عندما عاد موظفا السفارة إلى البناية «رقم ٢ بالاس كرين» عاجزين عن تمرير التقرير دون أن يشار إلى المصدر الإسرائيلي الذي يقف وراءه، وبعد أن استمع إليهما الملحق الصحفي شعر أنه لا بد من

الاعتماد في مثل هذه الحملات على صحفيين سبق أن تعاونوا معه فطلب من عاملة البدالة رقم التلفون في صحيفة «الديلي ميل» اليمينية واسعة الانتشار وأدار القرص بنفسه ليتحدث مع المراسل الدبلوماسي للصحيفة.

بعد ساعة واحدة كان «جون ديكي» مراسل «الديلي ميل» الدبلوماسي يتناول القهوة في بناية السفارة الإسرائيلية.. وبدا على الدبلوماسي الإسرائيلي أنه واثق من «تعاون» ديكي معه، فليست هذه هي المرة الأولى، وهو يعرف مدى كراهيته للعرب واستعداده لخدمة ومساعدة أصدقائه الإسرائيليين.

كان «ديكي» متلهفاً لمعرفة الموضوع الجديد الذي خبأه له أصدقاؤه وسأل: «الفلسطينيون مرة أخرى» فأجاب «ياكوف»: «لا إنهم العراقيون هذه المرة»، وناوله التقرير مطبوعاً على آلة كاتبة.. كان «ديكي» معروفاً بدهائه الاجتماعي فلم يخف تلك اللحظة ملامح التعجب والانبهار المفتعل وهو يقرأ في التقرير حتى إذا انتهى منه. شرح له الدبلوماسي الإسرائيلي المناخ المطلوب إشاعته ضد العراق.

حمل ديكي التقرير معه.. وقبل أن يغادر السفارة قال له الملحق الصحافي: إن الأصدقاء مشتاقون إليك في إسرائيل متى أحببت السفر.
وشعر الصحفي بارتياح فهو يدرك جدية هذه الدعوة لأنه يعرف مكانة «ياكوف» عند رئيس الوزراء مناحيم بيغن.. إنه معتمده ورجل مهماته الخاصة حتى ليطال نفوذه السفير «شالوم أركوف» الذي تعرض بعد ثلاثة أشهر من ذلك التاريخ إلى محاولة اغتيال أمام الباب الخارجي لفندق «الدولشستر» بلندن.

بعد مغادرة الصحفي بناية السفارة عقد بعض موظفيها بحضور ممثل «الموساد» اجتماعاً صغيراً قرروا خلاله أن يتم الاتصال مع «الأصدقاء» و «المتعاونين» في وكالات الأنباء لضمان إعادة توزيع التقرير فور نشره في «الديلي ميل» بما يتناسب مع نوع التعلميات الواردة من تل أبيب.

لم يخف رئيس الجلسة شعوره بالمرارة من العجز عن ترويج التقرير بواسطة بعض الصحفيين واعتبر رفضهم تمريره دون الإشارة إلى مصدره الإسرائيلي مؤشراً على انعدام الثقة وعدم الاكتراث بهم.. وهي حالة جديدة!

• • •

كانت أكثر الحالات إثارة لحفيظة الإسرائيليين، هي نمو ثقة العالم بالعراق والقدرة التي أظهرها في إدارة مهمتي الحرب والبناء وازدادت إسرائيل انزعاجاً مع الزمن بسبب عدم تحقيق الغارة على مفاعل تموز أهدافها المبتغاة في تدمير الوضع المعنوي للعراقيين بعد أن تحولت نتائجها لصالح العراق بما كسبه من تأييد في العالم وما تركته في نفوس العراقيين من تأثير عميق جعلهم يدركون أهمية بلادهم ودورها التاريخي.

ووجدوا في تكريس إسرائيل عملياتها في الضد من بلادهم علامة على صحة الدرب الذي تسلكه قيادتهم.. كما كشفت الغارة مجدداً ما سعت إسرائيل وإيران لإخفائه من تعاون وتنسيق في الخطوات. إلى الحد الذي طرحت إسرائيل فيه نفسها بديلاً عن إيران حيثما تعجز الأخيرة سياسياً وإعلامياً.. وعسكرياً أيضاً وعملت على امتصاص الحالة الجديدة التي اكتسبها العراقيون لأنفسهم أمام أنفسهم وأمام العالم

كما عملت على تشغيل بعض أجهزتها للتعويض عن فقر القيادات الإيرانية إلى الخبرات والكفاءات للقيام بالحملات الإعلامية والنفسية في أوروبا وهو ما أشار إليه تقرير «الخبراء» الذين ذهبوا إلى طهران في كانون الثاني «يناير» ١٩٨٢ ليعاينوا الوضع هناك ويتلمسوا الحاجات الإيرانية ومواطن الضعف، لذلك صارت مكاتب السفارات الإسرائيلية وما يساندها من نشاط لجمعيات ومنظمات صهيونية وقوى ضغط سياسي واقتصادي في أوروبا تتولى مهمة التعويض عن «العجز الإعلامي والسياسي لإيران» وتعتبر ذلك جزءاً أساسياً من اهتمامها، لوجود عدو مشترك لهما.. هو العراق.

بينما كانت المفاوضات السرية لترتيب صفقات سلاح عاجلة تنقل إلى إيران عشية مؤامرة الربيع تتواصل في عدة عواصم ومنها لندن حيث لم تتعطل اللقاءات بين الجانبين في «بناية رقم ١٥ ـ شارع يونغ ستريت» و «بناية كالا ـ في شارع فيكتوريا» وعدد من بيوت الإيرانيين الواقعة بين بنايتي السفارتين الإيرانية والإسرائيلية في منطقة «كينزكتن».

● ● ●

من الصفحات المثيرة في حرب الخليج، هو أن يجري استباق المعارك بحملات تدمير نفسي، للتأثير على معنويات العراقيين، وتشجيع الإيرانيين على تنفيذ فعالياتهم، وإشاعة أجواء الشك بالموقف العراقي، إلى جانب ما يرافق ذلك من بلبلة.. لذلك يمكن اعتبار التقرير الإسرائيلي الذي نشره «جون ديكي» المقدمة الأولى لمعركة الشوش ـ ديزفول في آذار «مارس» ١٩٨٢ وقد لا يأتي إلى بال الإسرائيليين وصديقهم جون ديكي أن تلك العملية النفسية الاستباقية. كانت معروفة لدى العراقيين. ولم تكن مفاجئة، بعد أن وضعوا أيديهم

على تفاصيلها حتى قبل أن تقع! لذلك صمموا ردود أفعالهم نحو
بطريقة تربك الحسابات الإسرائيلية التي تقاس بها في العادة.

كان «جون ديكي» قد تمكن من الحصول على حيز كبير في صف
الأخبار الخارجية من صحيفة «الديلي ميل» لينشر تقريره حول «تطورا
سرية في حرب الخليج»، حيث رد معلوماته إلى «مصادر مطلعة
الشرق الأوسط» وملخص ذلك التقرير الذي أعاد فيه صياغة الأفك
التي زوده بها «ياكوف كينان» «إن العراق قرر أن يقبل بأية شروط إيرا
ويتنازل عن شط العرب ويخضع لكل ما في قائمة الطلبات الإيرانية م
شروط إذعان. إلخ».

وتم تدبير إعادة بث التقرير عبر بعض الوكالات على الفور ليص
مع الصباح الباكر إلى عدة إذاعات ووكالات محلية في العالم.. وإز
ضعف مصداقية التقرير لم يأخذه كثيرون مأخذ الجد، حيث لم تكن هنا
أوليات في الموقف السياسي أو العسكري تمهد له، وصدر على الفو
تكذيب عراقي أخذ منحى السخرية مما ورد في التقرير وظل يلاحق الخ
الزائف حيثما انتشر بعد أن أريد الإيحاء بتراجع عراقي وهمي عل
الجبهة السياسية يوحي بتراجع عسكري.. وكان الهدف من ترو
«الإشاعة» زعزعة الثقة النامية بموقف العراق وإحداث البلبلة وزر
الشكوك. حيث يكون لمثل هذه الأجواء في العادة دخان تمر من تح
المؤامرات.

لقد كان التساؤل الطبيعي الذي أحبط تلك الإشاعة.. م
ما هو مبرر أن يقدم العراق مثل تلك التنازلات وبالجملة وهو المتفو
عسكرياً ويواصل أحكام سيطرته على ست مدن في إيران..؟

عند المساء بدأ الخبر بالانحسار، رغم ذهاب «جون ديكي» إلى مؤسسة «البي بي سي» ليدلي بحديث حول تقريره ويتفاخر بأن (لديه مصادر كثيرة الاطلاع في الشرق الأوسط زودته بالمعلومات). وعندما خرج من استوديو التسجيل الإذاعي قال له بعض الإذاعيين أن (الخبر غير صحيح وقد كذبه العراقيون) قال: المهم أنه سيمنع اطلاع قراء (الديلي ميل) الثلاثة ملايين على التكذيب. وسيبقى في أذهانهم تقريري وحده.

في اليوم التالي، دخل رجل في العقد السادس من عمره، ببدلته الرصاصية الأنيقة وربطة عنق وردية اللون وطوله ستة أقدام حفل استقبال دبلوماسي وصحفي بمناسبة تغيير مسؤول قسم الأخبار في الخارجية البريطانية.. فوقعت عليه نظرات ريبة وهمس صحفيون في آذان بعضهم حول الأخبار التي يروجها هذا الرجل الذي كان اسمه «جون ديكي».

وبعد أسبوع واحد طار «ديكي» إلى تل أبيب، حيث كان أصدقاؤه متلهفين للقائه وتقديم الشكر الإضافي له على الخدمة الكبيرة التي قدمها «عشية أحداث كبرى في حرب الخليج» كما شرحوا له لاحقاً. وأخبروه أنه أدى واجبه وهم قلقون على الصفحة التالية من الخطة. وهو الهجوم الإيراني ضد العراقيين.. وقال أحدهم ساخراً: نستطيع أن نتدبر الحملات الإعلامية. لكننا لا نستطيع أن نحل كل مشاكلهم على الجبهة».

□ □ □

الفصل الثالث

حرب ضد شارون
وكاتب أميركي في الأهوار!

حرب ضد شارون
وكاتب أميركي في الأهوار!

لم تشعر إسرائيل انها خسرت معركة من معارك جبهة الحرب العراقية الإيرانية، كما شعرت عند فشل خطة غزو العراق عبر أهوار الحويزة في شباط «فبراير» ١٩٨٤، فقد نفذت القوات الإيرانية خطة إسرائيلية، واعتمدت أسلوباً إسرائيلياً، واستفادت من نصائح وإرشادات تلقتها مباشرة من خبراء إسرائيليين.. في أكبر وأهم معركة للجانب الإيراني، أخذت أكثر من عام لإعدادها، وتهيئة الأسلحة والقوارب والحوامات المطلوب استخدامها، بحيث اعتبرتها إسرائيل الدفرسوار العراقي المنتظر الذي يمكن أن يؤدي إلى نتائج مماثلة لما جرى عند قيام القوات الإسرائيلية بفتح ثغرة «الدفرسوار» في الجبهة المصرية عام ١٩٧٣

منذ أوائل ١٩٨٣، وبعد أن تخلت إسرائيل عن تكليف الضابط الإسرائيلي المتقاعد ياكوب ومجموعته بالسفر المباشر إلى إيران، لأسباب غير واضحة، عملت على تنشيط عمل ضابط الاتصال الدائمين المقيمين في أثينا ولندن وباريس، لإدامة التنسيق مع المسؤولين الإيرانيين، لتسهيل شراء الأسلحة وعقد الصفقات، ولكنها حرصت في الوقت نفسه على عدم تكليفهم بالتداول في موضوعات أساسية تتعلق بسير العمليات

الحربية، لمعرفتها بإمكانية تسرب المعلومات عن طريق الدبلوماسيين الإيرانيين، الذين لا يشدهم ولاء للسلطة في إيران.. لذلك وإزاء تشخيص المأزق الذي وصلته قيادة الجيش والحرس في إيران، وعجزها عن ابتكار أساليب وتكتيكات جديدة، وتحقيق مفاجآت ذات قيمة على جهة الحرب مع العراق، أرادت إسرائيل أن تتصل مباشرة بمجلس الدفاع الإيراني الأعلى، لتضع أمامه حلاً مقترحاً للخروج من ذلك المأزق.. وهكذا كلف «أرييل شارون» وزير الدفاع السابق بهذه المهمة، بعدما تفرغ من مهماته السابقة في لبنان وأدين. بمسؤوليته عن مذابح مخيمي «صبرا وشاتيلا» في بيروت. ولو ان ذلك تم بصورة ضمنية.. كانت مهمته إجراء اتصال مباشر مع عضو من مجلس الدفاع الإيراني الأعلى، ينقل إليه خلاله خطة إسرائيلية لغزو العراق عبر الأهوار، وعرض المبررات السوقية والنفسية التي تستند إليها تلك الخطة.. وحتى الآن فإن المعلومة التي أكدتها مصادر متنوعة الاتجاهات، هي أن «شارون» سافر إلى بلد آسيوي، والتقى في إحدى مدنه الصغيرة مع المندوب الإيراني الذي استلم منه الخطة، ونقل إليه قائمة طلبات حمله إياها مجلس الدفاع الإيراني. بعد أن تم تدبير دخول شارون من جهته، والمندوب الإيراني من جهة أخرى، بصفات مختلفة، وأكبر الظن الآن أن تسرب المعلومات عن ذلك اللقاء، قد جرى عبر المقربين من شارون نفسه، المعروف بعادة التباهي عند إنجاز أعمال من هذا النوع، خاصة بعد أن أحيط بأجواء إدانة داخل إسرائيل وخارجها جعلته يسعى لانتزاع دور جديد له بعد لبنان. ولم يكن هناك أمر ينتزع الاهتمام أكثر من إعادة التذكير بدوره في فتح ثغرة الدفرسوار عام ١٩٧٣ وابتداع عملية مشابهة يسهم في التخطيط لها بأدوات إيرانية.

كانت الخطة التي حظيت باهتمام وقبول الإيرانيين تقوم على العناصر الجديدة المفترضة التالية:

- الهجوم باتجاه منطقة لا تتوفر فيها دفاعات كبيرة، باعتبارها منطقة غير صالحة للعمليات العسكرية، ويتعذر تسيير أية عربات عسكرية فيها، وجرى افتراض انها منطقة مهملة ومفتوحة...

- إن القيام بالهجوم عبر الأهوار يعني التسلل بين قوات الفيلقين الثالث جنوباً والرابع شمالاً، بعد إشغالهما بمعارك أخرى تفتح عند حافات قواتهما الأمامية، بهدف وضع قوة عازلة بين الفيلقين على غرار الدفرسوار المصري.

- السعي للوصول إلى الطريق الدولي، بعد عبور الأهوار، «بغداد ــ البصرة»، واعتبار ذلك هدفاً مهمًا بقيمته النفسية والتعبوية. وجرى افتراض أن الوصول إلى رأس اليابسة في غرب الأهوار يعني التمكن من الطريق العام والقرى الموجودة على أطرافه.

- افترضت الخطة عدم استعداد العراقيين لخوض قتال في المستنقعات، ومحاولة استباقهم باعداً قوات إيرانية للقتال فيها تكون لها أسبقية الخوض في معارك معقدة من هذا النوع.

وهكذا اعتبروا الخطة «مفاجأة الحرب»، وقد صممها الإسرائيليون لانعاش صدورهم الحبيسة التي ضاقت بالمأزق العسكري المتمثل في نقص الأفكار وعقم الخطط. ووقف هاشمي رافسنجاني يعلن عشية الهجوم، وهو ممثل الخميني في مجلس الدفاع، «إن هناك مفاجأة لن يتوقعها العراقيون».

إن حالة نفسية مختلطة وغامضة كانت تسيطر على الأشخاص الذين يديرون الفعاليات العسكرية ضد العراق، انعكست في لهاثهم للتشبث بكل ما هو إسرائيلي في الأفكار والأساليب، كوسائل ممكنة في مقاتلة العرب والتفوق عليهم، حتى أصبح ذلك ضرباً من الهوس اليومي، يقرأون عن كل ما لجأت إليه إسرائيل من خطط وأساليب، وينتظرون أية نصيحة يتقدم بها ضباط الاتصال الإسرائيليون، وتصوروا عشية الهجوم عبر الأهوار، انهم امتلكوا حلاً سرياً للخروج من المأزق الذي آلت إليه فعالياتهم العسكرية. لأن هذا الحل هو ابتداع إسرائيلي أخذ بالاعتبار الوضع النفسي للمؤسسة العسكرية العربية عبر الخبرات السابقة المتراكمة، وصمم على أساس انتظار انعكاساته المعنوية المتأتية من ردود الفعل التي تنتجها عملية كبرى تقوم على المفاجآت.

على ان تلك الخطة لم تكن سوى محاكاة لسيناريو وضعه الكاتب الأميركي «بول ايردمان» «Pual Erdman» في روايته التنبؤية «انهيار ٧٩» «Crash of 79» التي نشرها عام ١٩٧٦ ثم عام ١٩٧٧، وتحدث فيها عن غزو إيراني للعراق، يقوم على خطة اختراق عبر الأهوار في المنطقة العراقية ما بين نهر دجلة والحدود الإيرانية، ينفذه الشاه بهدف احتلال العراق والخليج العربي وإعادة السيطرة على الأجزاء التي كانت يوماً تحت احتلال الدولة الفارسية الساسانية، مفترضاً أن العملية ستستغرق أربعة أيام فقط. وكان المثير في تلك الرواية هو جرد المكاسب المتحققة لكل من إسرائيل وإيران على حساب العرب، بحيث أظهر أن تلك العملية «غزو العراق عبر الأهوار» تتصل مباشرة بالمصالح الإسرائيلية، وقد يكون من المناسب أن يقال ان الإيرانيين والإسرائيليين الذين أغرقهم الغرور، اعتقدوا أن العرب لا يقرأون، حسب العبارة الشهيرة

لـ «موشي دايان» عندما نشر خطة العدوان الإسرائيلي كما نفذت فعلاً في الخامس من حزيران ١٩٦٧، حين قال بعد أن سأل عن مخاطر نشر الخطة الفعلية التي كان يعد لتنفيذها. «أنا مطمئن لأن العرب لا يقرأون». . وكان يبدو انهما، إسرائيليون وإيرانيون، يعيشون أوهام ١٩٦٧ مع كل ما لحقهما في حرب ١٩٧٣ والحرب العراقية الإيرانية من انكسارات.

ولذلك كانت الإجابة العراقية بليغة في اليوم الأول الذي دارت فيه معارك الأهوار، إذ أطلقوا تسمية على تلك العمليات، بدت مستوحاة من أجواء الرواية التخيلية المنشورة عام ١٩٧٦ . ، فقد أعلنوا للمرة الأولى عما عُرف لاحقاً بـ «عمليات شرق دجلة». وهي التسمية التي تكررت في الرواية عند وصف جغرافية المكان الذي أوحت الرواية بإمكانية اختراقه لاحتلال العراق، وبينما كانت المذبحة قد بدأت تترم في طواحينها جثث الآلاف من الإيرانيين في الأهوار وعلى أطرافها وعبر غابات القصب الشائك فيها، توقف الذين قرأوا الرواية الأميركية عند التسمية العراقية للمعارك وشعروا، أن حالة الركود التي مرت على الأهوار كانت تخبىء خطة رد جاهزة، انتقلت في ساعات بأمر من السيد الرئيس صدام حسين إلى خرائط العسكريين، الذين قاتلوا إسرائيل في أهوار العراق، وخاضوا أكبر معركة في المستنقعات منذ حرب فيتنام، فحولوا المفاجأة إلى كارثة مرة لم يعد منها إلى أهله من الإيرانيين، الذين تورطوا في الأهوار إلا من شوه أوجن ليروي لهم قصصاً مخيفة عن ذلك الموت الخرافي الذي ابتلع الإيرانيين وترك جثثهم تمتد على سدة طولها أربعون كيلومتراً، فإذا بهم غذاء تتقاسمه الأسماك والطيور الجارحة. ولم يعرف الجنود والحراس الإيرانيون البؤساء، أن تلك اللعنة التي حملتهم إلى المذبحة، كانت وصفة إسرائيلية أوحت لقادتهم أن هناك نزهة لا يجدر أن تفوتهم في أهوار العراق.

وتمزقت أوراق الوصفة الإسرائيلية في أسوء النكسات العسكرية الإيرانية وأكثرها مرارة.

أشارت الأرقام العراقية إلى وقوع ثلاثين ألف قتيل إيراني بعد تدمير أربع فرق إيرانية ولواء مظلي وقوات محمولة في أكثر من خمسمائة زورق مطاط. عدا عن الإصابات التي وقعت في الخطوط الخلفية، بفعل القصف الجوي والمدفعي والصاروخي إضافة إلى خسائر فادحة وقعت في جبهة «الغزّيل ـ كشك البصري» في قاطع شرق وشمال شرق البصرة. وغطت جثث القتلى الإيرانيين سدة ترابية تمتد افقياً على مدى أربعين كيلومتراً وكانت أبعد نقطة وصلتها عناصر إيرانية متسللة، هي ضواحي بلدة القرنة، لكن بقاءها هناك لم يستمر ساعتين، حيث أبيدت كاملة... واشترك في العمليات جنود نظاميون وقطعات مختارة من القوات الخاصة، وأفراد الجيش الشعبي، وأهالي المنطقة من الرجال والنساء، واستخدمت في المعارك أسلحة الطيران المقاتل والقاصف والهيلكوبتر، والمدفعية بعيارات متنوعة، ومنظومات الصواريخ، والدبابات وقوات مظلية انزلت من الجو، وصولاً إلى الأسلحة الخفيفة حتى السلاح الأبيض، وجرت خلال المعارك عمليات اشتباك بالأيدي وقتل بالسكاكين والخنق.. بعد أن كانت إيران قد عملت على شراء دراجات، وحوامات وقوارب مطاطية تشغل بقوة محركات فعالة، طوال العام الذي سبق الهجوم على الأهوار، من مصادر متنوعة وجرى شحنها والتدرب عليها في مدن بعيدة عن الجبهة، كما حاولت إرسال عدد من ضباطها للتسلل إلى منطقة الأهوار لاستكشافها كجزء من عملية التمهيد للعملية.. ولم تتحقق أحلام ايردمان بعبور الأهوار في سويعات، ولا أمنية شارون في عزل القوات العراقية عن بعضها في عملية سحرية

غير متوقعة. ولم يعرف القادة الإيرانيون كيف يتدبرون إيصال المؤن والذخائر والأغذية إلى جنودهم الذين ابتلعهم فخ عراقي أدار. العمليات فيه اللواء الركن هشام صباح فخري منفذاً خطة وأوامر السيد الرئيس صدام حسين.

وقد تسنى بعد انتهاء المعركة معاينة مواقعها، حيث لم تكن الدماء قد جفت، وبدأت جثث الإيرانيين تتفسخ لتهدد بأمراض وأوبئة اضطرت العراقيين إلى جمعها في أماكن منعزلة ودفنها في حفر متقاربة على الطريقة الإسلامية. وأتاح لنا اللواء الركن ماهر عبدالرشيد قائد الفيلق الثالث، مشاهدة منطقة «الغزيل» التي حصل عبرها اختراق إيراني في الأيام الأولى من معركة شباط «فبراير» ١٩٨٣، وبعد أن كان الإيرانيون قد تمكنوا من احتلال أجزاء من جزيرة «مجنون» الشمالية القريبة من الحدود «٢ كيلومتر». كان الهدف من الاختراق عبر مثلث «الغزيل» الواقع في الزاوية الحادة لمنطقة شمال شرق البصرة، هو أن تندفع القطعات الإيرانية لتترك «مجنون» خلفها، وتعمل على نقل المعركة إلى اليابسة، على أمل أن يتحقق تقدم في الشمال ـ منطقة القرى ـ وبلدة القرنة. لكن الرد السريع الذي أباد ستة أفواج دفعة واحدة في مثلث قتل مثالي اربك ذلك المخطط، عندما أطبق لواءان عراقيان بعد منتصف الليل على الأفواج الستة التي تسللت حوالي الساعة الحادية عشرة، وقبل أن يبزغ الفجر المبكر، كانت المعركة قد حسمت تماماً، ولم تعاود الزوارق الإيرانية ـ التي نقلت تلك الأفواج إلى رأس اليابسة. . الظهور في «مجنون» الجنوبي، الذي تحول بعد أربعة أشهر من المعركة إلى منصة رؤية لمشاهدة مجنون الشمالي المغمورة بمياه فتحها العراقيون من حيث لم يتوقع الإيرانيون، ونقلت مئات المضخات، الماء من شط العرب

وأهوار الحويزة لتشكل بحيرة اصطناعية أمام مثلث «الغزّيل»، وتغطي مجنون الشمالي كلها، وهي أمور لم يكن في حساب الخطة الإسرائيلية أن تتم بتلك الطريقة السريعة والحاسمة.

• • •

كانت نتائج المعارك محرجة للإسرائيليين الذين وقعوا في مأزق أمام أنفسهم وأمام الإيرانيين، كشف عن ضعف تقديراتهم لإمكانات العراقيين المعلوماتية، وعجز عن استيعاب ومعرفة ما بلغوه من قدرة على امتصاص هجمات برمائية من هذا النوع، في حين تجددت القناعات القديمة عند بعض الإسرائيليين بوجود عجز إيراني في الابتكار والتنفيذ، في محاولة لتحميل الإيرانيين المسؤولة الكاملة عما حدث لهم.. ولكن أولئك الذين جددوا توجيه اللائمة إلى الإيرانيين وأعادوا المطالبة بالحاجة إلى تدخل مباشر في تنفيذ وإدارة عملياتهم، اصطدموا بعناصر وحدة العمل الخاصة في جهاز «الموساد»، المكلفة بتقييم الحرب العراقية الإيرانية وتنسيق التعاون بين إسرائيل وإيران، الذين رأوا أن المهمة العاجلة هي امتصاص الكارثة بدل توجيه اللوم والاتهام بالتقصير.. كما وجدوا أن من مسؤولياتهم إيقاف حالة التداعي المعنوي والنفسي لدى الإدارة الإيرانية، واختلاق مبررات مناسبة لها في تفسير نتائج المعركة أمام الإيرانيين الذين تذوقوا مرارتها، كما وجدوا أن هناك حاجة لانقاذ وجه إيران أمام العالم بعملية دعائية تتجه في مسارين: تحويل الاهتمام عن نتائج المعركة، وإشاعة تبريرات حول أسباب عدم حسمها لصالح إيران، بعدما كانت القيادة الإيرانية قد قطعت على نفسها عهداً بذلك.

جرت اتصالاَت إسرائيلية عاجلة بواسطة أطراف غربية مع مجلس الدفاع الأعلى وصلت إلى رافسنجاني شخصياً، لحثه على تحويل الاتهام

الإيراني العابر بوجود أسلحة كيمياوية مستخدمة ضد القوات الإيرانية إلى حملة دبلوماسية ودعائية تتكفل إسرائيل وأصدقاؤها بإدارتها في الخارج، وكان المقترح الإسرائيلي العاجل الجديد محاولة لامتصاص النقمة التي تزايدت ضدهم في طهران بعد أن تحولت «المعركة ـ المفاجأة» إلى «مذبحة ـ كارثة».. وبدأت حكومة إسحاق شامير تشتغل من جانبها على استخدام الحملة الدعائية ضد العراق كدخان تجري من خلف سحبه عملية إسرائيلية جديدة على غرار عملية ضرب المفاعل النووي العراقي «تموز» في حزيران «يونيو» ١٩٨١، في أجواء نشأت فيها مبررات إسرائيلية وانتخابية تشجع على القيام بهكذا عملية لتعزيز موقف كتلة «الليكود» قبل انتخابات تموز «يوليو» ١٩٨٤

تدارست وحدة خاصة في الموساد تقارير صحفية سبق أن نشرت قبل معركة الأهوار في مجلة «نيوسايتنست» المتخصصة وصحيفة «الديلي تلغراف» أواخر كانون أول «ديسمبر» ١٩٨٣ وادعت أن لدى العراق إمكانية تصنيع مثل هذه الأسلحة، وان هذه العمّلية يمكن أن تتم بقدرات محلية بعد امتلاك العراق للمعدات الميكانيكية التي تستخدم لهذا الغرض، ووجدت أن هذه التقارير يمكن أن تكون عنصراً أساسياً في حملة اتهام ضد العراق وصولاً إلى هدفين هما: إيجاد غطاء يبرر الهزيمة الإيرانية، وخلق مبررات لعملية إسرائيلية ضد العراق.

وجرى اعتماد عناصر وأساليب وأدوات تكاد تتطابق مع ما سبق اعتماده في الفترة من آذار «مارس» ١٩٨٠ إلى حزيران «يونيو» ١٩٨١ في التمهيد للإغارة على مفاعل تموز السلمي، ومن هذه الحالات المتماثلة:

- محاولة الاعتماد على مبررات «علمية واختصاصية» في توثيق الاتهامات.

* تكليف الصحفيين أنفسهم الذين سبق أن تعاونوا مع إسرائيل في حملة الاتهامات ضد العراق عشية الإغارة على مفاعل تموز.

* الإيحاء بأن إسرائيل قوة محلية مسؤولة عن تحجيم قدرات من هذا النوع لدى أي طرف في المنطقة، واعتبارها قوة ضاربة لها حق مشروع في التحرك.

* الإيحاء باحتمال وقوع تصادم عسكري مع سوريا كعملية تضليل للعراق، بهدف تحويل الانتباه قبل الشروع بالعملية الجديدة لقصف بعض المعامل والمؤسسات العلمية بحجة انها جزء من مشروع صناعي عراقي لإنتاج أسلحة كيمياوية.

* ترويج الموضوعات التي تطالب إسرائيل بالتحرك، وتشجيعها علانية، بهدف إجراء عملية اختبار وجس نبض علني لردود الفعل المتوقعة في العالم، وهو أمر تولاه الصحفي «سيمون هارش» «Simon Hartch» في صحيفة «النيويورك تايمز»، عندما أعلن للمرة الأولى أن أميركا طلبت من إسرائيل القيام بقصف المؤسسات الصناعية العراقية، وذكر أن هناك خمسة مراكز لإنتاج غاز «الطبون» في العراق، وهي موجودة بعمق ستة طوابق تحت الأرض. وكان يراد بذلك التقرير العلني تشجيع القوى المؤيدة لإسرائيل وتنبيهها لاحتواء العملية الجديدة من ناحية، وانتظار ردود الفعل المحتملة، حتى لا تتكلف حكومة الليكود برئاسة شامير خسائر دبلوماسية وسياسية مماثلة لما تحملته في عهد بيغن عند قصف مفاعل تموز.

بعد بدء الحملة الدعائية والدبلوماسية اقترحت إسرائيل على عنصر ارتباط يتصل مباشرة مع رافسنجاني، أن يتم إرسال أشخاص

إيرانيين إلى الخارج باعتبارهم ضحايا أسلحة كيمياوية استخدمت ضدهم في المعارك الأخيرة ليكونوا عينات للمشاهدة. . في وقت كشفت فيه إحدى الصحف الفرنسية عن انفجار في معمل إيراني للصناعات الكيمياوية تسبب في مقتل وجرح العشرات من الإيرانيين جنوب إيران.

وخرجت من عيادات الأطباء الإنكليز في شارع «هارلي ستريت» الشهير بلندن تقارير تنفي الوقوف على شواهد عن إصابة الأشخاص المفحوصين بتسمم ناتج عن إلقاء أسلحة كيمياوية ضدهم أو رشهم بـ «المطر الأصفر» أو ما يعرف بـ «الخردل»، وهي تقارير لم تلق عناية من أحد، ومرت بطريقة عابرة، وهو أمر غامض يوحي بالكثير، إذ لم تفهم أسباب إهمال تقارير طبية تفند مزاعم إيران، وعدم الاكتراث، بما حتى من قبل أكثر الأوساط صلة بالأمر لمواجهة طوفان الاتهامات.

في العراق رفع شعار يقول: إن عراق ٨١ هو غير عراق ٨٤، وهو كلام انطوى على استعداد نفسي وسياسي ودبلوماسي وإعلامي وعسكري لمواجهة المؤامرة الجديدة.

كانت هناك خلية نحل كبيرة تشتغل ليل نهار، وبينما كان الطيارون العراقيون ينتظرون المعركة الموعودة مع الطيران الإسرائيلي لتصفية حسابات ١٩٨١ وحسابات العام الجديد، فتح العراق أبواب مصانعه المتهمة للصحفيين من الجنسيات كلها ليقفوا على طبيعة المواد المنتجة في مجمع «عكاشات» للأسمدة المركبة، ويتيح للمهندسين والعاملين الأجانب من أكثر من عشر دول أوروبية أن يتحدثوا بملء أفواههم عما يفعلونه مع الخبراء العراقيين في ذلك المجمع الذي يقع على أطراف الصحراء غرب العراق.

وضع الدبلوماسيون العراقيون أمام دول العالم ملفاً عن نوايا إسرائيل الجديدة مذكرين بالغدر الذي تعرضت له بلادهم في حزيران ١٩٨١

و. وجدت حكومة «شامير» أن العملية الجديدة قد أحبطت سياسياً ودبلوماسياً قبل أن تقع، فاعتبرتها خطة مؤجلة التنفيذ، والتفتت تستعد لانتخابات الصيف.. وتركت الإيرانيين يلعقون جراحاتهم وحدهم، دون أن تتمكن من منحهم غطاء يبرر ما جرى. ولم يستوعبوا تماماً ما حدث وما جرى في المسافة، ما بين خط الحدود الوهمي في أعماق الأهوار وقرية البيضة للقريبة من اليابسة في جهة الغرب.. لكن تلك الجراحات تحفر عميقاً مع الزمن.. وتتوغل في الجسد المنخور!.

□ □ □

الفصل الرابع

محاولة لاغتيال إله بابلي!

محاولة لاغتيال إله بابلي!

لن يكره الإسرائيليون مدينة في الأرض، كما كرهوا «بابل»، فمنذ خمسة وعشرين قرناً ما يزال الحقد متقداً في نفوسهم.. كرهوا كل شيء ينتسب إليها.. خاصة ملكها العظيم، الذي تصفه وثيقة «النصر» بأنه:

نبوخذ نصر.. النبيل.. النقي.
المختار من ذرية بابل..
شمس بلاده الذي يأتي لشعبه بالرخاء..
حامل القوس المرعب..
لا يهاب القتال.. الذي دحر اللولبيين الأقوياء بحد السيف.

إنه نموذج للعدو الذي تقاسم كراهيته اليهود والفرس، حتى إذا قرر شاه إيران محمد رضا بهلوي الاحتفال بالملك الفارسي «كورش»، الذي أنقذ اليهود من السبي البابلي، كاد رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك «بن غوريون» أن يقبل الأرض من تحت أقدام الشاه، شعوراً بالامتنان والعرفان لمن يكرم ملكاً فارسياً دمر «بابلاً»، وأطاح بآلهاتها وجنائنها، وأنهى أفجع ما في تاريخ اليهود.. سبي بابل..

عندما بنى العراقيون محطة للأبحاث النووية ومفاعلاً للأغراض

السلمية أطلقوا عليها اسم «تموز».. فمس ذلك كوامن الكراهية الباطنة على هذا «الإله» البابلي، الذي تقمص اسمه أسرار «الخصب والقوة والحرب» قبل أربعة آلاف عام.. حتى إذا بدأت المؤامرة على «تموز» الجديد كان الإسرائيليون يتحاشون ذكر اسمه ما أمكن ذلك. فهو «المفاعل العراقي» وهو مفاعل «التويثة» و.. الخ..

حكاية «تموز» هي نفسها منذ أربعة آلاف عام، إله يتلقى التحدي فيخرج لمقاومته.. وشاب أسطورة تحاصره الخنازير البرية والدبب المفترسة، فيطاحنها الصراع ليكون أو لا يكون.. ومنذ أربعة آلاف عام، ينمو هذا الرمز الأسطوري الذي يجدد العنفوان، ويديم الخصب.. والذين اختاروا الاسم الأسطوري للمفاعل العراقي، وضعوا على بوابة أعز مشاريعهم العلمية اسمًا من تاريخ أول زمن عرف فيه الإنسان علم الرياضيات، ودّون على ألواحه الكلمة الأولى، وتوصل علماؤه لأول مرة إلى معرفة «الذرة» وعناصرها في الوجود.

أضاف الاسم العراقي الصميم لهذا المفاعل سبباً «إسرائيلياً» مكملاً للتآمر عليه عندما هيج الشعور الكامن. وحتى بالنسبة لأولئك الرجال السريين الذين وضعوا خطة التآمر على مفاعل «تموز»، كان ثمة دافع سري يسري في نفوسهم نحو هذا الهدف، الذي أعادوا معه مؤامرة مثيلة لتلك التي تعرض لها تموز البابلي، عندما حاصرته في الفيافي الخنازير البرية. لقد أعادوا شيئاً من الأسطورة.

في العراق كان «تموز» هو بداية الدخول إلى العصر النووي بآفاقه السلمية والعلمية المشروعة، بعد أن وثق العراق رسمياً هذا التوجه بالالتزام باتفاقيات الوكالة الدولية للطاقة، وأخضع مشروعه للرقابة الدولية في وقت كانت إسرائيل قد تجاوزت الانتساب إلى العصر النووي

السلمي بالإنتاج الفعلي لقنابل نووية أعدت لتدمير أكثر من عاصمة عربية، ولكنها مع ذلك وجدت في نزعة العراقيين لامتلاك القدرة على اكتساب هذا النوع المتطور من المعرفة مؤشراً على الانتقال من المجتمع الزراعي المتخلف إلى مرحلة تقدم صناعي مفتوح يردم الهوة الفاصلة بين العرب وعصرهم الراهن بحيث يتخطون أقصى المسموح به، وهو «استلام المفتاح الجاهز» للمشروع العلمي، ويقصد بذلك تمويل مشروع يبنيه الآخرون ويدار من قبلهم ولكنه يسجل باسم الممول الذي يعجز عن استثماره وتشغيله بمجرد اختفاء مديريه وخبرائه الأجانب العاملين فيه. أما أن يعمل العراق على امتلاك ناصية المعرفة ذاتها فإن ذلك يمثل تخطياً للمدارات المسموح بها لدولة من هذا النوع محاطة بأعداء مثل إسرائيل. رغم أن إسرائيل نفسها دخلت المجال النووي قبل العرب وبدأت التصنيع العسكري فيه ولأغراض معروفة..

ولعل الإسرائيليين والأميركان يدركون أن منع العرب من الدخول في عالم الأبحاث النووية هو أمر مستحيل لشرعية انضمامهم إلى هذا الحقل العلمي واستحالة غلق كل المنافذ والأبواب التي يمكن أن تفتح لهم في هذا المجال، لذلك قامت الاستراتيجية الإسرائيلية كما يشرحها أقرب الكتاب إلى عقلية «السياسيين الإسرائيليين» «شاي فلدمان» «Shai Fledman» على أنها محاولة لتأخير التطور في هذا المجال وضمان التفوق الزمني لإسرائيل، ولكن ذلك لم يكن كافياً لها.. فبعد عام واحد من ضرب المفاعل النووي العراقي، دخلت إسرائيل في مجال علمي أكثر تعقيداً يمكن استخدامه للأغراض العسكرية والتجسسية ضد العرب بالاستعداد لإطلاق قمر صناعي، وبذلك تتحقق الأسبقية العلمية على العرب بعشر سنوات في أقل تقدير.

□ كيف بدأت المؤامرة؟

يجلس طالب عراقي على كرسي صغير أمام أستاذ جامعي في قسم الفيزياء الذرية بجامعة «مانشستر» فيضع له مسألة فيزيائية ويطلب حلها. ثم يقفل الأستاذ الباب تاركاً شاباً في الثانية والعشرين داخل غرفة عارية إلا من كرسي وطاولة وورق وقلم.. بعد ساعة يفتح عليه الباب ثانية ليسحب الأوراق من تحت يديه. ويتطلع إلى الحل الذي توصل إليه الطالب فيصرخ: أنت غبي وجاهل..

لكن الطالب الواثق من معلوماته ومعارفه يقول للأستاذ: إن ما توصلت إليه صحيح ولك أن تتأكد.

لقد ثار غضب الأستاذ المبكر لأنه وجد أمامه طريقة في الحل والاستنتاج لم يعرفها كتاب في الفيزياء من قبل ولذلك أشعر الطالب العراقي أنه أضاع ساعة في التخبط.. وأمام عناد الطالب يضطر الأستاذ أن يبدأ بالحل على طريقته التي يعرفها فيبذل أكثر من وقت الشاب ليصل في النهاية إلى الحل نفسه..

عندها يخرج من عينيه ذئبان..

ـ تعال أنت مفاجأة..

ويعرض الأستاذ ـ الذي تبين لاحقاً أنه يهودي ـ على الطالب أن يوقع عقداً يلتزم به أمامه بعدم العودة إلى العراق مقابل مكافآت مالية وسكن مجاني ورواتب مضمونة لخمس سنوات دراسية وخمس سنوات عمل، ويكاد الأستاذ يخنق الشاب العراقي الذي رفض العرض وتوجه يبحث عن جامعة أخرى يدرس فيها الفيزياء الذرية.

كانوا يسعون لالتقاط الطلبة العراقيين الموهوبين ويخضعونهم لاختبارات معقدة فما أن يقفوا أمام متفوق منهم حتى يفتحوا له باب «الفخ». كل شيء لكي لا يعود إلى العراق.

إن تنظيمًا سرياً كان يتصل منذ أواسط السبعينات بالأقسام العلمية في الجامعات الأميركية والكندية والبريطانية والفرنسية والسويسرية للبحث عن «المواهب العراقية» بهدف إسقاطها في الإغراءات ثم ملاحقتها بالتهديد حتى الوصول إلى الإيذاء الفعلي المباشر.. وكان الدور المطلوب من أساتذة يهود في هذه الجامعات أن يؤشروا أسماء أولئك الشبان ويتابعوا الخط البياني لتطورهم العلمي.

وتكونت في جهاز «الموساد» وحدة عمل خاصة كرس عملها لمتابعة الأبحاث العلمية العراقية في مجال «الذرة». بعد أن وجدت إسرائيل أن انتقال العرب من عقل المجتمع الزراعي المتخلف إلى آفاق العقل العلمي المركب بالصفحات المتعددة يعني إنذاراً بإمكانية امتلاكهم لأسرار المستقبل.. في وقت كان أقصى المسموح به للعرب هو أن ينشغلوا ـ بعد بناء العمارات وشراء السيارات الفاخرة ـ في تأسيس معامل صغيرة لصناعة السكائر وعلب الكبريت وأبر الخياطة والصناعات الجلدية والنسيجية، وهي فعاليات لن تعوض إنتاجاتها عن حاجة السوق العربية إلى الصناعات الثقيلة والمعقدة والمركبة والالكترونية، وبذلك يبقى المشروع الإسرائيلي بفتح الأسواق المجاورة أمام الصناعات الإسرائيلية في يوم من الأيام ممكناً حسب الحلم التاريخي.

أما أن يبعث العراق بأولاد «تموز» ليغرفوا من أعقد العلوم دفعة واحدة فذلك يعني أن من يمتلك القدرة على «الإنتاج المركب» لن يصعب عليه «الإنتاج البسيط»، وأن بدايته أصبحت صحيحة!

إسرائيل كانت تعرف جيداً أن العراق لم يكن ينتج «قنبلة» كما أشاعت وروجت ولكنها كانت ترى في ولوج هذا الحقل العلمي المعقد تحولاً في الحياة العربية يجب أن توضع العراقيل في وجهه وأن يحبط في مراحله الأولية، ولذلك.. أوحت أول ما أوحت لإيران بأن هذا التحول يشكل خطراً عليهما كليهما.

عرضت إسرائيل على شاه إيران عام ١٩٧٨ أن تقوم إيران بعملية جوية لقصف المفاعل النووي العراقي بعد سلسلة أعمال تحريض للشاه لنسف اتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥ بين العراق وإيران، وأعطت إسرائيل للأمبراطور الإيراني الإحساس الذي يستهويه بـ«العظمة» و«التفوق» ليقوم بتلك المغامرة ضد العراق بصورة مباغتة مستفيداً من الأجواء التي توفرها الاتفاقية التي كانت قائمة بين البلدين، ويمكن الآن فهم الأسباب التي منعت الشاه من تنفيذ الطلب الإسرائيلي، حيث كان قد بدأ آنذاك معالجة انفجارات الوضع الداخلي الذي يهدده بالزوال من جهة، وبدأ يتهيب التحرش بالعراق والاصطدام به من جهة أخرى.

لكن إسرائيل استمرت في ملاحقة البرنامج العراقي.

ففي السادس من نيسان «أبريل» ١٩٧٩ قامت مجموعة من الموساد مرتبطة بوحدة «العمل الخاصة بالمفاعل العراقي» بالتعاون مع عدد من الفرنسيين بتفجير معدات المفاعل المعد للتصدير إلى العراق من الميناء العسكري الفرنسي «سين سيرمير».

في حزيران «يونيو» ١٩٨٠ جرى اغتيال العالم المصري الدكتور يحيى المشد المشارك في الأبحاث النووية السلمية العراقية. في فندقه بباريس.. ثم جرى اغتيال الشاهدة الوحيدة على العملية وهي امرأة

فرنسية كانت على صلة بأعمال الدكتور المشد، وجرت ملاحقات ضد العلماء العراقيين وطلبة الفيزياء الذرية الذين يواصلون دراستهم العليا في أوروبا وتعرض عدد منهم لعمليات تصفية وإيذاء مباشر. .

ثم قامت وحدة أخرى من «الموساد» في آب «أغسطس» ١٩٨٠ بالتعرض لمدير شركة «سينا تيخنت» الإيطالية لاعتقادهم أن فروع الشركة كانت تورد إلى العراق معدات نووية. تلتها ملاحقات وتهديدات شخصية لعدد من الرجال الأوروبيين المرتبطين بشركات ومؤسسات تتعاون مع العراق في أبحاثه النووية.

منذ آذار «مارس» ١٩٨١ انحصرت التعليمات الصادرة إلى الملحقين الصحفيين الإسرائيليين في لندن وباريس وواشنطن بأمر واحد، تلخص بتركيز الاتهامات الموجهة ضد مشروع عراقي لإنتاج «القنبلة» النووية والاستعداد لاستخدامها ضد إسرائيل، وهو الأمر الذي جعل الدبلوماسيين الإسرائيليين الثلاثة ومساعديهم يتحولون في معظم مناقشاتهم حول أزمة الصواريخ السورية في البقاع اللبناني إلى «التهديد العراقي النووي»، وسجل على تلك الحملة التي جرت عبر الصحفيين من أصدقاء إسرائيل، أنها خفتت في نهاية نيسان «أبريل» وكادت تتلاشى في الأسبوع الأول من أيار «مايو» دون أن يدرك الدبلوماسيون الإسرائيليون أنفسهم سبباً للتوقيتات التي حصروا نشاطاتهم فيها، ولكن الإدارة الإسرائيلية كانت قد واجهت معضلتين إحداهما فنية والأخرى سياسية أديتا إلى تأخير هجوم خطط له ليقع في شهر مايو «أيار». . فقد أراد مناحيم بيغن رئيس الوزراء آنذاك أن يطمئن إلى اكتمال التدريب الذي أجراه الطيارون في مهاجمة هدف مشابه للمفاعل العراقي جرى بناؤه في صحراء النقب، والثاني وضع الإدارة الأميركية في صورة الهجوم

الإسرائيلي المرتقب. وكاد الشهر الأخير الذي سبق الغارة ما بين الأسبوع الأول لمايو «أيار» إلى الأسبوع الأول من يونيو «حزيران» يخلو من حملات مباشرة ضد العراق..

في تلك الفترة، التقى الملحق الصحفي «ياكوف كينان» ومستشار شؤون المعلومات «ديفيد بيليج» في دعوة عشاء أقامتها عائلة يهودية بريطانية، وفي لحظة اطمئنان عميق استغرق «كينان» الذي جلس بجوار زوجته، فأبلغ مضيفه أن هناك مفاجأة كبيرة ستقع في العراق وتكون لصالح إسرائيل.. ولم يأت على بال الحاضرين أن نفوذ كينان وصلته بمكتب رئيس الوزراء يجعله قادراً على معرفة عملية عسكرية إسرائيلية مهمة تقع على أرض بعيدة.. وقد أكدت الأيام التالية أن كينان نفسه كان قد سمع تلك العبارة دون أن يعرف تفصيلاً ما كان قد خطط له ليبقى على نطاق محدود وضيق للغاية في إسرائيل.

كان التاريخ الأولي للغارة قد حدد في ١٠ مايس «أيار» ١٩٨١، ولكنه تأخر ثلاثة وعشرين يوماً عن موعده..

إسرائيل والولايات المتحدة كانتا حسب معلوماتهما، على علم ويقين كاملين أن العراق لن يتمكن حتى من الناحية النظرية من إنتاج سلاح نووي قبل عشر سنوات من تاريخ الإغارة على مفاعله، في حالة توفر جميع عناصر تطوير الأبحاث النووية، ولكن إسرائيل وجدت أن هناك «توقيتاً» تاريخياً لا ينبغي أن يمر دون استثماره، فهذه حرب ضروس تشغل العراق وأسلحة دفاعه الجوي من ناحية، وتلك حاجة ملحة لزيادة رصيد كتلة الليكود في معركتها الانتخابية.. إلى جانب المنطلق الأساسي القائم على إحباط التوجه العراقي في بواكير خطواته قبل أن

يصبح أكبر من أن يطال.. ما دامت المعلومات قد توفرت عبر عملاء ومصادر أجنبية تعاونت مع الأجهزة الإسرائيلية.. وهكذا فإن حملة الاتهامات ضد العراق حول قدرته على إنتاج القنبلة كانت زوبعة دخان جرت من خلفها عملية «بابل» ضد «تموز» مستفيدين من سحابة الدخان الكبيرة التي خلقتها حرب الخليج ليتم تحتها تنفيذ القرار.

من ناحيتهم، كان العراقيون بحاجة إلى زمن طويل لاستعادة المذاق الخاص الذي يحبونه في طعم الحنطة العراقية، فهم يعتقدون أن هذه الحبوب تعرضت لحالة تدجين ودخلت عليها شوائب من خصائص مختلفة أفقدتها تميزها الذي يمثل في حياة العائلة العراقية استكمالاً لعناصر الغذاء اليومي المركب بطريقة وطنية لا تعوضها الخصائص الأخرى المتوفرة في هذه المادة الغذائية الحيوية من حيثما أتت، ولذلك واجه العلماء العراقيون تحدياً من هذا الطراز.. فدخلوا في عدة تجارب لتنقية بذور الحنطة مما علق بها من تدجين، حتى توصلوا إلى ضرورة استخدام الأبحاث الذرية في هذا المجال لتحقيق غرضين، الأول تحسين بذرة الحبوب، والثاني استعادة مذاقها الوطني الصرف..

بينما ذهب علماء آخرون في مناخ آخر، لاستخدام أبحاثهم الذرية السلمية، لمعالجة حالات التورم الخبيث، والسرطان عبر الاشعاعات الذرية التي تستطيع السيطرة عليها في مراحلها الأولى.

ولجأ علماء آخرون إلى هذه الأبحاث لمعالجة الأمراض الوراثية المركبة، واشتغل آخرون على استخدامها في قياس الأحوال الجوية، وأوضاع المناخ، ومستويات الطقس.

وبينما تكرست جهود العراقيين في تلك المجالات السلمية التي

تجري بعلم الوكالة الدولية للطاقة، كان الإسرائيليون يعدون لتدمير المفاعل السلمي العراقي، فيعملون على تعطيل الجهود العلمية والطبية والزراعية التي اعتمدت على الأبحاث النووية السلمية في عملية لم تكن موجهة ـ رغم كل الادعاءات الإسرائيلية ـ إلى مشروع لإنتاج سلاح نووي، بل إلى مؤسسة معنية بوضع الذرة في خدمة الأغراض السلمية والتنموية والعلمية..

كشفت المعلومات اللاحقة التي تم الوقوف عليها.. ان إسرائيل تمكنت في الأسبوع الثاني من الحرب أن توصل عرضها القديم الذي طرحته على الشاه إلى القيادة السياسية والدينية الجديدة في إيران، وجرى ذلك عبر طرف ثالث لم يعرف في حينه، حتى عاد ليكون وسيطاً بين الطرفين بعد العملية، وهو نظام جنوب أفريقيا.. فقد نقل ممثل من حكومة بريتوريا يتصل لأغراض التعاون التجاري مع حكومة طهران، إلى أحد أعضاء مجلس الدفاع الأعلى المقترح الإسرائيلي مع استعداد إسرائيل لشحن أية كمية من السلاح إلى إيران مقابل الحصول على نسخة من الصور الفوتوغرافية التي تلتقط للمفاعل سواء دمر أو لم يدمر. وبالفعل قامت طائرتان إيرانيتان في الشهر الأول للحرب بالإغارة على المفاعل دون أن تحققا هدفهما كما خطط له، ولكنهما عادتا بعدة مئات من الصور سلمت إلى ممثل حكومة «بريتوريا» الذي ظل ينتظر في طهران، ليطير من هناك إلى أثينا ثم إلى القدس.

كان الهدف من الإغارة على المفاعل هو تنفيذ عملية اختبارية واستطلاعية تكون في خدمة التمهيد للعملية الإسرائيلية الكبيرة التي جرى التخطيط لها منذ ذلك الحين، حيث صمم نموذج لمفاعل مشابه في الأرض المحتلة، وجرى تدريب حي لقصفه بالطيران، ورافقت ذلك

حملة اتهام ضد العراق وتشك منه. حتى إذا اقترب الموعد المحدد للعملية.. أشاعت إسرائيل مناخ تصادم متوقع مع سوريا بسبب ما عرف في حينه بأزمة «صواريخ البقاع» حيث تحول الاهتمام الدولي إلى منطقة البقاع اللبنانية المزروعة بصواريخ سام السورية مترقباً وقوع حرب بين الطرفين.. وهي عملية وصفها مناحيم بيغن «بأنها كانت ضربة للتضليل»، وبينما كانت الأنظار ترصد السماء والساعة التي تنطلق فيها الطائرات الإسرائيلية نحو البقاع تسللت ست عشرة طائرة قاذفة أميركية الصنع من نوع «أف ١٥» و«أف ١٦»، لتهاجم مساء السابع من حزيران «يونيو» ١٩٨١ مفاعل «تموز» السلمي جنوبي شرقي بغداد، بعملية أطلق عليها اسم «عملية بابل» مستفيدة من انشغال العراق بحرب شاملة يواجهها على جبهته الشرقية مع إيران.

وقال بيغن بعد العملية بأسبوع واحد: أستطيع أن أنام مطمئناً الآن. والاطمئنان هنا يبقى العرب محرومين من التقنية المتطورة والعلوم المعقدة.. فعدا ذلك لن يكون هناك ما يخيف من قيم ونتاج مجتمعات زراعية متخلفة تحلم الصهيونية بفتحها يوماً كسوق للصناعات الإسرائيلية!

● ● ●

غطت «إسرائيل» حملاتها ضد البرنامج النووي العراقي بركام من الكتب والأبحاث التي نشرت في إسرائيل وأوروبا وأميركا لتبرر الإغارة على مفاعل «تموز»، وتديمّ الاتهامات الموجهة ضد العراق، ومن هذه الكتب «دقيقتان فوق بغداد» «Two Minutes over Baghdad» لمؤلفيه «آموس بيرلموتير ومايكل هاندل وبور بارجوزيف» وكتاب «تفجير وقصف اوسيراك» لمؤلفه شاي فلدمان، الذي أقام اتهاماته ضد العراق على

أساس امتلاك العراق لمفاعل قادر على إنتاج «البلوتوينوم» من النوع الحراري وإمكانية تزويده بوقود يورانيوم من النوع المشبع ٩٢٪ وحصول العراق على «الخلايا الساخنة»، وهي عناصر لم تكن قد أعطت دلائل على وجود إنتاج فعلي للسلاح النووي، ولكن الأمر كان يعكس «قلقاً إسرائيلياً» دفع الحكومة الإسرائيلية لتدمير المفاعل العراقي على حد ما ذهب إليه «فلدمان»..

ومثلما استخدمت الدعاية في التمهيد للغارة، استخدمت بعد الإغارة أيضاً، في التعتيم وتحويل الانتباه وإغراق الموضوعات الصحفية بتفاصيل فنية، بعضها مزور ومبالغ فيه، بهدف خلخلة التماسك في رد الفعل الدولي السلبي نحو إسرائيل التي هاجمت مفاعلاً تدل كل الشواهد أنه كان مصمماً لأهداف سلمية في الحاضر والمستقبل المتطور..

أعادني سلوك إسرائيلي، إعلامي نفسي، استخباري، إلى عبارة كثيراً ما كنت أسمعها في صغري، تقول: «يصبح غبياً من يعتبر نفسه الذكي الوحيد».. تذكرت ذلك حين اتصل وكلاء للموساد مع عدد من الصحفيين في روما ولندن لإقناعهم بنشر قصة عن عملية تفجير جرت ساعة قصف المفاعل النووي العراقي وتزامنت مع لحظة إلقاء الصواريخ من الطائرات الإسرائيلية.. وبعد جهد كبير.. اقتنع أحد مراسلي الصحف البريطانية العاملين في روما بالقصة ونسبها إلى «مصادر مخابرات غربية» وأرسلها إلى لندن.

وأريد عبر تلك القصة، إضافة عامل إرباك آخر، وتفسير إضافي للتفسيرات الفنية التي شاعت بعد الإغارة على المفاعل العراقي، لكن التقرير الجديد كان من السذاجة منطقياً وفنياً، بحيث عومل كموضوع

مسرب من الأجهزة الإسرائيلية، دون أن يكلف هذا الاستنتاج أي قارىء عناءً كبيراً بحساب معرفة الأساليب التقليدية التي تعتمدها الموساد في نشر قصص من هذا النوع، بعد القيام بأعمال تخريب ضد أعدائها في محاولة الإيحاء بوجود قوى أخرى تشاركها مخاصمة أعدائها.. وهو أمر جرى أيضاً بعد الغارة بأيام عندما أشاع الإسرائيليون عبر بعض الصحفيين المتعاونين معهم، أن أي طرف عربي مختلف مع العراق، يمكن أن يكون وراء خطة ضرب المفاعل العراقي، وبدا أن الغرور حول الأساليب الماكرة التي تعتمد عليها إسرائيل في هذا المجال، قد تحولت إلى لعبة مكشوفة يرفض صحفيون كثيرون التورط في نشرها، وترويجها، حماية لأسمائهم وسمعتهم.

● ● ●

أسرع عشرات من الصحفيين في عواصم أوروبية مختلفة يحاولون الاتصال بالعراقيين، دبلوماسيين وطلبة وصحافيين موجهين إليهم سؤالاً واحداً، عن حجم الأضرار التي لحقت بالمفاعل بعد الغارة الإسرائيلية، وطالبين منحهم تأشيرات سفر للذهاب إلى موقع المفاعل، وأعاد ذلك اللهاث إلى أذهان العراقيين موقفاً يتخذه في العادة الطرف الذي يقوم بعملية وينتظر معرفة نتائجها. لذلك كانت عندهم إجابة من شقين: الأولى أن الأضرار بليغة، الثاني إن المفاعل ليس منطقة سياحية يُدعىٰ الصحافيون لمشاهدتها، وغاب عن الإسرائيليين الذين دفعوا بالصحافيين المتعاونين معهم إلى هذه الحلبة، أنهم وضعوا نخبة من أصدقائهم في مصيدة فضحت علاقتهم.. حين جعل الشعور بتحقيق مكسب كبير، خطواتهم مكشوفة وغير متزنة.

● ● ●

لم تكن تلك العملية نتاجاً لسياسة وتوجهات اليمين الإسرائيلي المتمثل بكتلته «الليكود» كما جرى الإيحاء به صيف ١٩٨١، بل كانت استجابة وتلبية لهاجس ثابت. . سيتكرر مع أية قوة سياسية تدير الشؤون الإسرائيلية مستقبلاً وأكثرها استعداداً لذلك وسرعة في التحرك نحوه. . هو حزب العمل بزعامة شيمعون بيريز القوة الرئيسية المنافسة لكتلة الليكود. . فالطرفان يختلفان على تصريف المشاكل الاقتصادية وقضية البطالة والفساد الإداري ومشكلة الدعارة والمصاعب التي تواجهها العملة الإسرائيلية، ولكنهما متفقان على الثوابت مع اختلافات شكلية في أساليب التعبير عن مواقفهما، والعراق هو من الثوابت ما دام يملك هذه النزعة العنيدة للتطور، ومثل هذه الإرادة لا تدمر عادة بتدمير إناء حديدي.

إن رئيس الحكومة الإسرائيلية الجديد «شيمعون بيريز» هو مشروع عدوان دائم ومرتقب ضد العراق. . فعندما اعترض في صيف ١٩٨١ على الغارة الإسرائيلية ضد تموز، شرح ذلك بقوله: إنها «مسألة توقيت»، انزعج من نتائجها التي خدمت كتلة الليكود في المعركة الانتخابية، وقد أراد تعطيلها إلى وقت لا ينتفع منها منافسوه الانتخابيون وحسب. !

وقبل خمسة وعشرين عاماً، كان بيريز مديراً في وزارة الدفاع، ولم يكن عنده همٌّ أكبر من بناء المشروع النووي الصهيوني في «ديمونا» بصحراء النقب، وأدار آنذاك المفاوضات الإسرائيلية ـ الفرنسية، حتى أطلق عليه المقربون منه تسمية «أب المفاعل الإسرائيلي».

وفي عام ١٩٦٤ كان شيمعون بيريز قد أجرى أول اتصال له مع

«البارازنيين» لحثهم على تطوير حركة التمرد والانفصال عن التراب الوطني العراقي عندما اجتمع بممثل عنهم في سويسرا.. ومنذ ذلك التاريخ اعتبر بيريز نفسه الرجل الأول في حملاته لتنمية الاتجاهات الانفصالية في العراق وقد تولى في السنوات اللاحقة ممارسة الضغط لإرسال الأسلحة والخبراء إلى حركة البارزاني باعتبارها عنصراً محلياً يمثل وجودها واستمرارها أكمالاً للسياسة الإسرائيلية الهادفة إلى إضعاف العراق.. وتقسيم المنطقة مذهبياً وعرقياً.. يفضل بيريز أن يدعى بـ «أب القنبلة الإسرائيلية»، بعد الأب الأول للقنبلة الإسرائيلية «أرنست برغمان» رئيس أول لجنة للطاقة الذرية في إسرائيل، من خلال دوره في نقل التكنولوجيا الذرية للمرة الأولى، وإدارة أولى المفاوضات الإسرائيلية ـ الفرنسية قبل عشرين عاماً من التاريخ الذي أقدم فيه «مناحيم بيغن» على اتخاذ قرار الإغارة.. وقد وجد نفسه عند استلام الوزارة بعد فوز «المعراخ» مناصفة مع «الليكود» في انتخابات «تموز» يوليو ١٩٨٤ مسؤولاً عن اتخاذ قرار حاسم في الحصول على تكنولوجيا الفضاء، التي تستند إلى حلقات علمية وعملية توفرها التكنولوجيا الذرية من جهة، وتسهم في توفير الصفحة التالية بتهيئة وسيلة استخدام السلاح الذري الذي تنتجه إسرائيل في عمليات ضد العرب.. وستحاول الإدارات الإسرائيلية الحصول على أي مبرر للقيام بأعمال ضد مؤسسات علمية صناعية عربية. وبخاصة في العراق..

كان أول تقرير تسلمه «شيمعون بيريز»، وتتدارسه في الأسبوع الثاني لاستلامه الوزارة الإسرائيلية معداً من قبل «نوفال نيثمان» وزير العلوم السابق، وأعرق المشرفين على برنامج التصنيع النووي، وأهم أساتذة الفيزياء الذرية في إسرائيل.. وهو أحد المنظرين الذين هيأوا

قرار مناحيم بيغن في مهاجمة «تموز»، وسيكون الحوار بين «بيريز» و«نيشمان» أكثر سهولة وعملية مما يحصل بين أي اثنين آخرين، بسبب صلتهما السابقة، واشتراكهما معاً في وضع البرنامج النووي الإسرائيلي، والتخطيط ضد الأبحاث النووية العراقية.. كل هذا ليس صدفة!

□ □ □

الفصل الخامس

قهوة مرة في الشانزليزيه!

قهوة مُرة في الشانزليزيه!

كان قد تناول أربعة فناجين من قهوة الاكسبريس الباريسية، وأمضى أكثر من ساعتين يتحدث بلكنة مغربية مع مجالسيه من الليبيين الذين يعملون في المكتب الشعبي الليبي بباريس.. تحدثوا كثيراً عن النساء الفرنسيات، واكتشف مخاوفهم من الأمراض الشائعة، فعرض عليهم خدماته ليعرّفهم بهذه المدينة المدهشة، ونسائها اللاتي استلبن عقول هؤلاء الشبان الذين التحقوا حديثاً بعملهم في الخارج. تركوا عنده أرقام تلفوناتهم، حيث يسكن اثنان منهم في شقة بالدائرة الخامسة من باريس، بينما يسكن الآخر في منطقة قريبة من «سان ميشيل».

تلمس فيهم شخصيات متناقضة تريد الانعتاق من جلدها المحبوسة فيه، ووجد روح التذمر تطفح في تصرفاتهم.. وهم لا يصدقون ما هم فيه. يريدون أن يلتهموا اللحظة التي يعيشونها لأنهم لا يعرفون ماذا سيحدث بعدها.. وقد تحدثوا إليه عن «ضيف كبير» موجود بباريس يتسبب لهم ولزملائهم في المكتب بمتاعب كثيرة، وهم يلاحقون طلباته الخاصة الكثيرة.. لكن أحدهم ذكر خلال الجلسة، أن الزائر الليبي الموجود في باريس بحث أمامه في مشروع تأسيس «وكالة عربية دولية» للعمل ضد إسرائيل في الخارج.. وشرح لمجالسهم، الذي

عرفوه مغربياً يحمل اسم «ابن طوبى»، هذا المشروع بكثير من التفاصيل.

غادر الليبيون الثلاثة المقهى الباريسي في السابعة من مساء الخامس عشر من نيسان «أبريل» ١٩٨١، وكان في بالهم أن «ابن طوبى» الأسمر النحيف بشاربه الأسود الكثيف وتقاطيع وجهه الصارمة وبنطلونه الجينز ليس سوى صعلوك مهاجر من المغرب. يعرف باريس ونساءها، ويجيد إلقاء المحاضرات حول مرض «الهربيز» الذي تتناقله البغايا. ولم يخطر ببال أي منهم أن «ابن طوبى» تناول فور مغادرتهم منديلاً ورقياً وسجل عليه بعض الملاحظات باللغة العبرية، ثم توجه على الفور إلى أقرب محطة «للميترو»، منطلقاً إلى دار أحد موظفي السفارة الإسرائيلية بباريس، ليقدم له تقريراً حول ما سمعه عن وجود مشروع ليبي يتبناه شخص يدعى «عمر حامدي» لتأسيس «وكالة دولية عربية» بواسطة منظمة عربية غير رسمية.. مبيناً أن مقر إقامة «حامدي» الموجود في باريس أصبح معروفاً لديه..

كان «ابن طوبى» قد اعتاد تقديم مثل هذه التقارير إلى السفارة الإسرائيلية، معتمداً على ما يحصل عليه من معلومات من أرصفة المقاهي في «الشانزليزيه»، حيث يعرفه الجميع كمهاجر مغربي من إحدى القرى شمال الرباط، ولم يتوقع أحد من معارفه العرب أن في جيبه جواز سفر «إسرائيلياً» يتمتع به منذ هاجر أبواه إلى الأرض المحتلة عام ١٩٦٢، وكان عمره آنذاك عشر سنوات فقط.. وهو منذ مجيئه إلى باريس سنة ١٩٧٤ بعد أن شارك في حرب أكتوبر ١٩٧٣ مكلف بدور صعلوك مغربي مشاكس كثير الثرثرة.. سريع التقرب من الزوار والسياح والطلبة العرب.. وقد كرس اهتمامه في الفترة الأخيرة على الطلبة

والدبلوماسيين الليبيين، لأنهم عنده «متذمرون من أوضاع بلادهم وكثيرو الثرثرة». . وعندما طلب إليه مسؤوله المباشر أن يلاحق الطلبة العراقيين ويحاول التقرب منهم عند جلوسهم في بعض المقاهي، أجابه: «إن لديهم شكوكاً بتقربي المفاجىء منهم. . وأعتقد أنهم يعرفون من انا. . ولذلك أخاف الاقتراب منهم».

• • •

في اليوم التالي اكتمل التقرير أمام مسؤول شعبة «الموساد» في السفارة الإسرائيلية بباريس، وبينما كان يتأمل المعلومات التي وضعت أمامه، طلب من مساعديه أية معلومات متوفرة عن «حامدي» في ملفات السفارة. وفهم أن المشروع المفترض يحاكي صيغة الوكالة اليهودية الدولية، التي انبثقت عن المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة «بال» السويسرية عام ١٨٩٧، وأن ليبيا طرحت المشروع على منظمة تديرها المخابرات الليبية تعرف بـ «المؤتمر العام للشعب العربي»، وإن أشخاصاً لبنانيين يرافقون حامدي في زيارته إلى باريس.

فكر كثيراً في جدية المشروع، ولم تكن لديه أية أدلة أو معلومات تشير إلى نية عمل حقيقي، لكنه انتظر ملف المعلومات الذي طلبه. . في تلك الأثناء شرح لمساعديه فكرة أساسية تستحوذ على تفكيره «ماذا لو كان هذا المشروع بإدارة عرب آخرين. . ؟ إن أموراً كثيرة ستختلف. . علينا أن ندرس تصرفات الليبيين على أساس قيمتها الدعائية وعلاقتها بالمزايدات السياسية العربية. .».

وضع أمامه ملف المعلومات الذي انتظره. . وقرأ فيه ملخصاً يذكر ما يلي:

إن حامدي شخص لم يعرف بنشاط سياسي أو فكري أو نقابي في الحياة العربية قبل توليه مسؤوليته الحالية ـ إمكاناته الثقافية والفكرية محدودة ـ يسافر كثيراً في أوروبا ـ تمكنت وكيلاتنا من الاقتراب منه ـ لدينا صور عن حياته الخاصة ـ يحب الإدلاء بالتصريحات ـ غير محبوب من مساعديه والعاملين معه ـ يعتمد عليه القذافي.

ضحك الدبلوماسي الإسرائيلي، وقال لزملائه: هؤلاء عرب لا يخيفون، ثم سحب صورة فوتوغرافية، وقال لمساعديه: وما دامت هذه الصورة تحت أيدينا.. فدعه يصرخ بما يشاء.. أرسلوا إشارة للعلم بهذه المعلومات إلى المركز العام في تل أبيب.

والتفت إلى مساعديه يستفسر عن آخر ما بعث به عميلان إسرائيليان من مدينة «طولون»، حيث كلفا بمراقبة أية شحنات ترسل إلى العراق من الميناء الفرنسي، وسأل عن الموقف العسكري في حرب الخليج، فأبلغه الحاضرون أن العراق دمر هجوماً إيرانياً في منطقة «الخفاجية» «سوسنكرد».

بعد أسبوع من ذلك التاريخ، تمنى المسؤول في السفارة الإسرائيلية لو أنه لم يبعث بمعلومات «ابن طوبى» إلى تل أبيب، عندما قرأ رسالة مختصرة وردته من هناك: ـ لا تشغلوا أنفسكم بأمور عابرة ليست من أهدافنا.. نؤكد على الاستمرار في الاتصالات مع أصدقائنا في وسائل الإعلام لمضاعفة الاتهامات ضد العراق بما يتعلق بالبرنامج النووي العراقي. على أن يتصاعد النشاط الإعلامي في الأسابيع المقبلة بصورة متواترة.. أعلمونا تحركاتكم شيئاً بشيء.. ولا تذهبوا إلى موضوعات لا تستحق الاهتمام.

ولم يجد الدبلوماسي الإسرائيلي إلا أن يصب لعناته على (ابن طوبى) واليهود الشرقيين، الذين أعلن لزملائه مجدداً «أنه لم يثق بهم يوماً من الأيام».

وأصدر أمره بعدم الاعتماد على «ابن طوبى» في الوقت الحاضر.

• • •

في عواصم عديدة كان هناك استنفار يعتمد توجيهات محددة وصلت من تل أبيب: حرضوا ضد العراق، واتهموه بالاستعداد لإنتاج قنبلة ضد إسرائيل.. تساءلوا ماذا يحدث لـ «شعب صغير» يعيش على شريط محدود ملاصق للبحر إذا ألقيت عليه قنبلة نووية؟؟

لم يعرف «المروجون» الذين استلموا تلك التوجيهات ساعة الصفر التي تنتهي عندها الحملة التي ألهبوا نارها، لكن الفترة من آذار «مارس» ١٩٨١ إلى أيار «مايو» من العام نفسه، كانت صاخبة في حياة الدبلوماسيين الإسرائيليين ووكلائهم وأصدقائهم والمتعاونين معهم من أعضاء الجمعيات الصهيونية والأصدقاء التقليديين لإسرائيل.. كان المليونير اليهودي الأسترالي «روبرت مردوخ» «Ropert Murdouch» الذي يملك عدة صحف في العالم منها صحيفة التايمز اللندنية، يتناول العشاء مع النائب البريطاني المحافظ «ونستون تشرشل» «Winston Churchill» حين وجده غاضباً ومعاتباً:

قال تشرشل، الفخور بأنه ابن أشهر رئيس وزراء في تاريخ بريطانية: إن لديك صحافيين سخفاء، فبدلاً من أن يسألوا حول التهديد النووي العراقي لإسرائيل، كانوا يسألونني أمس عن مشاكلي العائلية وعلاقاتي النسائية، وعن مطلقة الخاشقجي.. وخاطب «مردوخ»

بلغة المعاتب الصديق: إنك تتحمل مسؤولية في هذا الجانب.. فنحن مسؤولون جميعاً عن عرض موقف إسرائيل.

في اليوم التالي رفع «مردوخ» سماعة الهاتف على صحيفة «التايمز»، التي قلما يجد فراغاً يمضيه مع رئيس تحريرها، وأبلغ متلقيه في الجريدة: «إنه يشعر بالقلق على إسرائيل ويرى أن هناك حاجة فعلية للحديث حول نوايا العراق.».. بينما ظهرت لاحقاً تصريحات لنواب بريطانيين، منهم ونستون تشرشل، تتحدث حول احقية إسرائيل في القيام بأي عمل ضد العراق.

وذهب تشرتشل في مقاله بصحيفة التايمز إلى ضرورة تبرير أية خطوات تقدم عليها إسرائيل لمنع التطور النووي في العراق، وألحق ذلك باتصالات مع أعضاء مجموعتي أصدقاء إسرائيل في حزبيّ «المحافظين» الذي ينتمي إليه «والعمال» الذي يعاديه، بهدف إقناعهم بتكوين جماعة برلمانية معادية للعراق ومؤيدة لإسرائيل بما يتعلق بالسياسة النووية في الشرق الأوسط!

وتلقى المليونير الصهيوني «جيمس كولدن سميث» «James Colden Smith» مكالمة هاتفية تنقل إليه «توجيهات الربيع»، ولم يجد إجابة لمحدثه إلا أن يقول: العراق مرة أخرى.

وكان لرده ذاك ما يبرره، فمنذ خطط لإصدار مجلة سياسية أسبوعية فاخرة الطباعة باسم «Now»، وجد أن هناك أولوية خاصة للعراق من بين الأهداف التي تعمل ضدها الحركة الصهيونية، وهو نفسه ليس من الطراز الذي يخرج عما يعرف بالحملات التي تخدم إسرائيل. ولم يجد موضوعات يفتتح به مجلته غير العراق الذي جعل منه قصة غلافه

الأول عام ١٩٧٩، حين لفق اتهامات ضد العراق، ادعى فيها وجود تنسيق سوفييتي عراقي ضد دول أوروبا الغربية، واعتمد فيه على الصحفي البريطاني «روبرت موس» «Ropert Moss» الشهير بقصص المخابرات.

وعندما قامت الحرب العراقية الإيرانية لم يخفِ موقفه المنحاز لإيران.. أما التعليمات فإنها تتصل الآن بـ «خدمة مباشرة وسريعة» من أجل إسرائيل.. لذلك نقل على الفور تلك التعليمات إلى رئيس التحرير الذي كلف من يعد موضوعاً يهيء لقبول أي عمل تقوم به إسرائيل ضد العراق كان جيمس كولدن سميث مستعداً لأداء أي عمل لكي يحفظ لقب «لورد» الذي منح إياه بطريقة استنكرها الكثيرون، أيام «هارولد ويلسون» رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، الذي قدم للملكة أسماء رشحتها مؤسسات صهيونية وباركتها الحكومة الإسرائيلية، وكان «كولدن سميث» أحد أولئك الذين حصلوا على اللقب محمياً بالنفوذ الصهيوني، ومستظلاً بغطائه.

وغيره كثيرون.. كانوا في شبه إنذار، تركوا كل شيء وتوجهوا للعمل ضد العراق، أصحاب رؤوس أموال، برلمانيون، صحافيون، وظهر أشخاص ممن يحتفظ بهم كاحتياط لمثل هذه الحملات.. بينما أصبح «ابن طوبى» مصدراً مشلولاً لإسرائيل.

ففي باريس لم يتمكن «ابن طوبى» من التقاء الدبلوماسي الإسرائيلي الذي كلف بالاتصال به طوال شهر أيار «مايو» ١٩٨١ وأدرك أن عملاً كبيراً يشغله عنه، وكان إذا انطلق إلى مقاهي «الشانزليزيه» اشترى نسخة من مجلة «الاكسبريس»، فقرأ تحقيقاً حول مخاطر تحيق بإسرائيل، وشعر بالتقصير، وباضطراب غامض، ممتزج بالخوف

والشعور بالذنب، من كثرة ما وقعت عيناه على كلمة (العـراق) في المجلة. .

لعله ربط في عقله الباطني بين كلمة «العراق» والأشغال التي تمنع لقاءه مع الدبلوماسي الإسرائيلي، وانتابه بعض كسل. فهو لا يتلقى تعليمات جديدة، وليست لديه رغبة بالتجسس على رواد المقاهي العرب وملاحقتهم ما دام اللقاء مع صاحبه معلقاً، ولذلك أصبح كمن يجتر صور الماضي وتجاربه، فيتذكر الدور الذي لعبه قبل عامين، عندما كلف بالسفر إلى لندن، والتقى هناك بضابط اتصال استقبله مـع فتاتـين سمراوين جاءتا على نفس الطائرة من باريس، دون أن تجلسا جواره، وأمضيتا الدقائق الخمس والخمسين في إغفاءة عميقة فاقتا منها على تنبيه المضيفة.

في لندن تسنى له أن يدخل إلى بعض النوادي التي قيل له أن العرب يترددون عليها، وعاد بعد ثلاثة أيام إلى باريس دون الفتاتين اللتين التحقتا بواحد من تلك النوادي. . ولم يزل يذكر الصعوبة التي واجهها مع اللغة الإنكليزية التي لا يتكلمها، حيث يضطر للحديث بعربية ذات لكنة مغربية مع الفتاتين اللائي كانتا تترجمان له. . وتمنى وهو يستعيد صورة تلك الزيارة إلى لندن لو يلتحق بشبكة دعارة إسرائيلية تستخدم فتيات يتحدثن العربية ويلاحقن الزوار العرب في نوادي لندن، بدل أن يضيّع أوقاته في مقاهي الشانزليزيه. كان ابن طوبـى قد عايش جانباً من عمليات تشغيل شبكة الدعارة، حيث يجري الاتفاق مع فتيات من أميركا اللاتينية وشمال أفريقيا وقبرص ومالطا لتصوير لقـاءاتهن وعملياتهن الجنسية مع الشخصيات العربية التي تزور لندن، مقابل أجور تدفع بما يعادل ضعفي ما تحصل عليـه فتيات الـوكالات المحتـرفة،

ويرتبطن على انفراد بضابط اتصال إسرائيلي، حيث أن بعضهن يبقين على صلة دون أن يرفعن الجهة التي تذهب إليها خدماتهن.. وكانت الفتاتان اللتان كلف بمرافقتهما من باريس إلى لندن عضوتين في هذه الشبكة. وهو الآن يكاد يتلاشى تحت هاجس رغبته في الالتحاق بإدارة هذا التنظيم النسائي.. بعيداً عن باريس، ولن يحتاج غير دورة مكثفة باللغة الإنكليزية.

قطع النادل تأملاته عليه، وسأله إن كان يحب شيئاً من قهوة مُرة. فقال: ومن أين لكم هذه القهوة.. أجابه النادل: إن عندنا أكثر الرواد العرب في هذا الشارع، لذلك قررنا أن نقدم القهوة المرة قبل أن يسبقنا إلى ذلك أحد. وتناول اليهودي المغربي القهوة من النادل، وحين امتص الفنجان قطّب حاجبيه، وشعر أن علقمًا أسود قد تسلل إلى فمه، وكانت تلك أول مرة يتملك فيها النادل شعور بأن هذا الرجل ليس عربياً كما يدعي ويقدم نفسه للآخرين.. وقد اضطر الآن أن يتذوق قهوة صحراوية للمرة الأولى في حياته!

كانت تلك الإشارة كافية لينقل النادل إلى معارفه العرب ما لاحظه على الشخص المريب، الذي لا يعرف تذوق القهوة العربية رغم ادعائه أنه عربي.. وهناك كان مفتاح ثمين!

□ □ □

الفصل السادس

طوفان الكراهية!

طوفان الكراهية!

شعر الذين تلقوا مكالمات هاتفية من سكرتيرة اللورد الصهيوني «ويدنفيلد» (Wiedn Field) منتصف شهر حزيران ١٩٨١، تدعوهم فيها إلى لقاء في داره الواقعة بمنطقة «تشلسي» الراقية بلندن، إن هناك موضوعاً ذا أهمية قصوى. وقبل أن تلتقي وجوه رجال مال وصحافيين وبرلمانيين صهاينة في باحة داره، كان المدعوون قد وجدوا في ردود الفعل الدولية ضد إسرائيل بعد الإغارة على مفاعل «تموز» العراقي، طوفاناً لم يكن من السهل السيطرة عليه، وإيقاف امتداداته، بعد أن أنزل الجميع اللعنة على الإسرائيليين، وأسلوبهم في التعرض للآخرين.

قبل إقامة تلك الدعوة الواسعة، اجتمع بدار «ويدنفيلد» ممثل عن السفارة الإسرائيلية، مع عناصر صهيونية تتولى في العادة إدارة الحملات ضد العرب.. حين أقيمت الدعوة لم يكن ممثل السفارة موجوداً، ودار «اللورد» على الحاضرين يوزع التعليمات بين الأنخاب التي رفعتها أيدٍ قلقة، واستمع من الحاضرين إلى ملاحظاتهم التي تجمعت على الأمور التالية:

١ ـ إن الاستنكار العام للغارة على المفاعل العراقي، لم ينحصر بموقف القوى المعروفة بعدائها للصهيونية، بل اتسع ليشمل أشخاصاً

ومؤسسات لم تكن ترفض من قبل السلوك الإسرائيلي بالطريقة العلنية التي عبرت فيها عن نفسها هذه المرة.. وان من كان محايداً أصبح الآن منحازاً ضد السلوك الإسرائيلي.

٢ ـ رغم كثافة الاتهامات التي وجهت ضد العراق، تمهيداً للغارة، إلا أن منابر علمية وسياسية ومختصة وإعلامية كثيرة في أوروبا، رفضت تلك الاتهامات، وأكدت على سلمية أهداف البرنامج العراقي.

٣ ـ إن بلداً مثل بريطانيا، رغم عراقة النفوذ الصهيوني فيه، لم يتمكن من الصمت، واضطر زعماؤه إلى استنكار الغارة بدءاً من رئيسة الوزراء مارغريت تاتشر نزولاً إلى أصغر صحفي كان يتابع التطورات التي رافقت ولحقت بالعملية، وأشار الحاضرون في دار «اللورد» بالاتهام إلى وزير الخارجية السابق اللورد «كارنكتون»، والسير «ايان كلمور» مستشار الشؤون الخارجية أنذاك.

ومع شعور الآخرين بالاختناق من عواصف الإدانة الدولية أخذ اللورد «ويدنفيلد» المبادرة، واقترح صيغة تحرك متعددة الجوانب، كان قد مضى أسبوع واحد فقط على الغارة،.. وتوصل المجتمعون إلى اتفاق على مواصلة مهاجمة العراق وترويج الاتهامات ضده على أساس أن أي تراجع عن ذلك سيفند ما جاء في المبررات المعلنة للغارة. والاتفاق على مهاجمة أي مسؤول رسمي أوروبي يعلن موقفاً معادياً، وفتح المعركة ضده في المجالات المالية والانتخابية والإعلامية، وعدم التردد في اتخاذ هذه المواقف مباشرة، وجرى الطلب من الصحفيين إغراق مقالاتهم وتحليلاتهم بمعلومات متناقضة لا تلتقي مع بعضها لتعمية على حقيقة

ما جرى سياسياً وعسكرياً، وتضمين مقالاتهم وتحليلاتهم تفاصيل فنية لامتصاص أجواء الإدانة وتحويل الانتباه.

كان بإمكان «اللورد» أن يتصرف بحرية، فهو يحمل جنسية بريطانية إلى جانب أوراقه الإسرائيلية، ولديه نفوذ مالي كبير باعتباره ناشراً ثرياً، وهو أمر جعل بعض المسؤولين الرسميين يتوددون إليه لكسب رضاه، كما هو حال «هارولد ولسن» رئيس الوزراء الأسبق الذي حصل منه على مبلغ ربع مليون باوند بعد أن تبنى إصدار مذكراته المكرسة للدفاع عن إسرائيل. ولأنه قبل ذلك وبعده، عضو في مجلس اللوردات، لم يستغرب الحاضرون حين قال لهم بثقة: دعوا لي مهمة تنفيذ الكثير مما اتفقنا عليه.

لكن ذلك لم يغط على الامتعاض الذي انتشر في وجهه وهو يتحدث عن عملية تحولت مكاسبها السياسية لصالح العراق بعد أن صممت على العكس من ذلك زمناً طويلاً.

ودارت في داره بعد ذلك مناقشات كتلك التي تتناول مستقبل إسرائيل، وكان هناك قلة يضعون أيديهم على قلوبهم، وهم يشرحون احساساً غامضاً بأن هذا الكيان ـ مع كل استعدادهم لمساعدته والدفاع عنه ـ يخلق مبررات عزلته. واستمع ويدنفيلد إلى دقات قلوبهم بين كلمات التضامن والتشجيع التي يتبادلونها بينما كان الإحساس العميق لديهم، أن الخطر الذي يهدد هذا الكيان يصنعه بنفسه.

وعمل بعض المتطرفين على رد أصحاب هذا القلق الغامض.. ولكنهم فوجئوا بمن يعرض لهم أسماء كتاب يهود كانوا إلى فترة قريبة يقبلون كل ما يأتي من إسرائيل، على أنه حقيقة نهائية.. يطالبون الآن

بالفصل بين الحركة الصهيونية وتعبيراتها وبين «الأخطاء» التكتيكية لحكومة مثل حكومة «مناحيم بيغن».. فليس كل رئيس وزراء في تل أبيب «نموذجاً صهيونياً»، لذلك اقترحوا أن يروجوا كلاماً ضد «بيغن» مع دفاع لصالح إسرائيل، لكن صوت الأكثرية كان يردد أن بيغن مثال صهيوني، يستحق أن نعتبره بطلاً.

• • •

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح أقل فرد في العالم اهتماماً بالسياسة ومتابعة لأحداثها وشخوصها هو الفرد الأوروبي، حتى غدت الشؤون السياسية اختصاصاً يستحوذ على اهتمام صناع قراراتها، ومحلليها، ومتابعيها، والمعنيين بها، والمتأثرين بأحداثها بصورة مباشرة، وبعض من كان عنده وقت فائض ليتابع ما يحدث بعيداً عن غذائه وملذاته ودائرة حياته الاجتماعية.. لذلك لا يشعر بعض الأوروبيين بالنقص، عندما نكتشف هزال معلوماتهم عن الآخرين، وضحالة تفسيراتهم لما يجري في العالم. فهو لا يفكر بأحداث بلد من البلدان، إلا عندما يقرر شموله برحلته أيام العطلة، أو إذا ما اضطر للرجوع إلى مصادر المعلومات لفك الغاز الكلمات المتقاطعة. وترتبط هذه الشحة بالمعلومات عن الآخرين، بما تقرره وسائل الاعلام، وبخاصة الراديو والتلفزيون، ثم الصحافة، من مقادير معلومات مقررة لهذا الجزء أو ذاك من العالم.

من هذه النقطة ومع إدراك أن «ذاكرة الجماعة» ضعيفة وسريعة النسيان.. قررت شركة العال الإسرائيلية في لندن، أن يكون لها دور في امتصاص موجه الكراهية ضد إسرائيل في ذلك الصيف من عام ١٩٨١ فأيها أكثر إثارة للاهتمام عند الفرد البريطاني، أن يسافر إلى

سواحل البحر المتوسط ويتمتع بشمسها ببطاقة شبه مجانية، أم تمضيته أياماً إضافية يتابع فيها القرصنة الجوية الإسرائيلية؟.

وكما يقال «لا يعرف التاجر إلا التاجر».. كانت لدى التاجر الصهيوني حيلة يتسلل بها عبر الحس التجاري الكامن في دواخل الفرد الانكليزي.. المولع بما يعرض له مخفضاً عن أسعاره المعلنة.. وهي حيلة تحسست رغبة الإنكليزي بالسفر في مواسم الصيف إلى سواحل البحر المتوسط للاشتواء بناره المحمصة. لذلك، ووسط أجواء الكراهية والإدانة والاستنكار، أعلنت شركة «العال» عن سفرات مخفضة للطلبة والشباب والصحفيين إلى سواحل البحر المتوسط على ضفاف الأرض المحتلة، بربع المبلغ الذي ينفق على مثل هذه السفرة، فإذا بأولئك الذين كانوا يشمئزون من اسم إسرائيل و«بيغن» و«شارون»، يقفون في طوابير لقطع تذاكر السفر المخفضة ويرزمون حقائبهم، بعد أن تحولت أنظارهم عن جريمة لم يجف الدم فيها، وقعت خلف الباب الذي اتكأوا عليه.. فقد تسللت الصهيونية عبر الفسحة المتاحة من نقص المعلومات، وضعف الاهتمام، وميتة الضمير.

• • •

مع الأيام.. عقدت ندوات واجتماعات في مدن عديدة.. ففي مدينة «برايتون» الساحلية السياحية، عقد «المجلس الصهيوني المركزي» بالاشتراك مع الجماعة اليهودية ندوة حضرها «ايهود لابور»، وهو أحد الصهاينة البارزين في المجلس الذي يترأسه الصهيوني المتطرف «ديفيد سيليكمان»، كما حضر الاجتماع السفير الإسرائيلي السابق «شلومو ارغوف»، وحصل اجتماع مماثل في مدينة «شفيلد» نظمها «المركز اليهودي لشفيلد»، وحضره صهيوني آخر هو «ستانلي سينكرمان».. كما اجتمعت النساء الصهيونيات في منطقة «كولدن كرين» شمال لندن.

تحركوا جميعاً.. لأنهم شعروا صورة إسرائيل أصبحت قبيحة، وفكروا في امتصاص الرائحة النتنة التي تفوح من كلمة إسرائيل.

● ● ●

لا يحمل أعضاء المؤسسة الصهيونية بطاقات كالتي يحملها أعضاء الأحزاب الشيوعية في الدول الاشتراكية، وليست لديهم ألقاب ومناصب وتدرجات، ولا يجتمعون دورياً، ولا يكررون عبارات الولاء التي يلزم بها أعضاء الحركة الماسونية في محافل كسب الأفراد الجدد، ولكنهم مع ذلك يملكون تنظيمًا هلامياً يتصلب في ساعة واحدة.. يبدو في فترات الاسترخاء شبه غائب، ويشتهر أعضاؤه بالتناحر والتنافس والاقتتال عندما تصطدم مصالحهم، ولا يترددون بالتشهير ببعضهم، عندما تغرف يد يهودية من جيب يهودي. لكن ذلك التمزق والوضع الهلامي يتحول في ساعة الإحساس بالخطر حالة متصلبة تتجمل فيها المنازعات ويلتفت الرأس الأخطبوطي نحو العرب ليناطحهم بالشعور الدائم باحتمال الزوال والتلاشي، وهكذا.. يجدر بالعربي أن يحفظ أسماء أفراد ومؤسسات، تبدو متباعدة في فترات الاسترخاء والهدوء، ولكنها تتحول إلى حيوان مضطرب تشتهي أنيابه العرب وحدهم في لحظات التصادم والاحتكاك بهم.

اللوبي الصهيوني الذي يتعاضد في الأزمات يبدو متناثراً في فترات الاسترخاء.. مقسم في بريطانيا على الأدوار المكلف بها، فبينما أعطى مئات من الصهاينة أسماءهم وعناوينهم وأرقام هواتفهم إلى شبكة سرية ترسل الرسائل والتعليقات إلى الصحف مستخدمة تلك الأسماء الحقيقية والعناوين دون العودة إلى أصحابها في كل مرة.. هناك عشرات من الشخصيات والمؤسسات تؤدي أدوارها في حلقات مهمة حيثما تكون.

فمن الأسماء هناك «بارونيس أيلوت» وهي امرأة من أصل نمساوي زوجة أحد أفراد العائلة المالكة في بريطانيا يتكرر وجهها واسمها في المعارض والدعوات والحفلات ولا تتردد في استخدام أية مناسبة من هذا النوع لصالح إسرائيل.. و«ادوارد سيف» الذي أنقذه الحظ من موت محقق قبل عشر سنوات بعد محاولة جرت لاغتياله وهو صاحب المحلات التجارية المعروفة باسم «ماركس آند سبنسر»، والمليونير الصهيوني «هارولد بوستر» الذي يملك شبكة عقارات هائلة في لندن يغذي بأرباحها جزءاً من العمل السياسي والإعلامي الصهيوني.. و«جين مونمن» القاضية في المحكمة البريطانية والعضوة المتطرفة في اتحاد الفيدرالي الصهيوني البريطاني الإيرلندي وزوجة «ارك مونمن» العضو العمالي السابق في البرلمان، الذي يدير جوانب من عمل هيئة الشؤون الخارجية البريطانية ـ الإسرائيلية ومقرها في رقم «١٣٤ ـ ١٣٦» شارع بيكر.. وسط لندن، و«اللورد جانز» الذي خلّف ابناً لا يقل عنه تطرفاً هو «غريفيل جانز» رئيس مجلس النواب اليهودي في بريطانيا والعضو البارز في حزب العمال.. وهناك أيضاً «ايان ميكاردو» و«فرانك الون» عضوا اللجنة الدولية لحزب العمال، و«إسحاق ولفسون» الذي لا يبخل ببعض من ثروته الهائلة للصرف على الحملات المعادية للعرب، و«ميخائيل فدلر» عضو المنظمة الصهيونية العامة التي تتخذ من رقم «١٧» في شارع توتنغهام» مقراً لها.

كانت لهؤلاء جميعاً أدوار محددة في حملات إيقاف الكراهية ضد إسرائيل بعد الإغارة على المفاعل العراقي، مستفيدين من أغطية المنظمات الصهيونية بأعضائها اليهود وغير اليهود.

* منظمة «هيم أوحاد كيبوتور» وهي متخصصة بالدعاية لنظام

المستوطنات في الأرض المحتلة.

- الاتحاد الفيدرالي الصهيوني البريطاني ـ الإيرلندي ومقره في منطقة «فينشلي» اليهودية الغنية.
- اتحاد النساء الصهيونيات في بريطانيا وإيرلندة.
- أصدقاء إسرائيل العماليون، وهي منظمة صهيونية بريطانية أبرز أعضائها رئيس الوزراء الأسبق «هارولد ولسن» ومن أعضائها الصهيوني «ايان مكاردو» واللورد «ساينسبري» الذي يعد من الأثرياء المشهورين.
- أصدقاء إسرائيل المحافظون وأبرز أعضائها الدوق «ديفون شاير».
- منظمة «حيروت» وهي جزء من حزب «حيروت» الصهيوني ويقوم أعضاؤها بالتعرض والتظاهر ضد المؤسسات العراقية كما يتولون مهمات الدعاية.
- الأعضاء في حزب «الأحرار» المتضامنون مع إسرائيل وأبرزهم «ستيفن روس».
- الحزب الاشتراكي الصهيوني «مابام» في بريطانيا وإيرلندة.
- الوكالة اليهودية ـ ومقرها في شارع فينشلي رقم ٧٣١ في المقاطعة «١٢» شمال لندن وأبرز أعضائها الدكتور «ليفنبيرغ».
- مجلس النواب اليهودي الذي كان يترأسه اللورد «غريفيل جانز» الذي يوصف بأنه صهيوني أكثر من بيغن وشاميرا.

□ □ □

الفصل السابع

طهران ـ بريتوريا
من أجل عيني تمارا!

طهران ــ بريتوريا
من أجل عيني تمارا!

من شدة الإجراءات الأمنية والازدحام الشديد أمام واجهة فندق «الانتركونتتنال» في لندن، والإرهاق الذي أصاب عاملة البدالة فيه وهي تتلقى عشرات المكالمات من صحافيين ودبلوماسيين يطلبون الحديث مع رؤساء وأعضاء وفود منظمة الأوبك المقيمين في الفندق، فقد ارتبكت وحولت المكالمة التي تلقتها قبل قليل من الساعة الثانية عشرة منتصف الليل، إلى غير الشخص المطلوب، فرفع ابن أحد وزراء النفط العرب المشهورين سماعة الهاتف ودار حوار بينهم لبضع لحظات، قال المتحدث:

ــ إن السيارة ستكون جاهزة يا صاحب السعادة في موقف السيارات تحت الأرض بعد خمس دقائق.

ــ أية سيارة.

أجاب المتحدث:

ــ لقد أعددنا سيارة الكاديلاك السوداء كما أمرتم بذلك سيادتكم.

واستهوت اللعبة الشاب الذي يرافق أباه الوزير إلى هذا المؤتمر

المهم الذي تعقده منظمة الأوبك في لندن.. فأبدى اهتمامه بحديث الرجل المجهول، ولم ينف علاقته بالأمر، فاستمع إلى شرح إضافي: «نحن مطمئنون الآن إلى أن الصحفيين قد تركوا الفندق وغادر المصورون الشارع المقابل. وبإمكانكم أن تأخذوا المصعد الذي يؤدي إلى الطابق ما تحت الأرض بعد خمس دقائق.. لننطلق من هناك إلى دارها!».

عندها قرر الشاب أن يوقف اللعبة، وسأل محدثه عن الشخص الذي أراد أن يتكلم إليه، فصاح الرجل على الطرف الآخر.. ألست سيادتكم مستر كرزي..؟

هناك.. كبت الشاب ضحكة في صدره وقال ببساطة: أعتقد انهم أعطوك غرفة أخرى، عاود مرة ثانية لتعثر على السيد كرزي.

السيد كرزي وزير النفط الإيراني المعروف باسم «محمد غرضي» الذي تولى هذه الوزارة بعد وزيرين للنفط هما «معين فري» وقبله زميله الأسبق «تاندوكيان» الذي وقع في أسر القوات العراقية على مشارف مدينة عبادان عام ١٩٨٠ أما هذه المكالمة الهاتفية الغامضة فكانت تخفي وراءها سرين إثنين، لم يكن لهما أية علاقة بأعمال الدورة الاستثنائية لوزراء نفط الأقطار الأعضاء في منظمة الأوبك التي عقدت في فندق «الانتركونتنتال» بلندن عام ١٩٨٣ لتحديد حصص الإنتاج والاتفاق على سعر موحد لنفوط الأوبك. وهي الاجتماعات التي عرفت أكثر مفارقات المنظمة إثارة في تاريخها، حين كان الوزير الإيراني يطالب صباحاً بأعلى الأسعار لبيع نفوط الأوبك «٣٠» دولار ويعرض بعد الظهر نفط بلاده بأربعة دولارات أقل من السعر الرسمي للمنظمة.

أما السران فيتعلقان بالجولات الغامضة لغرضي بعد منتصف الليل، وهنا تأتي حكايتهما.

● ● ●

هربت حسناء إيرانية إلى لندن أواخر أيام الشاه، واستطاعت أن تجمع ثروة من المال من رجال أعمال وسياسيين أقامت علاقات معهم، وكان جمالها الذي يجمع بين قساوة عيون سكان سواحل بحر قزوين وسلاسة بشرة الجبليين هومبعث هذا الاهتمام الذي تحظى به عينان سوداوان وسيعتان وبشرة بيضاء، وشعر فاحم يتدلى على كتفيها اللذين يعلوان جسداً فارعاً.

ومنذ مجيء الخميني على رأس السلطة الجديدة في إيران لم تكن بحاجة إلى الخروج إلى الأماكن الفاخرة لتلتقط زبائنها، فقد بدأ المندوبون الرسميون يتوافدون على دارها منطقة «Regent Park» «رجنت بارك» الجميلة شمال لندن، وحمل إليها رجال دين بأزياء أوروبية ووزراء ومساعدون لهم، وضباط إيرانيون الهدايا وهم يدخلون دارها الفاخر في ساعات متأخرة معظم الأحيان. وتعودوا أن يتبادلوا رقم هاتفها بحيث يكون بين الأوراق التي يحملونها في حقائبهم الدبلوماسية وهم يحلون في لندن لعقد صفقات سلاح أو اتفاقيات للتدريب أو شراء معدات صناعية أو مواد غذائية أو للاتصال بمندوبين من دول أخرى، وهكذا التقى أكثر من وزير إيراني طوال أربع سنوات مع «تمارا»، وكان أكثرهم تردداً عليها هو «محمد غرضي» وزير النفط بسبب كثرة سفراته التي تكون له فيها أيام إقامة أو مرور بلندن، وكانت السيارة الكاديلاك السوداء المعدة بعد أن هدأ ضجيج المؤتمر مكلفة بنقله إلى دارها، قبل أن يتسبب خطأ في إدارة قرص الهاتف في الكشف عن أمرها، كانت هناك مهمتان لتلك

السيارة، إحداهما الوصول إلى «تمارا»، أما الثانية فكانت تتعلق بالوصول إلى مكان لعقد اجتماع بالغ الأهمية لإيران.

لم يكن «غرضي» قد فكر بمسؤولياته كوزير في اجتماع الأوبك طالما كان مساعده «هيردوست» يدير معظم الأعمال الرسمية، ويتولى الاتصالات داخل المؤتمر، ويتابع مع السلطات البريطانية تدريب عدد من الإيرانيين العاملين في حقول النفط.

واكتفى الوزير بمهمتين عدا حضوره الصباحي إلى المؤتمر. الأولى واجباته مع «تمارا»، والثانية إجراء اتصالات سرية لم يكن من المناسب اطلاع سواه من صغار الموظفين عليها.

● ● ●

يعد ديفيد كيمحي مهندس العلاقات الإيرانية ـ الإسرائيلية، لأنه يجمع بين خاصيتين، فهو نائب سابق لمدير جهاز الموساد وكان يدير من موقعه ذاك العمليات الإسرائيلية في إيران، أما الآن فهو مدير عام وزارة الخارجية الإسرائيلية وعلى صلة يومية بالموساد ويتيح له ذلك الاطلاع على نشاطاته وتصوراته وخططه ويمكنه وضعه الحالي من تقديم مشورته وخططه، وبسبب حماسه لتطوير العلاقات مع إيران تحت شعاره المعروف «منع دخول اليسار إلى الحكم» انيطت به مهمة التنسيق بين الخارجية والموساد ووزارة الدفاع لتنظيم العلاقة مع إيران، ولذلك حصل على موافقة «إسحاق شامير» عندما كان وزيراً للخارجية في حكومة (بيغن) بأن «تتدخل إسرائيل لدى أصدقائها بصيغ مباشرة لمساعدة إيران وتسهيل حصولها على مساعدات عسكرية، وكسر العزلة المفروضة عليها».

واقترح أن يجري نشاط خاص في الساحة الإفريقية التي سبق له العمل فيها تحت امرة «اريئيل شارون» حين كان وزيراً للدفاع، حيث وضعا معاً صيغة التحرك للعودة إلى القارة السوداء بعد حملة المقاطعة الإفريقية الجماعية التي أعقبت حرب تشرين أول «أكتوبر» ١٩٧٣، وأشرف أنذاك على زيارة تاجر السلاح الصهيوني ـ الأميركي «أربيه كلنجر» إلى إفريقيا. . وقد ألحق كيمحي اقتراحه بتحديد وسائل جديدة لتطوير اللقاء الإيراني ـ الإسرائيلي في إفريقيا، وحيثما توافق على ذلك أنظمة صديقة لإسرائيل، وتشير معلومات مؤكدة أن تقريراً سرياً لديفيد كيمحي كان يدعو إلى عدم الاكتفاء بما قدم من تسهيلات في سوق السلاح السوداء في أوروبا لتزويد إيران بالسلاح، بل ذهب إلى وجوب التوجه نحو أقطار إفريقية لتحقيق الأهداف التالية، في ضوء الحاجات الإيرانية العاجلة التي تبلغ بها ضباط الاتصال الإسرائيليون:

- تأمين موافقة دول إفريقية على إصدار شهادات المنشأ للأسلحة باسمها بسبب تحفظ بعض الدول والشركات على البيع المباشر لإيران.
- المساعدة على تطوير العلاقات التجارية.
- توريد الأسلحة من الدول القادرة على انتاجها.
- الاتفاق على تعيين ضابطي اتصال إيراني وإسرائيلي في «بريتوريا» إضافة إلى ضباط الاتصال الموجودين حالياً في أوروبا.

ويشير تقرير كيمحي إلى أن التعاون الذي سيجري في تلك القارة لن يكون مادة للإعلان والصحافة كما حصل لتحركاتهما المشتركة من قبل في قارة مفتوحة كأوروبا.

تعد جنوب إفريقيا أكثر الساحات انفتاحاً أمام إسرائيل في

العالم. هناك شعور مشترك بالتماثل والحاجة إلى التكافل والتعاون. وبخاصة في المجال التسليحي وتبادل الخبرة والمعلومات المتعلقة بالذرة. فحكومة بريتوريا سبق أن استلمت من إسرائيل طائرة استكشاف بدون طيار مجهزة بآلات الكترونية وعدسات تصوير.. استخدمتها في الموزنبيق وانغولا، واشترك الجانبان في إنتاج طائرة هيليكوبتر مروحية، إلى جانب التباحث الحالي لتزويد جنوب إفريقيا بطائرة «الكافير» الإسرائيلية، عدا عن الطرادات والصواريخ التي يجري التفاوض عليها. والتعاون في المجال الصناعي «صقل المجوهرات والنسيج والالكترون والفحم» وهي أمـور كشف عن تفصيلاتهـا الصحفي البريـطاني جيمس آدمز «James Adams» في كتابه الذي صدر ١٩٨٤ بلندن حول العلاقات بين الجانبين. ولذلك كان التفكير بفتح هذه الساحة الإفريقية أمام إيران تصرفاً إسرائيلياً طبيعياً ومتوقعاً.

منذ اتفقت الخارجية والدفاع والموساد على مقترحات كيمحي، ساعدت إسرائيل إيران في الحصول على وثائق دول المنشأة لعدة صفقات سلاح، بعد أن اقنعت إسرائيل وزير دفاع ورئيس أركان دولة إفريقية يقيم فيها أربعة آلاف خبير وفني إسرائيلي، لإصدار تلك الوثائق باسم دولتهما مقابل «هدية» مناسبة عن كل صفقة تجاوزت نسبة ٢ ٪ من قيمة الصفقة لكل منهما.

كما جرى الاتفاق في صيف ١٩٨٢ على تقسيم الأسلحة التي غنمتها إسرائيل بعد غزو لبنان بين لبنان ودولة «زائير» حيث تم بيع أسلحة قيمتها (٥٠) مليون دولار إلى إيران وسلمت الكمية المتبقية من أسلحة خفيفة ومدافع محدودة المدى إلى حكومة «كينشاسا» وجرى إعلام الطرفين بانهما المستفيدان الوحيدان من تلك الأسلحة. ولذلك كان

إعلان الرئيس الزائيري (موبوتو) عن إعادة العلاقات مع «إسرائيل» تعبيراً عن شعوره بـ (العرفان) وعلى أمل تطوير المساعدات في مجال التدريب والتسليح للمستقبل.

أما أهم العلاقات التي أسهمت «إسرائيل» في بنائها لصالح إيران فكانت مع حكومة جنوب افريقيا في بريتوريا والتي كان على وزير النفط الإيراني (محمد غرضي) أن يلعب دوراً أساسياً فيها وكانت اللقاءات السرية التي أجراها على هامش مؤتمر الأوبك في انتركونتننتال لندن واحدة منها!

• • •

كانت هناك مصفاة نفط إيرانية تأسست في جنوب افريقيا عام ١٩٧١ برأسمال قدره (٥٦ مليون دولار) والتحق للعمل فيها منذ ذلك التاريخ أكثر من ثلاثمائة مهندس وعامل إيراني، وعندما تولى شاهبور بختيار رئاسة الوزارة الإيرانية بعد سفر الشاه ١٩٧٩ أمر بتشكيل لجنة لدراسة إمكانية بيع المصفى إلى شركة أو دولة أوروبية.. لكن الموضوع جُمّد في الأشهر التالية وبقي الأمر كذلك حتى عام ١٩٨٢ عندما جرت اتصالات إيرانية ـ بريطانية حول بيع المصفى إلى بريطانيا ثم قامت ثلاثة وفود إيرانية بالسفر إلى جوهانسبرغ للبحث في مستقبل ملكية المصفى.

في أواسط ١٩٨٣ كان قد اتفق -بصورة دائمة على تعيين ضابط اتصال «إسرائيلي» ينسق مع ضابط اتصال إيراني في لندن، إلى جانب ضابط مماثل عين في أثينا يدعى (هوشنك نيّا) وآخر جرى اقتراح تعيينه في جنوب إفريقيا بناءً على تقرير «كيمحي» وقد أعد الضابطان الإسرائيلي والإيراني الموجودان في لندن ملفاً مشتركاً نقله إلى الوزير (محمد غرضي) رئيس شركة النفط الوطنية الإيرانية في لندن (السيد

يوسفي) بعد أن أجرى بدوره مناقشة شاملة لما تضمنه التقرير من مقترحات «إسرائيلية» بهدف إعانة الإيرانيين وتسهيل تحركهم في إفريقيا. واشترك في ذلك النقاش (الدكتور سلافاتي) مندوب الخميني في الشركة و(عبدالله شاعري) رجل الدين الذي يتولى المسؤولية الإيديولوجية فيها.

كان على الوزير (غرضي) أن يتخذ قراراً بشأن المقترحات «الإسرائيلية» ويعطي الضوء الأخضر لتنفيذها ولذلك تسللت سيارته السوداء بعد منتصف ليلة اليوم الثاني لمؤتمر الأويك بعيداً عن دار «تمارا» لتدخل في قلب لندن وتستقر في شارع خلفي لبناية (كروفنر هاوس) في منطقة «باركلين».. وهناك جرى لقاء ثلاثي ضم الوزير (غرضي) ورئيس فرع شركة النفط الإيرانية في لندن (يوسفي) وضابط الاتصال الإيراني الذي كان يعرف باسم (هاشمي) وهو من عناصر «السافاما».. وبعد ساعة ونصف وافق (غرضي) على ما يلي:

١ ـ التخلي عن فكرة بيع مصفى النفط الإيراني الذي كان الشاه قد بناه في جنوب إفريقيا، واعتباره مركزاً للاتصالات السياسية والتجارية والاستخبارية يعمل لصالح إيران ويتولى تنسيق العلاقات مع حكومة جنوب افريقيا.

٢ ـ زيادة عدد العاملين فيه من «ثمانية» إلى «خمسة عشر» شخصاً يرتبطون إدارياً ومالياً بشركة النفط الإيرانية في لندن، وتحول إليهم رواتبهم عبر «ميد لاند بانك» «Mid Land Bank» البريطاني.

٣ ـ يعين أحد العاملين في إدارة المصفى كضابط اتصال مع ضابط

إسرائيلي يجري تعيينه من قبل رئيس الاتحاد الصهيوني هناك يوليوس فانشتاين بحيث يكون من مواطني جنوب إفريقيا.

٤ ـ قبول الاقتراح الإسرائيلي بالتفاوض مع حكومة بريتوريا لشراء رشاشات «عوزي» الإسرائيلية التي حصلت جنوب إفريقيا من قبل على رخصة إنتاجها باعتبارها أكثر الأسلحة تداولاً لدى الحرس الإيراني.

٥ ـ إجراء أبحاث مشتركة إسرائيلية إيرانية بالتعاون مع حكومة جنوب إفريقيا في المجالات العلمية، يكلف بمتابعتها المكتب الإداري الإيراني المشرف على مصفى النفط هناك.

وشعر «غرضي» بسعادة كبيرة وهو يستمع إلى خبر سار تركه له ضابط الاتصال الإسرائيلي، حول مفاتحة حكومة مناحيم بيغن للرئيس الليبيري «صاموئيل دو» عند زيارته إلى القدس، لتشجيع السفن المسجلة في «ليبيريا» أو التي تحمل أعلامها، على الإبحار نحو الموانىء الإيرانية ونقل شحنات من النفط الإيراني، وقد وعد «دو» بذلك، وطلب نقل موافقته إلى الحكومة الإيرانية.

ولعل الجميع يتذكرون هذا الرئيس الإفريقي الذي وصل إلى الحكم بانقلاب عسكري وهو برتبة «عريف» في جيش ليبيريا. وفتح أبوابها لتكون مدخلاً واسعاً لنشاط «الموساد»، وقرر نقل سفارة بلاده إلى القدس وكسر طوق المقاطعة الإفريقية لإسرائيل، واستقبله «مناحيم بيغن» وكأنه زعيم حقيقي!.

قبل أن ينتهي الاجتماع أخبر «غرضي» موظفه.. رئيس شركة النفط الإيرانية بلندن انه سمع عبارة جارحة من أحد الصحفيين العرب

الذين اقتربوا منه بعد الاجتماع الصباحي، عندما سأله: هل تشعرون انكم تعيشون عزلة مثل عزلة «الغيتو» التي عاشها اليهود في أوروبا قبل الحرب الثانية؟

ولم يذكر «غرضي» لموظفه الذي كان يصغي إليه لماذا تذكر ذلك السؤال وهو يبتهج بالعلاقات الثلاثية بين بلاده وتل أبيب وبريتوريا.

إن ما جرى التوصل إليه عام ١٩٨٣ بمباركة إسرائيلية لم يكن سوى استمرار لعلاقة إنتعشت بعد انفجار الحرب العراقية ـ الإيرانية، وكان أهم ما عرفته هو استخدام جنوب إفريقيا كوسيط لنقل مجموعة من مئات الصور الفوتوغرافية التي التقطتها الطائرات الإيرانية، من غاراتها في الأيام الأولى للحرب، لمدينة بغداد وبالتحديد للمنطقة التي بني عليها مفاعل «تموز» النووي السلمي. وهو أمر شجع توقيع أكبر صفقة سلاح بين إسرائيل وجنوب افريقيا بلغت قيمتها «٩٨» مليون دولار قبل القيام بالغارة على مفاعل تموز بثلاثة أشهر فقط.

أما «تمارا» الحسناء فقد تحملت من الوَزير دمه الثقيل، وقبلت بزيارتيه لها لأنه حمل خلالها أثمن الهدايا التي استلمتها منذ مجيء الثوار الجدد إلى الحكم في إيران، ولم تكن تعرف أي صفقة عقد قبل أن يذبل عند حوافي عينيها الواسعتين.

● كانت (تمارا) بعضاً من الوقت زوجة لتاجر السلاح الإيراني (كالوسيان) وقد سميت (كلود أوف بريتن) إشارة إلى «مدام كلود» الفرنسية المشهورة ـ راجع الفصل التاسع

الفصل الثامن

قصة «كوكال»!

قصة «كوكال»!

متعهد لدفن الموتى.. وكيل لنقل المسافرين بالقوارب النهرية.. تاجر يتنقل على ضفتي شط العرب. ذلك هو أشهر جاسوس إسرائيلي عرفه العراق في القرن العشرين، الباكستاني الذي ورث عن أبيه الحاج «جيتا» ثروة كبيرة جمعها بعد دخوله العراق إبان الحرب العالمية الأولى حين استقر في مدينة البصرة يدير منها أعماله التجارية بين العراق والباكستان والهند عبر شبكة نقل نهري وبحري.. كان أبوه «الحاج جيتا» شديد الولاء للحكومة البريطانية، قدم في بداية القرن الحالي، كل ما استطاعه من مساعدة للقوات البريطانية عند دخولها البصرة حتى توفى ودفن فيها. فانتقلت أعماله إلى ولديه.. عبدالحسين ومصطفى.. اللذين اتسعت أعمالهما وتعددت نشاطاتهما.. واتخذ عبدالحسين من البصرة مكاناً دائماً له، بينما استهوت الرحلات المثيرة أخاه مصطفى الذي أدار جانباً آخر من أعمال عائلة «كوكال» وهو الاسم الذي عرف به أفرادها.. فالأخوان عبدالحسين ومصطفى والأب جيتا والجد باباتي. هم أعضاء في العائلة التي كانت معروفة في نصف القرن الماضي لدى البحارة والقراصنة في الخليج وشط العرب، ثم أصبحت تعرف باعتبارها أكثر العوائل ثراءً العالم. وهي عائلة كتب لها الحظ أن

ترى مسرات كثيرة إلا مرةً واحدة عندما لاحظ أهل البصرة أن عبدالحسين جيتا قد نصب جهازاً لاسلكياً على قمة كنيسة «السبتيين» فأثار ذلك شكوكهم. بينما كان هو بما يملكه من علاقات ومعارف أكثر استرخاءً، مما يتوقع، والبلاد تمر آنذاك بظروف سياسية جديدة لا يعرف البعض كيف ستتطور في صيف ١٩٦٨ بعد سقوط حكومة عبدالرحمن عارف. وكان لديه شعور كبير بالثقة بأن نشاطاته التي قام بها سنوات طويلة قبل ذلك ولم تنكشف ستستمر قبل أن يتدبر النظام الجديد في البلاد إرساء قواعده. ولكن الأمور تطورت كما لم يحسب لها التاجر الذكي، فقد راقب شبان ثوريون متحمسون أوضاعه ونقلوا ذلك إلى السلطات الجديدة التي رأت أن أكبر التحديات التي تواجهها بعد استلام الحكم هي تطهير العراق من شبكات تجسس تعمل لصالح إسرائيل. وهكذا انتقلت وحدات عمل إلى البصرة تراقبه وتسجل تحركاته وتلتقط له ولليهودي ناجي زلخا الصور، حتى إذا اكتملت مستمسكات إدانته داهمته مجموعة من الرجال، واقتادوه إلى غرفة التحقيقات فما أن أنكر أي نشاط سري أو تجسسي حتى وضعت أمامه صور للقاءات سرية أجراها مع زميله «ناجي زلخا»، ولقطات للأجهزة التي استخدمها وأشرطة تسجيل لصوته وأحاديثه السرية.

كانت الشكوك المثيرة حول عبدالحسين جيتا قد بدأت ــ كما يروي لي أحد السياسيين المخضرمين الذين رصدوه في الأربعينات والخمسينات ــ حين بدأ بالتقرب من شخصيات سياسية وطنية معروفة بمواقفها المعارضة ضد الحكم الملكي وعلاقاته مع بريطانيا وموقفه من قضية فلسطين. فحاول أن يقنع السيد جعفر البدر عضو اللجنة المركزية للحزب الوطني الديموقراطي للعمل معه في المجال التجاري،

وكان «البدر» الشخص الثاني بعد السيد كامل الجادرجي في قيادة الحزب، وقد عرف بنزاهته وصلابة مواقفه المعارضة للحكم. وتعرض للضغط من جهتين لكي يعمل في التجارة دون أن يُطلب منه صراحة التخلي عن العمل السياسي. ورأى عبدالحسين جيتا أن «البدر» هو وجه وطني اجتماعي معروف، ومن عائلة ذات صلات تقليدية مع رجال الدين ولكنه رغم ذلك ظل بدون عمل وتحت وطأة ضيق مالي معروف. وبعد محاولات متكررة أصبح «البدر» «مديراً» في مؤسسة «كوكال» بالعمولة عن كل ما يتعلق بتجارة الحبوب في الاستيراد والتصدير لعموم العراق، وكانت المحاولة الثانية التي عززت الشكوك بعبدالحسين جيتا، قد جاءت من شخص آخر هو محمد سعيد النقيب الذي بنى معمل «البيبسي كولا» وعين «البدر» مديراً عنده مقابل راتب مقطوع، وفلس واحد عن كل قنينة من البيبسي، وكان سبب نمو الشكوك متعلقاً بالنقيب نفسه.. الذي أُدين بالتجسس وهرب خارج العراق بعد إعدام جيتا. وبتلك المحاولة تقاعد جعفر البدر من المعارضة. وأصبح تاجراً لا تنجده ساعات يومه لتغطية التزاماته وجمع ما يستطيع من أرباح.

في جانب آخر، كرس عبدالحسين جيتا جزءاً من أعمال مؤسسة «كوكال» لتوريد السلاسل الحديدية والأكفان والسيوف والطبول وتوزيعها في المواسم الدينية مجاناً، والتقرب من الأوساط الدينية بطريقة كانت تثير الحفيظة منذ ذلك الحين.

وتكررت محاولات شراء الذمم كما حصل مع حسن عبدالرحمن من حزب الجبهة الشعبية الذي ظهر سنة ١٩٥٢ لبضعة أشهر باندماج الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال، فقد كان «حسن» محامياً،

وسياسياً معروفاً بمعارضته النشيطة وحماسه الوطني، فما أن تورط في أعمال تجارية مع عبدالحسين جيتا حتى ترك المعارضة وصب اهتمامه على التجارة.

أما «زكي زيتو» فقد صار صديقاً حميًا لعبدالحسين، فتح له محلاً لبيع الساعات والمجوهرات في البصرة، لكن السنوات التالية كشفت أسرار تلك الصداقة، عندما وضع البصريون أيديهم على سر الكنيسة في منطقة «العزيزية»، حيث كان زكي زيتو مسؤولاً عن نصب وتشغيل جهاز لاسلكي في محراب كنيسة «السبتيين» يستخدمه عبدالحسين في بث المعلومات إلى مركز استلام إسرائيلي.

أما التلميذ الفعلي لعبدالحسين فكان الأخ الأصغر «مصطفى»، مع الفرق الظاهر في شكليهما، عبدالحسين وقد دخل العقد السادس من العمر، قصير وبدين ومتكرش. أما مصطفى، فما زال شاباً وسيمًا، أطول من أخيه، وأكثر استعداداً للقيام بأي عمل طالما كان يخدم مؤسسة «كوكال» ويمنحه خبرة إضافية.. وكثيراً ما كان يجلس في استعلامات مؤسسة العائلة المكونة من أربعة طوابق في سوق التجار بالبصرة. فتح عينيه في التجارة والسياسة على الدروس الأولى التي أملاها عليه الأخ الأكبر.. عبدالحسين. ولعل من أكثرها إثارة قصة «الشعير الذي تحول إلى رز». إذ كان الحاج عبدالحسين قد سعى إلى خلق هالة حول نفسه وإظهارها بمظهر ديني لانتزاع ثقة الناس به، وليرفع حاله إلى حال «الولي الصالح». فإذا كان السوق يعاني من نقص في الرز. بث إشاعة فيه عن وصول وجبة من الشعير لحسابه في ميناء البصرة بما يثير إحباطاً عند الناس الذين ينتظرون «الرز». عندئذ يدعو الناس للحضور إلى مخازنه ويريهم أكياساً كتب عليه «حنطة» و«شعير»، ثم يهلل ويكبر ويطلب من

الله تعالى أن يحول الحنطة والشعير إلى «رز». بعد ذلك يطلب من الناس أن يفتحوا الأكياس بأنفسهم. فإذا بها مليئة بالرز. آنذاك يكون قد استلب إعجاب ودهشة الحاضرين بعد أن خدعهم بما كتب على أكياس الرز!

• • •

ركزت إسرائيل في بناء شبكات التجسس على اتخاذ مراكز إدارة لها من مدينة البصرة الحيوية بموقعها ونشاطها التجاري، وسهولة تأمين الاتصالات عبر السفن التي تصل إلى مينائها، فما أن ألقى القبض على عبدالحسين جيتا «كوكال» حتى استعاد العراقيون قصة الجاسوس «شفيق عدس» الذي كان يدير في البصرة شركة «عدس وشركاؤه» واعتقل وحوكم وأعدم في البصرة أواخر الأربعينات في واقعة هزت البلاد ونبهت إلى أن الكيان السياسي الذي نشأ في فلسطين بدأ منذ الأيام الأولى لنشوئه أعمال التجسس ضد العراق مستخدماً يهوداً كانوا ما يزالون فيه. وتكرر اعتماد نقاط تجسس في البصرة باستغلال حركة التهريب عبر شط العرب من وإلى إيران، حيث كانت السلطات الإيرانية توفر دائماً الأغطية المناسبة لذلك النشاط، ويجري أحياناً تنسيق إسرائيلي إيراني مباشر، كما جرى في منتصف الستينات عندما ألقي القبض على رجل عراقي بتهمة تهريب قمصان رجالية عبر شط العرب إلى إيران، واكتشف المحققون أنه لم يكن سوى عضو في شبكة تجسس إسرائيلية تخطط لتهريب طائرة «ميغ ٢١»، وإن القمصان التي كان يهربها لم تكن سوى غطاء، إذ ينقل على الأوراق الصلبة الموجودة بداخلها تقارير تحمل معلومات عسكرية يستلمها في إيران ضباط اتصال إسرائيليون يعملون بحماية السلطات الإيرانية.

• • •

كان «مصطفى» بعيداً عن مشهد النهاية. الإدانة والمحاكمة والموت. وظل ينتظر فرصته للثأر من العراقيين الذين شنقوا أخاه «عبدالحسين» وداسوا على اسم العائلة المتنفذة. حتى وجد تلك الفرصة المنتظرة بعد اثني عشر عاماً من ذلك التاريخ حين انفجرت الحرب العراقية ـ الإيرانية. ولعل من مفارقات حياة مصطفى كوكال أن هروبه الأول من العراق عند إلقاء القبض على أخيه، كان باتجاه «المحمرة» بعد توقف قصير من الكويت. اعتمد لمواصلة عمله التجاري في إيران على عنصرين. أحدهما الثروات والممتلكات التي كانت موجودة لحساب عائلته هناك، ووجود مكتب للنقل البحري فيها، والثاني حماية السلطات الإيرانية له في عهد الشاه. وفي مرحلة تالية ترك «المحمرة» ليعود إلى الباكستان متخذاً مقراً دائماً يدير منه أكبر مؤسسات النقل البحري في آسيا. وتدرّج في مسؤوليات تجارية وإدارية عديدة، وتمكن من تأسيس فروع ومكاتب في الولايات المتحدة وبريطانيا ودولة الإمارات وإيران. بينما ركز نشاطه في النقل البحري على الخليج والمحيط الهندي.

وقد لا يخطر ببال أن الباكستان عرفت في السنوات العشرين الأخيرة عدداً من الأثرياء الذين لعبوا أدواراً سياسية داخل بلادهم وخارجها، بخاصة أولئك الذين تعاملوا في تجارة السلاح، مثل آغا حسن عابدي الذي تكونت لديه ثروة كبيرة استخدم نفوذها سياسياً وإعلامياً لكي تحسب له أية حكومة في بلاده أكثر من حساب، وقامت مؤسسات إعلامية كبرى مثل مركز العالم الثالث في «نيوزلاند هاوس» في لندن، حيث تصدر مجلة «الجنوب» وعدة دوريات بإشراف الباكستاني «الطاف جوهر»، إلى الحد الذي تمنح فيه جوائز كبرى لزعماء من العالم

الثالث ورؤساء دول تقديراً لجهودهم في بلادهم وفي محيط مجتمعات العالم الثالث. وأصبح من الطبيعي أن تبحث كل ثروة عن دور سياسي وأداة إعلامية، ولذلك لم يخرج مصطفى كوكال ويوسف هارون وهو ملياردير باكستاني يعمل في الولايات المتحدة والخليج، عن هذا السياق، وأصبح كسب ود الصحفيين ورضاهم واحداً من اهتماماتها لترويج أعمالها التجارية وتجميل صورتها عبر وسائل الإعلام، وتمكن كوكال من الارتقاء ليحتل أكبر المسؤوليات في النقل البحري في بلاده.

ومن خلال صفته وعلاقاته أراد أن يؤدي خدمات ثمينة لأعداء العراق بمساعدة الحكومة الإيرانية في مجال شراء السلاح وتسويق النفط الإيراني وشحنه، وأقام علاقات واسعة في إيران مع رجال دين ووزراء، وكان أكثر الناس صلة به «ماجد هدايت زادة» نائب وزير التجارة، الذي وجد لديه حماساً لقبول فكرة تأسيس «سوق إسلامية مشتركة» هدفها المعلن توطيد العلاقات الاقتصادية بين عدد دول إسلامية في آسيا، وهدفها الحقيقي بناء هيكل اقتصادي إقليمي في مواجهة التجمعات الاقتصادية والسياسية العربية، مثل مجلس التعاون الخليجي ومنظمة الوحدة الاقتصادية العربية. كما وجد لديه حماساً لقبول فكرة تأسيس مؤسسة مشتركة للشحن البحري في مواجهة المصاعب التي تعاني منها إيران في شحن نفطها واستيراد البضائع وتأمين وصولها إلى الموانىء الإيرانية التي يحاصرها العراق بحراً وجواً. وتتكرر زيارات مصطفى كوكال إلى طهران بعد اندلاع الحرب مع العراق. يعاين النقص المعروف في ابتداع الأفكار والحلول لمعالجة الاختناقات الاقتصادية.. ويقدم عروضاً لتسهيل عمليات النقل البحري. ويتوسط لشراء الأسلحة وخاصة في توفير شهادات المنشأ بأسماء دول غير إيران بعد أن فرضت عدة جهات دولية حظراً على تسويق السلاح رسمياً إلى إيران. ومع بدء الحصار البحري

العراقي على الممرات المائية المتجهة إلى جزيرة «خرج» وميناء «بندر خميني» يتلقى مصطفى كوكول في مقره الرئيسي بإسلام أباد خبراً يصعقه أواسط ١٩٨٢، حين قرأ في التلكس العاجل المرسل من إيران، أن خمسة من بحارة سفينة تابعة له قد قتلوا، وأن السفينة نفسها تكاد تغرق في أية ساعة بعد أن التهمها حريق هائل جراء قصف جوي عراقي استهدفها بصورة مباشرة بعد مراقبة خط سيرها وهي تحمل أسلحة وبضائع مستوردة لصالح إيران.. وما أن طوى كوكال ورقة التلكس حتى شعر أن نشاطه الذي أحاطه بالكتمان أصبح مكشوفاً أمام العراقيين، ولم يستطيع أن يقنع نفسه ومساعديه أن إصابة إحدى سفنه ليس سوى مصادفة، وإن العملية لم تكن مخططة مسبقاً من قبل العراق، وأجرى تحقيقاً سريعاً لفحص خط سير السفينة وجنسيات طاقمها لتقدير صحة الشعور العميق الذي تملّكه بأن تلك الضربة كانت تحذيراً عراقياً يعنيه هو شخصياً.. ولكن الذعر الذي تولد لديه كان من ناحية أخرى متأتٍ من الشكوك القديمة لدى العراقيين حول استمرار علاقته بإسرائيل.

حاول «مصطفى كوكال» أن يفعل كل شيء ليمسح من أذهان معارفه ما ارتبط باسم عائلته عن علاقاتها مع إسرائيل. ولكن الإسرائيليين من ناحيتهم لم يكونوا قد تركوه بدون اتصال منذ عام ١٩٦٩، بعد هروبه من البصرة.. إذ جرى تأمين الاتصال به وهو في «المحمرة».. التقى به ضابط إسرائيلي ليسجل معلوماته عن ما يجري على الجانب الآخر بعد الكشف عن شبكة التجسس الإسرائيلية في العراق وإعدام شقيقه عبدالحسين، واستمرت الصلة بين الطرفين في السنوات التالية.. وجرت لقاءات في لندن وواشنطن عبّر خلالها الإسرائيليون عن شعورهم الودي العميق نحو عائلته نظراً لما قدمته من

خدمة لها وما تحملته من خسارة بعد إعدام شقيقه ومصادرة تجارته في العراق. . ودلت مؤشرات كثيرة على رغبة مصطفى في إبعاد هذا الشبح الذي يلاحقه، والقيام بكل ما يمكن لمنع وقوع اتصالات مباشرة بينه وبين الإسرائيليين خاصة بعد انتقال المطالب الإسرائيلية لتمس مسائل تخص الباكستان نفسها، وبالذات برنامجها النووي، ولذلك سحب نفسه من مناسبات كان يمكن له فيها أن يجتمع مباشرة مع إسرائيليين، وهو أمر يبدو أن الإسرائيليين أنفسهم قد أدركوه وهذا ما يفسر وجود مندوبين أوروبيين وسطاء بين الطرفين طوال السنوات الأربع الأخيرة. إذ لم يكن من السهل أن يُفاتح «كوكال» مباشرة بتقديم خدمات تخص المفاعل النووي الباكستاني ونقل المعلومات الحساسة عنه إلى إسرائيل، لأن ذلك يعرضه على الأقل لمخاطر سياسية وشخصية قد تؤدي بحياته، ولكن المتمكن المتاح بينهما كان مباركة علاقاته التجارية المتطورة مع إيران واعتبارها مدخلاً لعلاقات أعمق مع المسؤولين الإيرانيين في اتجاه هدفين: الأول، تقديم المساعدة في فترة الحرب لإعانة إيران على الاستمرار فيها، والثاني، قياس الفرص المتاحة للاتصال بمسؤولين سياسيين واقتصاديين آخرين في إيران يمكن الاعتماد عليهم في المستقبل ومع وقوع أي تغيير سياسي في البلاد، بحيث ترتبط مصالحهم بمؤسسة كوكال التي يمكن تطويرها لترتبط بالإسرائيليين لاحقاً، ولو بصورة مباشرة.

إن هذا النمط من الصلة بإيران يجسد العبارة الشهيرة التي وردت على ألسنة مسؤولين إسرائيليين منذ بدء الحرب العراقية ـ الإيرانية بقولهم «إن هناك مساعدات قدمت إلى إيران عن طريق أطراف صديقة لإسرائيل».

• • •

تصاعدت «حرب الناقلات» منذ ربيع ١٩٨٤، بعد أن نقلت خمس طائرات سوبر اتندارد وطائرات «سوبر فريلون» وطائرات عراقية أخرى مستوى التأثير المتحقق إلى أعلى درجاته بالقصف الجوي للسفن والناقلات التي تمر في المنطقة المحرمة في الخليج.. وحاولت إيران الرد بالتحرش بسفن وناقلات عربية. وهو أمر أدى إلى ارتفاع أجور طواقم السفن إلى أربعة أضعافها وارتفاع تكاليف التأمين إلى خمسة أضعاف ما كانت عليه عام ١٩٨٣، وأدى ذلك إلى إنعاش عمل المغامرين والعمال الآسيوين الذين اعتادوا العمل بأجور عمل رخيصة.. وفي جانب آخر فتحت حرب الناقلات شهوة من نوع غريب لدى مالكي السفن وأصحاب مؤسسات الشحن البحري. إذ ولدت فكرة إرسال سفن وناقلات قديمة وشبه معطوبة، فإذا ما أصابها القصف تسنى لمالكيها أن يطالبوا بمبالغ كبيرة من شركات التأمين..

وهكذا دخلت هذا العالم الماكر مؤسسة «الإخوان كوكال» باعتماد سفن قديمة من أسواق «الخردة»، وتكليف عمال غير باكستانيين للإبحار على متنها على افتراض أن تعرضها للقصف وقتل طواقمها لن يؤدي إلى إحراج معنوي وسياسي له في الباكستان، عندما لا يكون بين الضحايا أي مواطن باكستاني، وعلى أمل الحصول على تعويضات من شركات التأمين تزيد على قيمة السفينة نفسها.. وكانت شركة «لويدز» البريطانية للتأمين التي تحتفظ بملف كبير عن تاريخ شركة «الأخوان كوكال» أول من تنبه إلى ذلك، إذ قام «مكتب كشف الاحتيال البحري» برصد تحركات «مؤسسة كوكال» وكشفها في وقت مبكر قبل أن يتسنى للشركة تحقيق أرباح كبيرة من جراء الاحتيال. وبدا مما جرى أن «مصطفى» كان على استعداد للمتاجرة ببضاعة أصدقائه الإيرانيين أيضاً، إذ كان ذلك سبباً

في جلب المزيد من الأرباح ليكون أكبر أغنياء الباكستان، وليس واحداً منهم. .

أما الإسرائيليون. . فإن ذلك كله لم يبعدهم عن هدف كبير. . إنهم بانتظار بضعة جمُل ثمينة يقدمها صديق قديم ومن عائلة صديقة قديمة عندما يجيب على سؤالين:

* من هم أصدقاؤك الجدد في إيران؟ وكيف نتقاسم صداقتهم؟
* ما مدى جدية الباكستانيين في تطوير مفاعلهم النووي. . وما هي نوايا المستقبل؟

أما المندوبون الأوروبيون الذين توسطوا بين الطرفين فلم يكونوا يوماً يائسين أم متذمرين من إجابات كوكال. . كانت كل إجابة تشجع على طرح سؤال جديد!

□ □ □

صور ووثائق

Largest circulated Urdu Daily in U.K.



THURSDAY JUNE 10, 1982.



ایرانی وزیر سے مصطفےٰ کوکل کی ملاقات

تہران ۹ جون (نمائندہ جنگ) مسلم پاکستان کے [illegible]
جناب مصطفےٰ کوکل جو تہران میں پاکستان کے سفیر جناب [illegible]
[illegible] تمام ایرانی وزیر تجارت جناب [illegible] زادہ
سے ملاقات کی اور اسلامی مشترکہ کمپنی کا اسلامی جہاز رانی
کمپنی اور اسلامی ممالک کی جہاز رانی [illegible] کے نام [illegible]
پر تبادلہ خیال کیا۔ مشترکہ اسلامی جہاز رانی کمپنی اور اسلامی ممالک کے
جہاز ران [illegible] کی نمائندگی جناب مصطفےٰ کوکل نے [illegible]
ملاقات کے دوران پاکستان اور ایران میں [illegible] تعاون کو فروغ
دینے کے بارے میں بھی بات چیت ہوئی۔ جناب مصطفےٰ کوکل گزشتہ
چند روز سے تہران میں مقیم ہیں اور متعدد اعلیٰ ایرانی حکام کے علاوہ
پاکستانی برادری کے ممتاز ارکان سے بھی ملاقاتیں کر چکے ہیں۔

صحيفة «جانك» الباكستانية «باللغة الأوردية» - العدد الصادر في ١٩٨٢/٦/١٠ حول زيارة مصطفى كوكال الى ايران. الفصل الثامن

Confidential

Foreign Report

Published by The Economist Newspaper Limited
25 St James's Street, London SW1A 1HG
1724 April 22, 1982

نشرة (Foreign Report) «الفورين ريبورت» التي تصدر عن مجلة (The Economist) ، الفصل الثاني عشر

THE SUNDAY TIMES, 4 JULY 1982

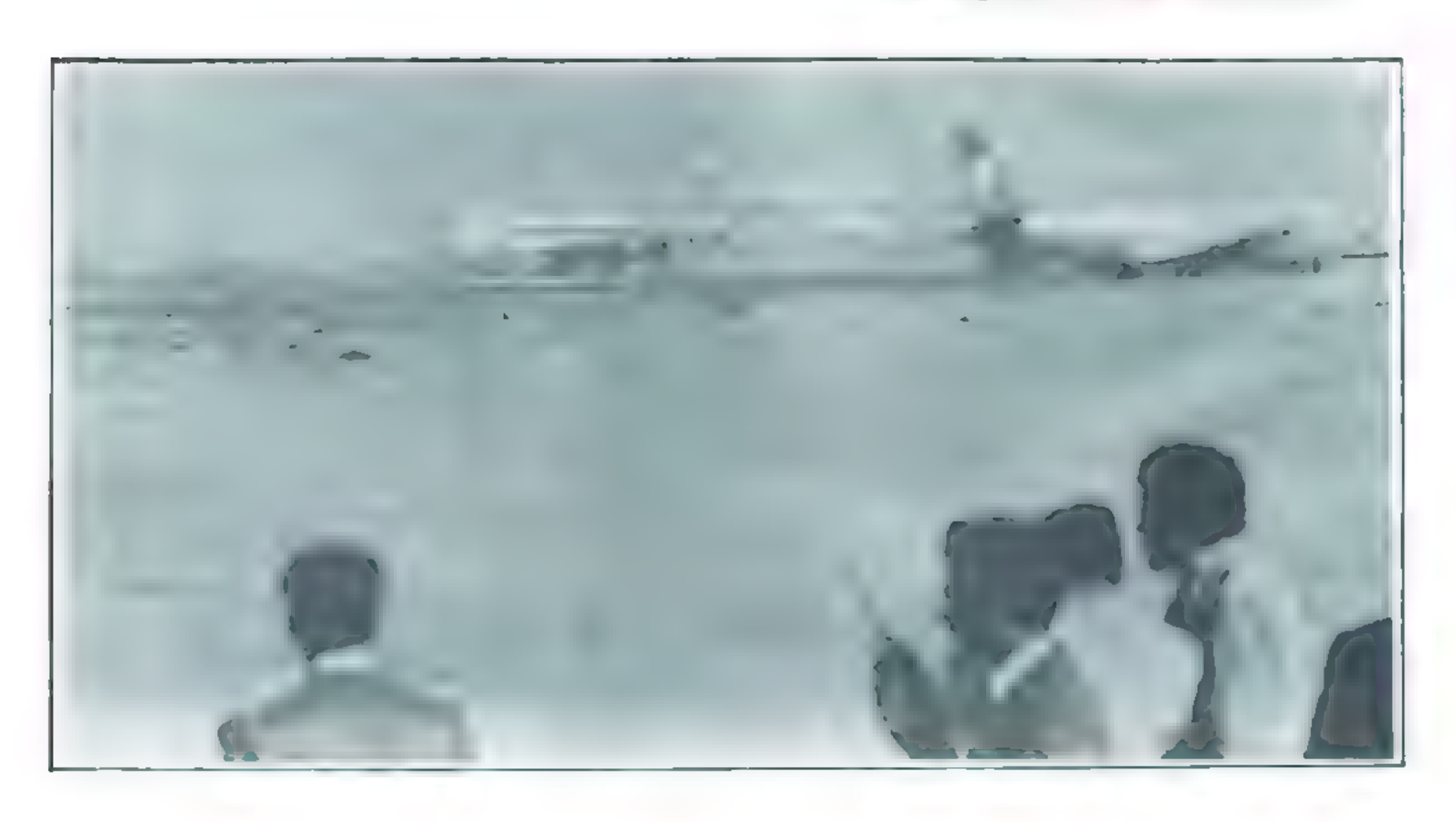


The mystery of the tanks that never were...

IRAN

صحيفة الصاندي تايمز Sunday Times العدد الصادر في ١٩٨٤/٧/٤ حول احدى الصفقات العسكرية السرية الأيرانية التي ضاعت بين التجار السريين الفصل «السادس عشره

طائرتان احداهما ايرانية تابعة لشركة «الخطوط الايرانية» والثانية تابعة لشركة «العال» . في مطار فرانكفورت ١٩٨٤ حيث جرى نقل شحنة من الطائرة الأسرائيلية والتقطت الصورة بعد اكتمال نقل الشحنة





Men emerge from the Iraqi Cultural Centre, in London's Tottenham Court Road, to break up a demonstration on Tuesday by 10 members of Young Herut, who had gathered outside to protest against the Palestine Liberation Organisation. There were scuffles before the demonstrators left the scene

مجموعة اسرائيلية من منظمة شباب «حيروت» تهاجم المركز الثقافي العراقي بلندن بعد غزو لبنان ١٩٨٢ . نشرت في صحيفة «جويش كرونيكال» اليهودية الصادرة في لندن "Jewish Chronicle"

THE COLOSSAL #1 BESTSELLER OF A
WORLD PUSHED TO THE BRINK OF DISASTER

PAUL E.
ERDMAN

AUTHOR OF THE LAST DAYS OF AMERICA

THE
CRASH
OF '79

غلاف رواية انهيار CRASH OF 79 ٧٩ لمؤلفها «بول ايردمان» Pual Erdman

[illegible]aris Account Frozen in Iran Swindle Probe

[illegible]

Bank account freeze fails to give Iran its arms cash

From Our Own Correspondent Paris April 29

[illegible]

General arrested in connexion with deal

[illegible]

Without giving the general's name, Ayatollah Beheshti, [illegible] that he had been in charge of the contract between the Iranian Ministry of Defence and the presumed arms firm.

Agence France-Presse.

Begin says missile crisis was a blind

By A. J. McILROY in Jerusalem

[illegible]

Palestinian [illegible]

[illegible]

صحيفتا «التايمز» البريطانية (The Times) و «الهيرالدتريبون» الأميركية (Herald Tribune) ، تقارير حول سرقة اموال ايرانية مودعة لشراء اسلحة من اسرائيل نيسان ١٩٨١ ، الفصل السادس عشر

Iran tries to freeze arms firm assets

From Ian Murray

[illegible]

THE TIMES TUESDAY JUNE 23 1981

Begin says missile crisis was screen for Iraq raid

From Christopher Walker, Tel Aviv, June 22

[illegible]

صحيفتا «الديلي تلغراف» (Daily Telegraph) وصحيفة «التايمز» (The Times) يوم ١٩٨١/٦/٢٣ مناحيم بيغن يعترف ان الضجة حول الصواريخ السورية في البقاع كانت للتغطية على التخطيط لضرب المفاعل النووي العراقي   الفصل الرابع

امير سعيدي ملحق صحفي ايراني في لندن ، خلال لقاء قرب حديقة الهايدبارك بلندن ١٩٨٣ ، متابعة لعلاقات سرية مع اسرائيل .





برنامه بختیار برای رفع بحران کشور

صحيفة إطلاعات الايرانية - كانون الثاني «يناير» ١٩٧٩ خبر قيام حكومة الدكتور شاهبور بختيار بقطع العلاقات مع اسرائيل ، واعادة النظر في العلاقات مع جنوب افريقيا ، قبل ان يصل رجال الدين الى الحكم ، الفصل السابع



Islamic Republic of Iran Air Force
LOGISTICS SUPPORT CENTRE (EUROPE)
15 YOUNG STREET KENSINGTON LONDON W8 5EH
TELEPHONE [illegible]
TELEX [illegible]

Our ref: APME 1360/0107/3-269

R. B. C. Co. Inc.
Suit 2,
[illegible] Carlos Place,
Mayfair,
London W1

August 13th, 1981.

Dear Sirs,

With reference to your telex dated July 7th, 1981, please be advised of the following points:-

1. Your report regarding the repair ofone Power Supply, at the cost of U.S.$27,000.00 was sent to our Headquarters in Tehran, so that respective specialists would estimate the cost of repair. The decision reached is that the mentioned cost would not be economical and appropriate. Please do not have the above mentioned item repaired and return it to this office in the same condition as it was submitted to you.
2. This office is still awaiting the receipt of the three new Power Supplies which have been already purchased.

Thank you for your co-operation

Yours faithfully,

M. T. Bagheri
Islamic Republic of Iran Air Force
Chief - Logistics Support Center (Europe)

وثيقة صادرة عن ممثل القوة الجوية الأيرانية العقيد «باقري» الذي اتخذ مكتبا له في لندن ، جرى منه الاتصال المباشر بشركات بريطانية واسرائيلية . الفصل التاسع



[illegible] INTERNATIONAL [illegible]

The Deputy Minister of National Defence for Logistics,
Ministry of National Defence for Logistics
Islamic Republic of Iran,
[illegible], Iran

Ref.No: 078/5/81 12th October, 1981

Dear Sir,

We refer to our last correspondence with you dated 24th September [illegible] re the shipment/loading problems that were delaying [illegible] of the contract. As we discussed with yourself and Mr. [illegible] on [illegible] August 1981, this aspect of the operation would present problems that we may not be able to overcome. The [illegible] regulations prohibit the [illegible] loading of this material in Rotterdam-Antwerp. [illegible] not load in Zeebrugge as a full inspection of the cargo manifest would be necessary.

This situation now appears to have been resolved. It has however involved us in a great deal of additional expense and will necessitate [illegible] to assist us in the matter.

Presently what is happening is containerisation of Proforma Invoice number 070/10 and loading and customs clearance effected as [illegible] fabrication. [illegible] to ensure that this situation is not compromised, our friends in Rotterdam-Antwerp have made it a precondition that the containers arrive at the [illegible] on the same date as your conference line vessel and are loaded immediately. To this end we have had to give absolute assurances to this effect. It is therefore vital that the simultaneous arrival of goods and vessel be adhered to.

We must also inform you that due to containerisation we have found it necessary to dismantle a little more than was originally anticipated. This should not pose any major problems on arrival as this pertains only to the chassis/carrier.

We would ask that another meeting be arranged as soon as possible to discuss the matter the the satisfaction of both parties.

With thanks and Best Regards.

We remain,
Yours Sincerely,

Jacob [illegible]

رسالة صادرة عن شركة اسرائيلية وهمية موقعة من عرودي بتأريخ ١٩٨١/١٠/١٢ موجهة الى نائب وزير الدفاع الأيراني . الفصل السادس عشر



شماره ...
تاریخ ۱۳۶۰/۸/۴
پیوست ...

جمهوری اسلامی ایران

شورای عالی دفاع ملی

وزارت دفاع ملی

گزارش شماره ۲۱۴/م/۵ و مورخ ۱۳۶۰/۸/۲ آن وزارت در جلسه مورخ ۱۳۶۰/۸/۳ شورای عالی دفاع ملی مورد بررسی قرار گرفت.

شورای عالی دفاع ملی چنین تصمیم‌گیری نمود که در صورت اصرار سپاه ... رژیم عراق، در صورتی این امر مورد موافقت قرار خواهد گرفت که مبتنی بر شرایط دولت جمهوری اسلامی ایران مصوبه مقام معظم رهبری انقلاب اسلامی ایران باشد.

مراتب جهت اطلاع اعلام میگردد.

دبیر شورای عالی دفاع ملی

خیلی فوری



شماره ۱۱۰۵/...
تاریخ ۱۳۶۰/۲/۲۰
پیوست ...

جمهوری اسلامی ایران

نخست وزیر

۵

وزارت دفاع ملی

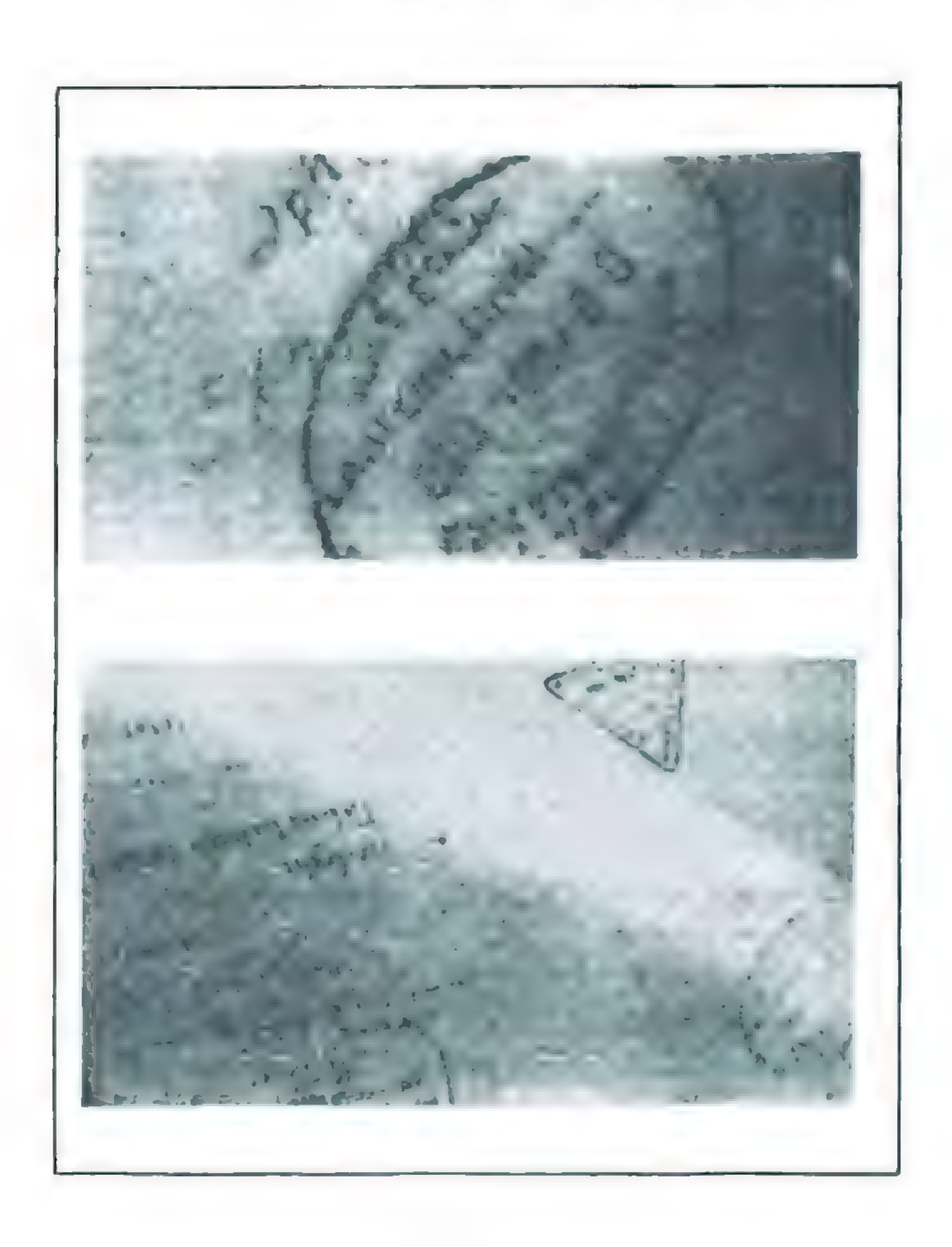
عطف به نامه شماره ۲۱۹/م/۵ و مورخ ۱۳۶۰/۷/۲۹ ... گزارش ... همراه با پیشنهادات لازم جهت طرح در جلسه شورای عالی دفاع ملی مورخ ۱۳۶۰/۸/۲ ... گردد.

نخست وزیر

خیلی فوری

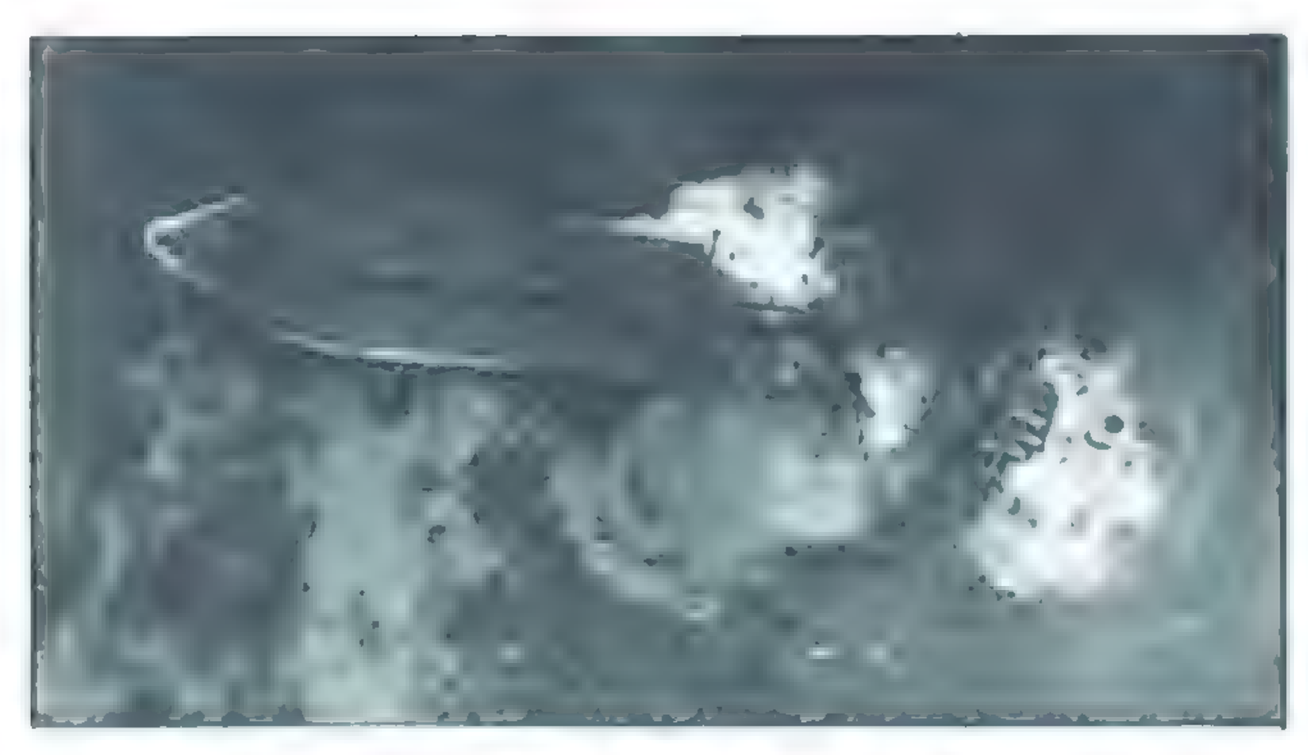
وثيقتان ايرانيتان عن صفقات سلاح تم التوصل اليها مع اسرائيل خلال الحرب ضد العراق

لقطتان من ورقة مرفقة بجواز سفر صادق طبطبائي عند زيارته الى اسرائيل ، مؤشرة من مركز الدخول بمطار «بن غوريون» . الجواز حفظ مع الورقة في السفارة الأيرانية بلندن ، بعد الزيارة التي تمت عام ١٩٨٠   الفصل التاسع والسادس عشر





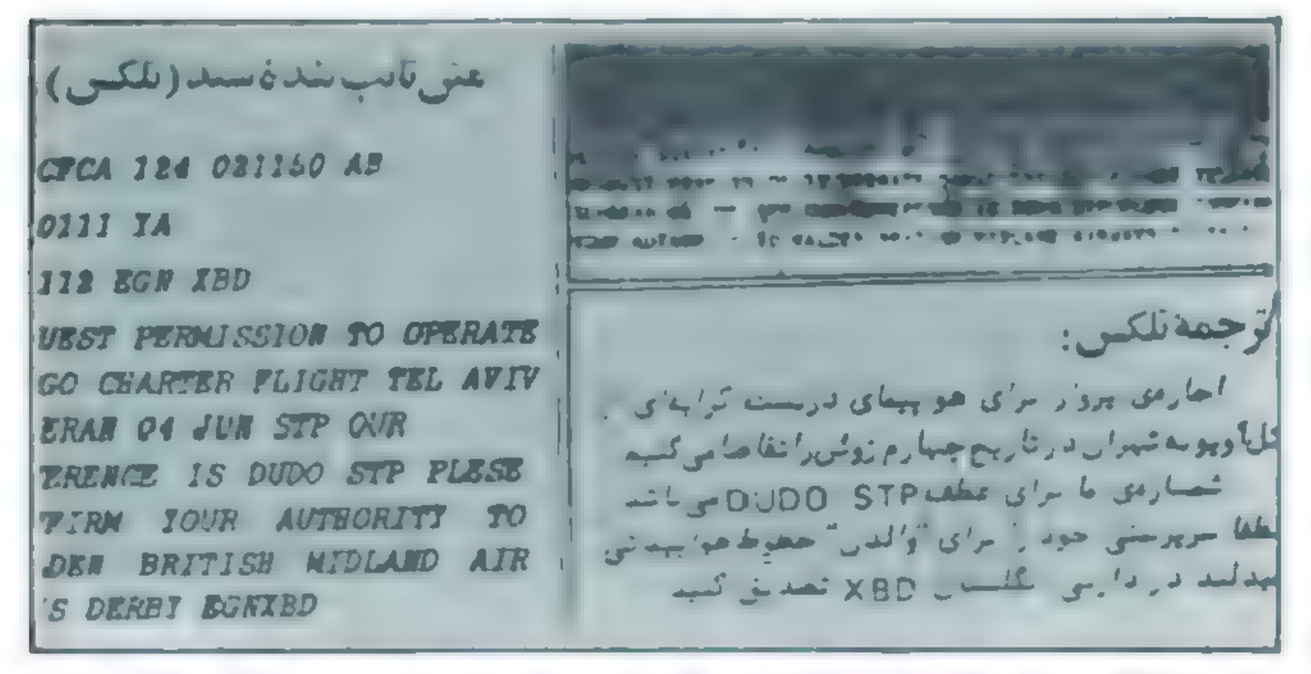
واجهة «بانك ملي» الأيراني الموجود في شارع High Street Kinsgton «هاي ستريت كينزكتن» في لندن . حيث جرى تحويل عدة مبالغ لتغطية صفقات سرية مع اسرائيل .
الفصل التاسع والسادس عشر



سفينة تحترق قبل ان تغرق في مياه الخليج . بعد اصابتها في هجوم جوي عراقي قرب جزيرة «خرج» الأيرانية .
الحالة التي تعرضت لها احدى سفن شركة «كوكال» . الفصل الثامن



لقطة لواجهة البناية (15 Young st . W . 8 . London) ، ١٥٠ يونغ ستريت في لندن حيث يتخذ كالوسيان وباقري مقرا لهما   الفصل التاسع



عکس تایپ شده سند (تلکس)

CFCA 124 021160 AB
0111 YA
112 EGN XBD
UEST PERMISSION TO OPERATE
GO CHARTER FLIGHT TEL AVIV
ERAN 04 JUN STP OUR
ERENCE IS DUDO STP PLESE
FIRM YOUR AUTHORITY TO
DEN BRITISH MIDLAND AIR
'S DERBY EGNXBD

ترجمه تلکس:

صورة تلكس بطلب اذن هبوط لطائرة شحن قادمة من تل ابيب الى طهران - وزعتها منظمة مجاهدي خلق الأيرانية المعارضة عام ١٩٨٣

قائمة طلبات كانت موجودة مع العقيد باقري ، وتباحث مع تاجر السلاح كالوسيان لضمان شراء ماورد فيها من اسرائيل ، وغيرها من المصادر ،١٩٨٢، الفصل التاسع

[illegible] International [illegible] Equipment [illegible] hereinafter referred to as the SELLER represented by [illegible] on the one side

AND The Ministry of National Defence, Islamic Republic of Iran [illegible] hereinafter referred to as the BUYER represented by The Deputy Minister of National Defence for Logistics, on the other side have concluded this contract as follows

ARTICLE 1

OBJECT AND SCOPE OF THE CONTRACT

1. The object and scope of this contract [illegible] the purchase by the Buyer of the goods to be delivered by the Seller.
2. The seller undertakes to furnish and the buyer undertakes to accept and pay for the goods as laid down on Appendices I - VI to this contract [illegible] according to the terms and conditions set forth in the following articles and appendices.
3. All appendices, numbered I - VI, attached to this contract [illegible] integral part of this contract, due to which fact they have been initialled by both parties.
1.4 In the event of any discrepancy in the interpretation of the contents of the appendices and provisions of this contract, the provisions of the contract shall prevail.

ARTICLE 2

VALUE

2.1 The total value of the goods under this contract shall amount to [illegible] hundred and thirty five million eight hundred and forty two thousand United States Dollars say (US$135 842,000.00). The above total price shall be [illegible] fixed and final and is not subject to increase or decrease by monetary fluctuation or whatever changes to market prices of production of labour wages.
2.2 The prices of the products to be delivered are understood C and F [illegible] [illegible], Iran, and are listed in detail in Appendices I - VI made up of [illegible] Forma Invoices numbered 470/18-470/19-470/20-470/21-470/22-470/[illegible]



ثاني صفحات من اتفاق اسرائيلي - ايراني جرى بواسطة «عرودي» في تموز «يوليو» ١٩٨١

CONTRACT No. 127/[illegible]

4.2 The acceptance of the goods shall be effected as follows

4.2.1 Prior to delivery, the goods shall be presented at the seller's plant for inspection and acceptance by the buyer's duly authorised representatives. On conclusion of acceptance the seller will issue a certificate of acceptance to be countersigned by the buyer's representatives if present.

4.2.2 The seller shall inform the buyer in due time and in no case later than [illegible] days prior to the [illegible]

4.3 The shipment of the goods shall be effected as follows

4.3.1 The seller shall deliver the goods contracted for C and F Bandar Abbass packed in a proper manner in accordance with the norms and common usage of International Trade as per Incoterms 1953, as published in October 1976.

In all cases the goods must be completely packed in wooden cases.

4.3.2 The seller shall notify the buyer of the complete delivery of the goods, giving exact date and full details of the goods not later than 30 days prior to delivery.

4.3.3 The buyer shall put at seller's disposal the necessary transportation means such as containers and only not later than 30 days after delivery date notification as in clause 4.3.2.

ARTICLE 5

PENALTY FOR LATE DELIVERY

5.1 Should the seller, through its exclusive fault be late in delivering the goods with respect to the relevant date indicated in Appendix 1 pursuant to the provisions of this contract, the buyer shall be entitled to be paid a penalty equal to seven percent (7%) per week of the price of the delayed goods for every subsequent week of delay. Said penalty shall not exceed twenty percent (20%) of the price of the delayed goods but in no case exceed ten percent (10%) of the total value of the contract.

5.2 [illegible] delays [illegible] thirty [illegible] (30) the buyer [illegible] the right to cancel the contract [illegible] the penalties and demand the [illegible] however [illegible] the seller [illegible] and undertakes to [illegible] [illegible] of [illegible]



بکلی سری

CONTRACT No. [illegible]

ARTICLE 3

METHOD OF PAYMENT

3.1 Payment of the contract shall be made through Bank Markazi Iran, Teheran.

3.2 An advance payment equal to [illegible] (FIFTY) percent of the total value of this contract, payable at [illegible] banking days of the date of signature of this contract.

3.3 The remaining 50% (FIFTY) percent of the total amount of this contract shall be paid through an irrevocable letter of credit in favour of [illegible] International [illegible] Limited, [illegible] London, [illegible] England, to the amount of £ [illegible] hundred and twenty one thousand (£[illegible],921.00).

The Letter of Credit shall be advised within five [illegible] banking days of signing of this contract.

This letter of credit is to be payable against first presentation of the following documents without any further authorisation by Bank Markazi Iran, at the counters of Lloyds Bank Limited, London, England.

A)- Invoices

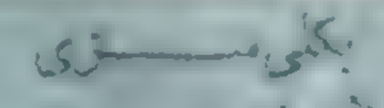
B)- Full set of clean on board Bills of Lading evidencing shipment of the goods from Antwerp/Rotterdam to Bandar Shapour.

C)- Inspection Certificate certified by Buyer's [illegible] authorised representative.

ARTICLE 4

ACCEPTANCE AND DELIVERY

4.1 The seller shall furnish to the buyer the goods contracted for on or before the dates indicated in the delivery schedules, as per Appendix [illegible]. Providing for any kind of export licence is the sole responsibility of the seller. The licence shall be attested by Department of Defence and a certified photocopy handed over to buyer's representative prior to delivery of the goods. بکلی سری



[illegible]

[illegible] assigned [illegible] part [illegible] either of the parties without [illegible] consent of the other part[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] Force Majeure are [illegible] events beyond the control of [illegible] acts of God, war, [illegible] strikes [illegible] destruction of the [illegible] facilities.

[illegible] Upon [illegible] of Force Majeure affecting the contractual obligations each party shall notify the other party by telex within [illegible] days.

[illegible] The contractual obligations shall be extended for a period of time equal to the duration of event of Force Majeure.

[illegible] Should such event last more than two consecutive months, the parties shall meet to agree on further actions to be taken concerning this contract.

[illegible] Should the parties not agree [illegible] event as Force Majeure the case shall [illegible] according to Article number [illegible] of this contract.

[illegible] In case the event of Force Majeure lasts more than four [illegible] consecutive months [illegible] the right to terminate the contract.

[illegible]

[illegible]

This contract shall become effective on the date [illegible] of the following:

[illegible] Signature of this contract by both parties.

[illegible]

[illegible]

[illegible]



[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] parties have executed this contract [illegible]
duly authorized representatives

For the [illegible] | For the [illegible]

Represented by | Represented by

[illegible] | [illegible]

[illegible] of [illegible] 19[illegible]

[illegible] representative initials | [illegible] representative initials

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] responsibility of the [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] In the event the buyer [illegible] to [illegible] to purchase [illegible] of this contract [illegible] which [illegible] agree [illegible] enter [illegible] agreement [illegible] and attached to this contract as [illegible]

[illegible] Prices, specifications, and delivery [illegible] upon and set forth in detail in the supplement or amendment to this contract.

[illegible] Terms and conditions of payment, and other terms and conditions [illegible] accordance with this contract [illegible]

[illegible] such a supplement or amendment [illegible] in writing [illegible] written on a form [illegible] "Supplemental Agreement" to the Contract No. [illegible]

[illegible]

ARTICLE 6

QUALITY OF THE GOODS

6.1 The quality of the goods shall be of current manufacture and in conformity with the [illegible] of [illegible] of the [illegible].

ARTICLE 7

SETTLEMENT OF DISPUTES

7.1 Should any dispute arise between the Buyer and the Seller in connection with execution or interpretation of this contract, then both parties shall attempt to resolve such dispute in good faith by direct negotiation and consultation.

ARTICLE 8

CHANGES

8.1 Terms and conditions as set forth in this contract can only be changed by written mutual agreement between the parties [illegible] their authorised representatives.

ARTICLE 9

ASSIGNMENT

9.1 This contract and the rights and obligations of the parties [illegible] shall inure to the benefit of, and shall be binding upon each of the parties hereto, and their respective [illegible] and [illegible]

ياكوب نمرودي عقيد اسرائيلي متقاعد ، سبق له العمل كملحق عسكري في طهران كلف من الموساد بترتيب صفقات سلاح مع ايران ، بعد بدء الحرب ضد العراق ، الفصل الثالث والفصل السادس عشر.
الصورتان له خلال عمله في طهران عشية سقوط الشاه




duly authorized representatives.

For the Seller

توقيع العقيد الأسرائيلي نمرودي (Nim rodi) على احدى وثائق التسليح السري ، يعود تاريخها الى ١٩٨١/٧/٢٤ ، وهو اتفاق شامل بين ايران واسرائيل مكون من ثماني صفحات الفصل السادس عشر

Financial Times Wednesday June 10 1981

Pilots practised for six months to perfect bombing raid

BY OUR TEL AVIV CORRESPONDENT

THE Israeli Air Force practised for six months for the raid on the Iraqi nuclear reactor and, in the end, Sunday's operation went so well that virtually no [illegible] were encountered, [illegible]-General David Ivri, Commander of the Air Force, said yesterday.

Despite flying 1,800 kilometres the only opposition met by the airborne task force was "undirected anti-aircraft fire," according to General Rafael Eitan, Chief of Staff.

He said: "It is possible our planes were spotted crossing the border", but this was apparently the only time they were picked up.

General Ivri confirmed that American-built F-15 and F-16 jets were among various aircraft used. Washington has already complained about Israel's use of these for offensive missions.

In response, Israel has insisted that preventing Iraq using atom bombs was a "supreme act of self defence." Mr Menahem Begin, Israel's Premier, said his country had to destroy "this hotbed of death."

The Air Force Commander said that several plans were drawn up for the attack, and that many exercises had been carried out to select the aircraft.

The main problems were the range of the target, providing enough fuel, homing in and maintaining contact with the controller of the operation, said General Ivri.

He denied reports that Israel had used a new type of bomb in the attack in which "tons of bombs" were dropped on the reactor beside Baghdad. But he revealed that a "new technique" was used "based on the excellence of our pilots."

He said also that if Awacs surveillance aircraft, like those Washington wants to supply to Saudi Arabia, "had been in the right place at the right time," they would have been able to detect the Israeli jets.

The Chief of Staff added that if the Syrians had the Awacs, these would have spotted the jets before they took off.

Mr Shimon Peres, the Labour Party leader, said he believed the operation was an election operation. The reactor in Iraq did not yet constitute a threat. Israel should first have asked M. François Mitterrand, the French President, to honour his undertaking not to supply Iraq with enriched uranium.

The Labour Party was supported in its criticism of the Government by a number of centrist and left-wing smaller parties who last night also challenged the urgency of the need to launch an air strike on the eve of the election.



Mr Peres . . . 'election ploy'

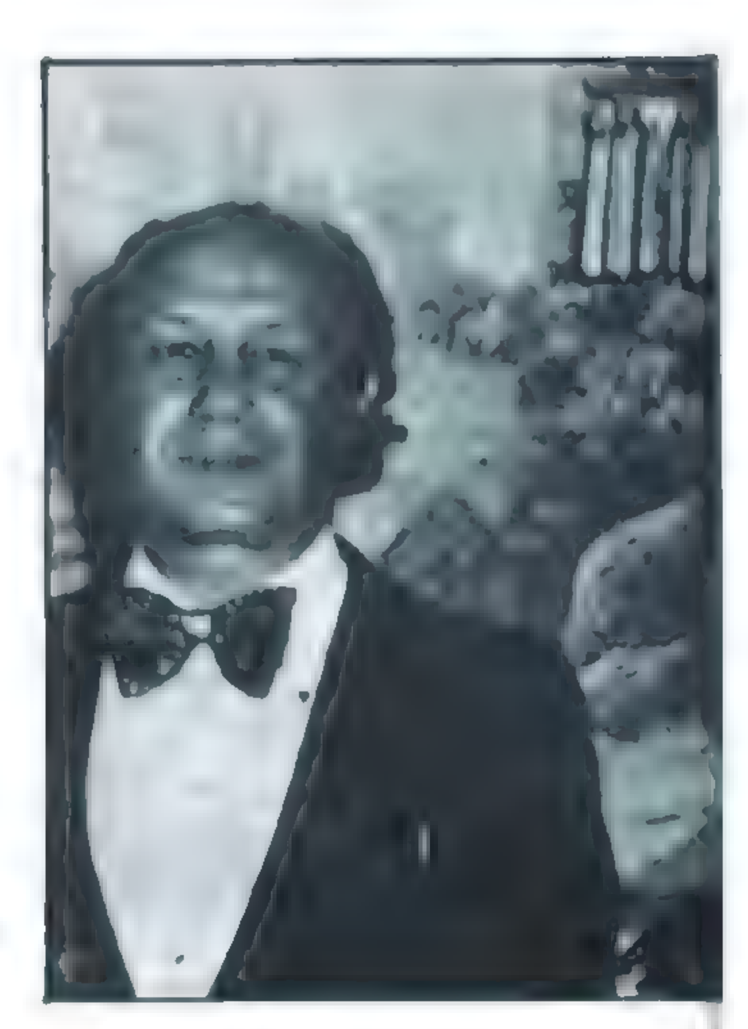
تقرير في صحيفة Financial Times ، الفاينشال تايمز يوم ١٩٨١/٦/١٠ حل استعدادات اسرائيل التي سبقت الغارة عل مفاعل تموز الفصل الرابع



سلاح اسرائيلي مرسل الى ايران حجزته السلطات اليونانية في باخرة اعطت معلومات مضللة لسلطات الساحل اليوناني ، اواخر ١٩٨٢



غطاء لسلاح اسرائيلي غنمته القوات العراقية في معارك شرق البصرة الأولى ،تموز يوليو ١٩٨٢م ، وما تزال النجمة الاسرائيلية عليه الصورة التقطها مصور عراقي في ايام المعركة الأولى



علي طبطبائي معارض ايراني قتل في اميركـــــا الفصل الخامس عشر



روبرت موس Ropert Moss صحفي بريطاني مختص بشؤون المخابرات ، الصورة تعود الى سنة ١٩٧٥ ، اسهم في اعداد موضوع عن الحرب السرية ضد العراق ، الفصل الخامس



روبرت مردوخ :(Ropert Murdoch)
بليونير يهودي استرالي ، بدأ يستثمر امواله في الصحافة منذ 1952 ، يملك حاليا اكبر امبراطورية صحفية في اميركا واوربا واستراليا ، منها مؤسسة التايمز البريطانية تقدر ملكية صحفه ببليون وثلث البليون دولار ، لعب دوراً مباشراً لصالح اسرائيل عشية وبعد قصف المفاعل العراقي الفصل الخامس



اريل شارون وزير دفاع وزير دولة . وزير تجارة واقتصاد في عدة حكومات اسرائيلية . اشترك في حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ودبر ثغرة الدفرسوار ، تقدم مقترحاً الى عضو في مجلس الدفاع الاعلى الايراني للقيام بعملية عبر اهوار العراق على غرار ثغرة الدفرسوار .

جنود عراقيون في الهجوم المضاد داخل الأهوار . شباط «فبراير» ١٩٨٤ باتجاه جزيرة «مجنون» الفصل الثالث





ناقلات خفيفة للجنود استخدمت في معركة «الاهوار» عند تمشيط المياه خلال معارك مجنون ، ربيع ١٩٨٤

الفصل التاسع

حرب بين الصحافة وآل كالوسيان!

حرب بين الصحافة وآل كالوسيان!

لكل صفقة ضحايا.. ولكل تحالف سري أعداء سريون.. ولذلك تنشأ العمليات السرية والعمليات المضادة لها.. وأكثر العمليات الإحباطية تأثيراً هي تلك التي تعمل على فضح الأسرار وإماطة اللثام عن رجالاتها..

لذلك جرت مطاردات وملاحقات سرية كثيرة في الأجواء التي خلفها التعامل السري بين إسرائيل وإيران، وفي حين تحكم الطرفان بالمستوى المسموح به من المعلومات المتسربة عن النشاط الذي يجري بين طهران وتل أبيب لم يتمكنا من التحكم بالأسرار المتصلة بمراحل تمر بها هذه العلاقات ووقائع تجري في ساحات أخرى ويضطر فيها الطرفان إلى اعتماد «شخص ثالث».. وهو أمر كان بمثابة عامل «إزعاج» للإيرانيين بالدرجة الأولى وللإسرائيليين بمستوى أقل..

الإيرانيون محرجون لما يسببه هذا النوع من التعاون من فضح لهوياتهم التي تتخفى برداء الدين.. وهو إحراج يتفاقم في الداخل ويخلق حالة انفصال طبيعي في البنية الإيرانية، ويتبلور خارج إيران ليعكس صورة للتحالف الجديد الذي نشأ في المنطقة على هامش الصراعين

العربي ـ الإسرائيلي، والعربي ـ الإيراني.. أما الإسرائيليون فإن لانزعاجهم سبباً «أمنياً» يتعلق بالحرص على عدم تعرض عمليات الشحن البحري والجوي لأعمال معادية وعدم دخول أطراف ثالثة في أجواء التعامل المالي السري بين الطرفين بما يربك من ناحية، ويفسد الأرباح الإسرائيلية المتحققة من ناحية أخرى.

هكذا أصبح بعض الصحافيين هدفاً للملاحقة والإزعاج لتحويل اهتمامهم عن هذا الموضوع، ولمعرفة الطريقة التي يحصلون بها على معلوماتهم.. وجرى إشعار السفارتين الإسرائيليتين في باريس ولندن لرصد تحركات الصحفي الشهير «بيير سالنجر» ومعرفة الطريقة التي تتسرب بها المعلومات إليه عن الصفقات السرية بين إسرائيل وإيران.. في تلك الفترة ـ أواخر ١٩٨١ وبدايات ١٩٨٢ ـ بدأ بنقل معلوماته إلى محطة «أي. بي. سي» الأميركية، فوضع المسؤولين الإسرائيليين والأميركان في موقف حرج أمام معلومات عن معرفة أميركا بما يورد من سلاح أميركي إلى إيران عبر إسرائيل.

وكان قد عرف آنذاك أن صفقة يجري إعدادها لإرسال طائرات مفككة إلى إيران عبر أحد المطارات البرتغالية.. وحاول الدبلوماسيون الإسرائيليون التصرف بحذر شديد وعدم إشعار «سالنجر» بنواياهم، وأبدوا في الظاهر عدم اهتمام، لكنهم دفعوا بوكلائهم للتجسس عليه ورصده. بينما وجهت السفارة الإسرائيلية في لندن دعوة إلى الصحفي «نورمان كركهام» «Norman Kirkham» لحضور مناسبات عامة مع عدد آخر من الصحفيين حرص السفير السابق «شلومو أركوف» وملحقه الصحفي «ياكوف كينان» على الإيحاء بأن تلك الدعوة عادية وهي توجه إلى صحفي يعمل مراسلاً دبلوماسياً في صحيفة «الصاندي تلغراف»،

وتصرفا من حيث الشكل على هذا الأساس. لكن تحركات كثيرة كانت قد سبقت تلك الدعوة لتقصي مصادر المعلومات التي غذت «كركهام» بموضوعه حول تزويد إيران لإسرائيل بمجموعة من الصور الفوتوغرافية والمعلومات عن المفاعل النووي العراقي «تموز» بواسطة طرف ثالث، وصار الكاتب المؤيد لإسرائيل «كولدن شبرد بروك» «Colden Sheperd — Brock» الذي يعمل في «الصاندي تلغراف» يشهر بزميله «كركهام»، ويخلق أجواء تشكيك به وبمصادره، بعد أن أقدم على نشر تقريره الذي أصبح بعدئذ مادة أساسية تكرر مضمونها في مجلة الطيران. وعملت الأجهزة الإسرائيلية على منع ظهور حلقة خاصة من برنامج «البانوراما» كان ينتجها «توم بوار» «Tom Power» حول العلاقات الإيرانية ــ الإسرائيلية. ولكنها لم تحصل إلا على حل وسط بإعطاء عدد من المسؤولين الإسرائيليين فرصة من خلاله لعرض وجهات نظرهم.

أما تاجر السلاح الأرمني الإيراني «هيغ كالوسيان» وإبناه من الأم الإنكليزية «ريتشارد» و«أريد» فقد كان اتهامهم بترتيب صفقات سلاح إسرائيلية لإيران ذا وقع مختلف عليهم.. ولم يسعوا إلى أساليب الإسرائيليين في الملاحقة والتشهير، بل عملوا على نقل الموضوع إلى المحاكم للنيل من أحد أشهر الصحفيين والكتاب الإيرانيين في أوروبا هو الدكتور «علي نوري زادة» الذي كان يترأس تحرير صحيفة «بست إيران» «Post Iran» بعد أن أقدم على نشر الملف السري لآل كالوسيان من جهة، وفضح الإرهابيين الإيرانيين الذين حاولوا قتله عدة مرات من جهة أخرى.. فقد قال: «إننا نلاحق عملاء الخميني ونعرف خطواتهم».

لم يحتمل «آل كالوسيان» وشركاؤهم البريطانيون والإسرائيليون

والإيرانيون تلك الجرأة في الإعلان عن ملاحقة سرية تقوم بها المعارضة الإيرانية لفضح صفقات السلاح الإيرانية ـ الإسرائيلية..

أكثر ما كان مؤلماً لآل كالوسيان أن قرار الحكومة الإيرانية ومجلس الدفاع الأعلى في طهران باعتمادهم طرفاً وسيطاً لصفقات السلاح السرية قد اتخذ كمحاولة بديلة لعمليات افتضح أمرها، وجرى التفكير بعدها بالعثور على جهة تستخدم للتخفي، ويتخذ اسمها واجهة غير رسمية في البحث عن مصادر السلاح وبخاصة من إسرائيل كمصدر دائم وممكن، وبريطانيا وألمانيا الغربية وبلجيكا كمصادر أوروبية أساسية.. وهكذا بدأت الحكاية مع كالوسيان.

● ● ●

لم يكن لمعارف الشاه والمقربين منه أن يصدقوا أن أحد أصدقائه الذين عاشوا وتكونوا وأثروا في عهده وتحت مظلته سيتحول إلى صديق حميم لمندوبي النظام الجديد في إيران، يفتح لهم الأبواب للحصول على السلاح عبر شركة تأسست بإرادة الشاه وتطورت بتشجيعه وصممت أعمالها بما يخدم نظامه آنذاك.. فقد تقرب «كالوسيان» الأب من الشاه الراحل، وأبدى مظاهر الولاء له، وأبدى استعداده لاستثمار علاقاته في بريطانيا وذكائه التجاري في ترتيب أعمال تخدم «الامبراطورية الشاهنشاهية» بإخلاص وولاء..

كان الشاه يومها يعمل على تحقيق حلمه ببناء الجيش الخامس في العالم وأداء دور الشرطي في الخليج من خلال امتلاك أفضل سلاح طيران في الشرق الأوسط والأدنى، وأفضل بحرية في الخليج العربي وبحر عمان، واحتاج للوصول إلى هذا الهدف إيجاد مصادر توريد دائمة

للسلاح، فإلى جانب سفارته وملحقياته العسكرية وممثلي قواته البحرية والجوية المعسكرين في معظم السفارات الإيرانية في أوروبا مع مندوبي السافاك النشيطين وعلاقاتهم الواسعة بالأجهزة السرية الأوروبية، فكر بإنشاء مراكز غير رسمية تتولى اختيار أجواء أسواق السلاح، والتغلغل فيها، والوصول إلى صفقات يتعذر على المندوبين الرسميين تحقيقها لأسباب اعتبارية ودبلوماسية وأسباب تتعلق بسمعة نظامه التي كانت تتدنى، والضغوط الرسمية التي أحاطت به في سنوات حكمه الأخيرة من قبل الحكومات الأوروبية وبخاصة الحكومة البريطانية «حكومة حزب العمال آنذاك»، التي أدارت وسائل أعلامها المشاهد الأخيرة لسقوطه عبر الصحف ومحطة الإذاعة البريطانية. في ذلك الاتجاه وتحت تلك الحاجة، ولد كالوسيان وشركته التي تعرف الآن بالاسم الرمزي «K.T.A» وتولى بتشجيع مالي وتغطية أمنية واعتبارية من الشاه.. عدة عمليات لتوريد السلاح إلى إيران بما فيها التمهيد لصفقات دبابات ومدفعية وشحنات ذخائر وقطع غيار، وتكونت له منذ ذلك الوقت علاقات واسعة مع تجار السلاح الإسرائيليين.

تصور رجال الصفقات السرية بعد سقوط الشاه أن أعمال شركته ستضمحل.. وسيذوي المجد الذي كانت أعمدته قد بدأت تعلو.. وأن الرجل سيتقاعد حزناً على ولي نعمته!

كالوسيان، الأرمني الإيراني الذي يتجاوز عمره خمسة وستين عاماً والمتزوج من امرأة إنكليزية أعطته ولدين لا يعرفان من اللغة الفارسية أكثر مما يعرفه منها إنكليزي يحفظ سبع جمل للمحادثة العابرة.. كان يعرف كثيراً من الناس داخل إيران وخارجها، لكنه لم يكن قد التقى مع صهر الخميني «صادق طبطبائي» الذي تولى عند سقوط الشاه منصب

نائب رئيس الوزراء، ثم انتقل بعد ذلك ليتخذ مقراً دائماً له في ألمانيا الغربية، يدير منه عمليات تجارية واسعة هدفها الرئيسي توريد السلاح إلى إيران، ومتنقلاً بين أوروبا وإسرائيل لإنجاز أعماله.. لم تكن هناك مناسبة في السابق لكي يتعارف الرجلان.

فالأول صديق العائلة الشاهنشاهية المالكة، والثاني من معارضيها.. لكن كل شيء كان قد تغير في عام ١٩٨٠، فتمكن كالوسيان بلباقته ودبلوماسيته من التغلغل إلى نفوس المندوبين الرسميين الإيرانيين وإقناعهم أنه ليس من مخلفات نظام الشاه، وأن «إخلاصه» لإيران يجعله شخصياً مستعداً لتنفيذ أية طلبات يحملونها إليه من طهران، ونقل هذا الانطباع إلى المسؤولين في إيران مع تقرير يعرض حالات الكشف التي تعرضت لها عدة صفقات سلاح تمت لإيران في بدايات الحرب مع العراق وأصبحت مادة لوسائل الإعلام في أوروبا، وكانت الخلاصة التي اختتم بها التقرير المرفوع إلى مجلس الدفاع الأعلى بعد أسبوعين من المعاينة المباشرة من قبل وفد مكون من ثلاثة أشخاص.. ما مضمونه: إن المهمة الملحة هي كيف يتم تدبير شحن السلاح الإسرائيلي والغربي إلى إيران دون إثارة شكوك الصحفيين الأجانب ومنع حصولهم على ما يمكن أن يستخدم ضدنا، لذلك لا بد من تأسيس بعض الشركات في انكلترا وعواصم أوروبية أخرى للاتصال بالدول والشركات المستعدة لتزويد إيران بالسلاح، واعتبار هذه الشركات مراكز غير رسمية لإنجاز المهمات المحددة لها، وأن على هذه الشركات أن تقدم نفسها كوسيط لشراء السلاح والمعدات والأغذية، والإعلان أن هذه المواد سترسل إلى أقطار أخرى في المنطقة غير إيران عندما يتعذر الحصول على موافقة مباشرة من الدول والشركات بشحن البضائع والأسلحة إلى إيران مباشرة لأي سبب كان.

وافق مجلس الدفاع الأعلى على المقترح فوراً وأمر بتأسيس هذه الشركات. وكان الشخص المسؤول عن البعثة المرسلة هذه المرة هو العقيد «باقري» الذي مثل القوة الجوية الإيرانية. بعد أن كان قد سبقه في أعداد الدراسة والمقترحات «نظافت خاه» الذي اتخذ من مقر شركة النفط الإيرانية في لندن مقراً له.. في تلك الأثناء وصل صادق طبطبائي، المعتمد فوق العادة، إلى انكلترا قادماً من ألمانيا، واجتمع مع كالوسيان.. وبحثا في خلاصة ما كلف به «باقري» «ونظافت خاه».. كان لقاؤهما ودياً، فقد أعجب كالوسيان بالعادات الأوروبية التي يتحلى بها طبطبائي، وقال له: إن الأوروبيين لا يعرفون أن في إيران رجالاً متحضرين بمستواك ولذلك فإنك أفضل وجه لبلادنا في الخارج، وشعر بانسجام أعمق معه عندما دعاه على العشاء في اليوم التالي، واستغرقا يتحدثان عن أنواع نبيذ «البوردو» الفرنسي وأفضل سنواته، واتفقا أن عام ١٩٦٤ كان الأفضل في محصول العنب بنسبة ما هطل من أمطار على بساتينه واعتدال حركة الرياح سنتئذٍ، وقررا أن يفتحا معاً قنينة منه احتفاءً بتعارفهما.. ويذكر النادل في النادي أنه أتاهما بقنينة من نوع «شاتو لاتور» للعام ١٩٦٤

انتهى ذلك العشاء بالاتفاق على قيام شركة «K.T.A, Charter Operations Ltd, Logistics Consultants» بدور الوسيط لعقد صفقات سلاح لا تريد إيران أن تتقدم مباشرة لعقدها، وتفضل وجود جهة تغطية عليها، وكلا الشركتين تتبعان «آل كالوسيان» ومقرهما الرقم «١٥» في شارع يونغ في المقاطعة الثامنة من غرب لندن، على بعد نصف ميل من مركز المدينة الحيوي الذي يضج بمئات من مكاتب الشركات والمؤسسات التجارية، حتى إذا شوهد رجل أعمال هناك لن يعرف هدفه من كثرة

ما يحيط به من مكاتب ومقرات تجارية. ورغم ذلك، كان كالوسيان الأب كثير الحذر، ولذلك فضل أن تحصل لقاءاته مع سماسرة السلاح وبخاصة الإسرائيليين في مكان لا يتوقعه أحد.. هو حدائق «الهايد بارك» الشهيرة.. حتى إذا شوهد عجوزان يقطعانها على أقدامهما تصور المارة أنهما يفعلان ذلك بناءاً على توصية الطبيب دفعاً لمخاطر الذبحة القلبية.. وهكذا حصل حين أعطى كالوسيان هذا السبب لإيرانيين شاهدوه مع رجل أصغر منه سناً ببضع سنوات.. وهما يتمشيان في «الهايد بارك».

● ● ●

تابع العقيد «باقري» على مدى أعوام ۱۹۸۱ و ۱۹۸۲ و ۱۹۸۳ نقل الطلبات التي ترده من طهران إلى «كالوسيان» الذي اتصل بمعارفه الإسرائيليين، واتفق على ما أسماه «طرقاً سرية للقاء» ورجاهم أن يبتعدوا ــ بقدر تعلق الأمر بهم ــ عن الأضواء أو الإدلاء بأية معلومات تحرج موكليه الإيرانيين، وأسهم بعقد إحدى الصفقات المهمة لتزويد إيران بإطارات طائرات الفانتوم أميركية الصنع عبر إسرائيل بعد إبلاغه أن عدد الطائرات الإيرانية القادرة على العمل قد انخفض إلى ثمان وأربعين طائرة أواخر ۱۹۸۲ بسبب نقص قطع الغيار، وبخاصة إطاراتها.

منذ ذلك الحين اتفق الثلاثي «كالوسيان ــ باقري ــ نظافت خاه» على شحن الأسلحة إلى «دول ثالثة» قبل التوجه إلى إيران، ووضعت لائحة بالدول ليتم اختيار واحدة منها حسب ملائمة الظروف لذلك، وهي «الأرجنتين ــ كندا ــ ليبيريا ــ البرتغال»، كما جرى الاتفاق على

أن يتم إرسال المبالغ المخصصة لهذه الصفقات سواء التي تشترى من إسرائيل مباشرة أو من السوق السوداء، إلى أحد البنوك السويسرية لتحول من هناك إلى فرع لندن للبنك الإيراني الرسمي «بانك ملي»، ثم لحول تدريجياً بدفعات إلى مؤسسة كالوسيان ويقوم هو بالدفع إلى الباعة ومصادر توريد السلاح.. وجرى ترتيب هذه المحطات الكثيرة بهدف أبعاد المصدر الأول الإيراني عن أية أسباب تؤدي إلى كشف الصفقات، وأصدرت طهران أوامرها بتخويل «باقري ونظافت خاه» صلاحية الأمر بصرف المبالغ عبر كالوسيان الأب والأبناء.

وأوصى «طبطبائي» في ذلك اللقاء مع كالوسيان، أن يجري التنسيق مع صديق موثوق يقيم في سويسرا هو الدكتور «علي ذاقيان» لتدبير الاتصالات التي تجري هناك وملاحقة عمليات التحويل المالي عبر البنوك السويسرية.. ووصفه بأنه «رجل موثوق.. وصاحب علاقات واسعة ويعرف سويسرا شبراً شبراً..».

استمر كل شيء.. واشتري السلاح بأربعة أضعاف أثمانه، وبجهود الثلاثي «كالوسيان ـ باقري ـ نظافت خاه»، لكنهم لم يتمكنوا من غلق الأفواه وقطع الألسن واقتلاع العيون للذين يعرفون وكانوا يلاحقون خطواتهم في العتمة الداكنة، ولم يعلم «نظافت خاه» مندوب وزارة الدفاع والمسؤول المالي في عمليات الشراء، أن أعداءه تمكنوا من الاتصال بالسيدة الانكليزية التي سلبت عقله وماله ووقته.. وعرفوا أين ذهبت أموال كثيرة كانت بين يديه من هوامش الصفقات التي عقدها.. إذ كانت كل زيارة يقوم بها إلى دار السيدة، بينما زوجها يعاني الموت في فراشه من مرض السرطان، تكلفه الكثير. ولكن هذه القصص تنتهي دائماً بطريقة ميلودرامية، عندما يكون التعاقد العاطفي فيها بين رجل

شرقي وامرأة غربية. فقد اكتشف الزوج المريض أن امرأته حامل من «نظافت خاه»، فأقام دعوى قضائية ضده. ولكنه مات قبل أن تنعقد المحكمة.

أما نظافت خاه فتحول ليتردد على زيارة امرأة أخرى في منطقة «كيلبرن»، ويبدأ قصة أخرى، تنتظر نهاية مماثلة لن تغيب عن أنظار أعدائه، أما «باقري» فظل يتردد على العنوان «رقم ٣٧ في شارع «Downs Rd» في منطقة «ويمبلدن» المقاطعة «١٥» جنوب غرب لندن حيث يسكن السيد كالوسيان.

□ □ □

الفصل العاشر

معارضة من طراز خاص!

معارضة من طراز خاص!

من شدة شعوره بالقرف واليأس ملأ المغني والمنولوجست الإيراني «سيد كريم» كلامه بالسُّباب والشتائم.. ولأنه حريص على عدم إثارة زبائنه، وحضور حفلاته.. فقد تعود أن يصب لهيب سبابه وشتائمه على «أمه».. فهي مشجب يعلق عليه لعناته.. ولعله يعني بأمه الحاضرين كلهم.. وأمهاتهم.. لقد جعله اليأس غارقاً في السخرية.. يلتقط أكثر النكات لذاعة، ويعيد صياغتها، ليقدمها في فندق «المايلستون» المطل على شارع «هاي ستريت كينزكتن» في لندن، المواجه للفندق الشهير «الرويال كاردن» الذي يملكه رفعت الأسد.. فيمتلىء فندق المايلستون بالضحك المر. لقد اشترى أحد المهاجرين الإيرانيين هذا الفندق، ليكون محطة لعشرات من المسافرين الذين يتلقون العلاج، والمعارضين الذين يتنقلون في أوروبا.. كما أصبح مقراً للقاء الصيارفة الذين يتداولون بالعملة الإيرانية.. ومكاناً يتردد عليه وكلاء الأجهزة السرية الإيرانية والعربية والإسرائيلية.. حيث تدور كل يوم أحاديث من ينابيع شتى حول أوضاع إيران والإيرانيين.. وما أن يدخل أحد رجال الدين الإيرانيين إحدى غرف الفندق، حتى يخرج بعد قليل ببدلة أوروبية أنيقة وبرأس سارح، ليهمس في أذن موظف الاستقبال متسائلاً عن أماكن

اللهو التي يمكنه الذهاب إليها دون الحاجة إلى اللغة الانكليزية التي لا يجيدها.. ورجال الدين الإيرانيون هؤلاء، هم في العادة أعضاء في وفود رسمية أو أشخاص متنفذون يحصلون على منح مالية للعلاج في الخارج، أو القيام بزيارات إلى أوروبا بدعوى «أداء خدمة للثورة الإسلامية» بينما يمضون أيامهم ولياليهم بما يشبه الاستذكار لأيام وليال مضت من عمر بلادهم.. فلم يعد بالإمكان استعادتها إلا في أيام محدودة من السنة يتاح لهم فيها السفر إلى أوروبا.

انه أشبه بالسوق.. هناك من يعرض.. وهناك من يطلب. وبين صيحات النادل الإيراني الذي يأتي بأطباق الرز الأصفر المغطى بالكباب «جلو كباب»، وأحاديث الصيارفة الهادئة، وتعليقات الضباط الهاربين، وحيرة فتيات إيرانيات يقعن صيداً سهلاً لرواد الفندق الذي يقمن فيه في بداية رحلاتهن الغامضة إلى أوروبا.. بين هذا كله.. هناك عيون ترصد.. تلتقط من بينهم النماذج التي يمكن الاعتماد عليها في شبكة من الفعاليات السياسية السرية والعلنية.. بعض أطراف المعارضة يروجون لطروحاتهم.. وبعض مؤيدي النظام يدافعون بحذر عن نظامهم، وهناك من لا يتردد في الحديث عن أجمل ما شاهده في تل أبيب التي تلقى دعوة لزيارتها.. وبينهم رجل أعمى.. لا يكاد رواد الفندق أن يصدقوا قصصه عن إسرائيل، ويعتبرونها ضرباً من الخيال والوهم.

كانت الليلة التي حضرتها الراقصة «وحيدة» مع «سيد كريم» حافلة بحشد كبير من أعداء خميني ومؤيديه، وبينهم ضابط إسرائيلي من أصل إيراني يوزع البخشيش ويتكلم الفارسية بلكنة أهل تبريز. وبينما تشاجر ضابط هارب مع زوجته عندما اقتربت «وحيدة» منه لترقص على

طاولته، هب الضابط الإسرائيلي يستقبل «محسن بزشكور» الذي انضم إلى طاولته بعد أن التقيا لقاء صديقين حميمين..

واستمرت «وحيدة» تتمايل بجسدها الذي بدأ بالترهل بعد أن دخلت سن الأربعين واستقر بها المطاف في لندن تحيي مثل هذه الليالي في النوادي الإيرانية، وتستقبل في سواها زواراً قدامى وجدداً يبحثون عن المسرة المستورة.

كان البعض يعرف ما يدور على الطاولة التي انضم إليها «بزشكور» ويقابلون ذلك بعدم الرضى.. فكل شيء يمكن أن يقع إلا أن تمتد الأيدي للتعامل مع الإسرائيليين. وهي حالة يسميها الضباط المنفيون «الحرام الوحيد»، حتى لو كان ذلك ـ افتراضاً ـ في خدمة العمل ضد خميني ونظامه.

إن إسرائيل التي تمد إيران بالسلاح والدعم المعنوي والسياسي لم تقطع صلاتها مع بعض القوى السياسية حتى إذا أظهرت تلك القوى مواقف غير مؤيده لخميني.. فالسلوك الإسرائيلي يقوم على مبدأ «يد تساعد في الحرب ضد العراق.. وأخرى تهيء صداقات جديدة وتعد لمستقبل الأوضاع بعد موت خميني وزوال نظامه».. لكن هذه العلاقات مع الأطراف الإيرانية صممت على أساس العداوة المشتركة للعرب وللعراق.. فجرى اختيار أصدقاء من طراز خاص.. أبرزهم الأخوان «إحسان بزشكور» و«محسن بزشكور» اللذان يقودان حزب «بان إيرانيست»، وهو أكثر الأحزاب في تاريخ إيران المعاصر تطرفاً في معاداة العرب وقد تأسس في عهد الشاه، وكان يعتبر سياسة الشاه مع أقطار الخليج العربي متساهلة رغم «مبادرته القومية» في احتلال الجزر الثلاث

«طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى»، حيث كان طموح الأخوين بزشكور تطوير ذلك إلى احتلال الخليج كله. وضمه إلى امبراطورية الشاه لإعادة بناء الدولة الساسانية لتضم العراق إلى جانب الخليج وبذلك تقسم المنطقة بين إسرائيل وإيران. . وبعد مجيء خميني استمر الموقف نفسه عند هذا الحزب. . تحريض على مهاجمة العراق وأقطار الخليج. وسلسلة مقالات في صحيفته «ملت» تدعو إلى تغيير التكتيكات العسكرية ضد العراق لتجاوز حالة الفشل والانتكاس التي واجهتها القوات الإيرانية. وحملة تذكير منظم بالحلم الساساني للسيطرة على العراق والخليج والسعودية. . وقد بدأ محسن بزشكور عمله السياسي في حزب «معركة إيران» خلال الحرب العالمية الثانية، ولكنه انشق بكتلة من الحزب وكون حزبه الذي اعتبر في حينها حزباً نازياً. . وعرف منذ ذلك الحين باسمه الحالي «بان ايرانيست» الذي تعرض إلى فترة انحلال محدودة بسبب ارتباط بزشكور بحزب الشاه السابق «رستاخيز ملت إيران».

زار كل من محسن وإحسان بزشكور إسرائيل عدة مرات، وتلقيا دعمًا لتطوير نشاط الحزب إعلامياً عبر صحيفته «ملت» التي تصدر بباريس لتكريس هذه التوجهات ووضع اللوم على الخميني في نقطة واحدة هي عدم القدرة على تحقيق الحلم الساساني القديم، والمطالبة بحكومة «أقوى» قادرة على تحقيق ذلك.

وبدأ ال «بزشكور» اتصالات مع المنفيين الإيرانيين، لدفعهم في هذا الاتجاه الشوفيني المتعصب. . لكنهم كانوا يواجهون التهمة التي تلتصق بهما حول علاقتهما بالموساد، وعملهما في خدمة هذا الجهاز. .

وبينما كانت إسرائيل تدعم هذا التنظيم المعارض شكلاً. عملت على إيذاء القوى المعارضة الحقيقية التي رفضت التعامل معها، واعتبرت ذلك «خيانة» لا تقل عن التعامل مع خميني نفسه، واستمرت تكشف العلاقات السرية بينهما، في مجال تبادل المعلومات والتسليح والدعم السياسي والاقتصادي. لذلك جرى دفع جماعة «بان ايرانيست» لمهاجمة المعارضة الإيرانية، وبخاصة الأطراف التي وقفت صراحة ضد التعاون بين تل أبيب وطهران. كما هاجم الاخوان بزشكور العراق وممثليه في الخارج، وتعرضوا للنشاطات السياسية والإعلامية التي يقومون بها ضد نظام خميني، إلى الحد الذي أخذوا فيه موقف الدفاع عن هذا النظام وبينما افتضحت علاقتهما بإسرائيل، كانا يعلنان صراحة أن هناك إيرانيين كثيرين سواهم سبقوهما إلى إسرائيل. وهو أمر لم ينفه صحفي إيراني يعمل في إحدى المجلات الفرنسية، لكنه يذكر انه عاد من هناك بموقف إضافي بل. الأمر الآخر الذي أشار إليه الاخوان بزشكور أن صحيفة معارضة مثل «إيران وجهان» كانت تضع سعرها بالعملة الإسرائيلية، بما يكشف عن إرسالها للتوزيع في إسرائيل. و مهما حصل مع جماعة «بان إيرانيست» الذين ساءهم كثيراً انهم تعرضوا للمطاردة السرية، فقد كانوا يدركون انهم بلا مستقبل سياسي في إيران حتى لوحكمت إسرائيل. وقبلوا بالشعور المذل الذي يلحق بسياسيين يتحولون إلى وكلاء سريين في أجهزة المخابرات.

جرى صياغة العلاقة السياسية والاستخبارية مع هذه المجموعة الإيرانية بعيداً عن وحدات العمل التي تنسق العلاقات التسليحية مع إيران. فلم ترفع العلاقات إلى مستوى لجنة التنسيق العليا في تل أبيب التي تدير مجمل العلاقات مع إيران، وترسم الدور الإسرائيلي في حرب

الخليج، وجرى إبقاؤها بحدود ضباط «الموساد» الذين رسموا لهم أهدافاً تتعلق بالتشويش على المعارضة الإيرانية، وجمع المعلومات، واستخدام منبرهم الإعلامي ضد العراق، والتغلغل بواسطتهم في بعض الأجواء الإيرانية مقابل دعم مالي يتمثل في مبالغ تحول سنوياً إلى باريس لتمويل هذا النشاط. ولم تكن لدى الإسرائيليين أدنى قناعة بإمكانية حصول هذه المجموعة المتعصبة على موضع قدم في الساحة السياسية داخل إيران بوجود الخميني أو زواله. بسبب عدم وجود قاعدة شعبية لهذا التيار، وسقوطه في العلاقة مع «الموساد»، وانحسار تنظيمه بشلة محدودة من المتعلمين المتعصبين.

لم تكن هناك معلومات بدون فائدة.. فالتغلغل في أوساط الصيرفة الإيرانية كان يعني الوقوف على الأموال التي يجري تحويلها من قبل كبار رجال الدين وبعض القادة العسكريين خارج إيران.. وقد وقف أولئك الذين ينقلون المعلومات المتداولة إلى الوكلاء الإسرائيليين على حادث تحويل مبلغ يعادل «٥٠» ألف باون من العملات الإيرانية لحساب رئيس هيئة الأركان السابق والممثل الثاني للخميني في مجلس الدفاع العميد علي قاسم ظهير نجاد بواسطة أحد أقاربه الموجودين في لندن. وعلى عمليات بيع كبيرة للسجاد الإيراني الفاخر جرت لحساب هاشمي رافسنجاني رئيس مجلس الشورى بواسطة مزادات السجاد في «نايتس بريدج».. وكانت مثل هذه المعلومات عاملاً مساعداً على فهم هاتين الشخصيتين الإيرانيتين النافذتين، وتحليل سلوكها والأسس التي يجري التعامل معها بموجبها مستقبلاً.

بينما ظل الاخوان بزشكور يتنقلان بين بريطانيا وفرنسا والمانيا في

محاولات للتسلل إلى القوى المعارضة ومعرفة خططها ونواياها، ونقل ذلك تفصيلاً إلى ضابط الاتصال الإسرائيلي الذي لا يسعده إلا التعامل معه كـ «مواطن إيراني» يعرف أزقة تبريز وانساب عوائلها، ولا يتذوق إلا الجلوكباب، ولا يهتز إلا على أنغام الموسيقى الإيرانية!

تلقى بزشكور أواخر عام ١٩٨٣ طلباً محدداً بمهاجمة الدبلوماسيين العراقيين الذين عرفوا بنشاطهم ضد التعاون الإسرائيلي الإيراني، وتوجيه الاتهام إلى أي إيراني يتصل بهم بعدما بدأت المعارضة الإيرانية تعلن مواقف واضحة وصريحة من العراق كبلد جار يمكن التعايش معه وحل مسألة الحرب بالطرق السليمة.. ولذلك استعجل إلى توجيه اتهامات ضد الإيرانيين الذين وجدوا أن مصلحة بلادهم هي في معايشة العراق وإقامة علاقات طبيعية معه وحل الخلافات بالطرق السليمة.. ونسي أن الذين أعلنوا تلك المواقف لا يشعرون بأدنى خجل منها. بينما يسجل وكلاء إسرائيل خلفهم اثماً لا يغتفر بتعاملهم مع الموسلد ضد مصالح بلادهم، ولذلك عجزوا عن كسب الشخصيات التي كانوا يطمحون بالوصول إليها.

لم يكن الباب مغلقاً تماماً إلى هذا الحد.. فدائماً هناك يائسون غارقون بالأسى والإحساس بالعدمية مستعدون لأي شيء. حتى الذهاب إلى إسرائيل، وكان منهم «سيد كريم» المطرب الساخر الذي أغرق أمه باللعنات، فعندما يأسوا من إقناع سواه.. جاءوا إليه بفكرة السفر إلى تل أبيب لتسجيل أغان للقسم الفارسي في الإذاعة الإسرائيلية.. وسألهم: كم تدفعون.. وهل سأستلم مكافآتي بالدولار؟

ثم اعتذر للنوادي التي يغني فيها، وقال انه سيسافر إلى باريس،

بينما وضع في جيبه بطاقة شركة «العال»، وتوجه إلى تل أبيب ليلتقي هناك بيوسف عازار الذي يدير القسم الفارسي.. وقف أمامه وأراد أن يتذكر: أين.. أين.. التقاه.. وقف قليلاً.. يريد أن يقول شيئاً. فبادره «عازار»: لقد التقينا بطهران عندما كنت رئيساً لمكتب العلاقات الإسرائيلي.. وهنا شتم «سيد كريم» أمه لضعف ذاكرته التي لم تسعفه لمعرفة مضيفه في تل أبيب.

□ □ □

الفصل الحادي عشر

حكاية
سكرتير سابق في البيت الأبيض!

حكاية
سكرتير سابق في البيت الأبيض!

لم يسلب العمل في أروقة البيت الأبيض روح المغامرة والفضول من بيير سالنجر «Peier Salinger»، ومرت عليه سنوات عمله كسكرتير صحفي للرئيس كنيدي، لتغني ذاكرته في جانب، وتدربه على تلمس خفايا الأحداث وملاحقتها في جانب آخر. وقد تمتع في البيت الأبيض باحترام. رئيسه له، وثقته بآرائه واستشاراته، وكان فنجان القهوة الذي يرشف منه في غرفة الرئيس دليلاً على مودة خاصة بينهما. . فما أن اغتيل كنيدي حتى شعر سالنجر أن مهمته في دار الرئاسة قد انتهت. . وعند الصحافيين الكتاب الكبار والموهوبين شعور راسخ بأن خروجهم من مواقع العمل الإداري هو أكثر نفعاً لهم. . خاصة إذا ما أتاحت لهم أعمالهم السابقة فرصة اكتساب خبرة يمكن أن تضاف إلى ذاكرة الصحفي والكاتب. . فبينما كان عشرات من الأشخاص يعرفون بجهوده داخل البيت الأبيض ويثمنونها. . جعلته العودة إلى النشاط الصحفي والتلفزيوني محط تقدير الملايين. . وهو تقدير لم يكن بإمكان زملائه في البيت الأبيض أن يحصلوا عليه بعد أن أقيلوا أو تقاعدوا، فأصبحوا أفراداً منسيين. وأعطاه الشعور بالتفوق قوة لملاحقة الأحداث في مواقعها

الخفية.. فالأمر يحتاج إلى روح مغامرة، وحب للمهنة، وكراهية «للشيطان».. وهي أمور كانت مجتمعة لديه.

كان مثل أي شخص آخر في الولايات المتحدة يشعر بجرح في كبريائه بعد اعتقال الدبلوماسيين الأميركان في إيران، وتعرضهم للأذى، خلافاً لتقاليد التعامل مع ممثلي الدول المدنيين والعُزل.. ومن هنا استعاد من معلوماته السابقة خلفيات تسعفه عن إيران والعلاقات السرية التي كانت تتولاها أذرعة المخابرات مع المؤسسة الدينية.. وصولاً إلى ما كان لدى الإدارة الأميركية من معلومات، عن التعاون الإيراني الإسرائيلي، في مجالات التسليح والنفط والتجارة والأعلام والمخابرات.

أتاح له وجوده في باريس أن يعرف الكثير، فالمواطن الأميركي مهما وجد بلاده شاسعة ومتنوعة، يشعر بأن من لا يتخذ له مقعداً في مكتب بباريس، لن يرى ما يجري في العالم.. فعبر نافذة مكتب في الشانزليزيه، أو ساحة الأيتوال، يشعر أن أميركا التي خلفها وراءه تقع وراء بحار بعيدة، حرمته من لحظة يلتقط فيها عبر زجاج النافذة، الأحداث التي تدور على شواطىء البحر المتوسط، وفي أعماق دواخل هذه الشواطىء.

عندما وقعت الحرب العراقية ـ الإيرانية في أيلول «سبتمبر» ١٩٨٠، اختلف الصحافيون الغربيون حول بدئها، فبينما اعتبر البعض التحرشات الإيرانية منذ آب ١٩٨٠ إيذاناً ببدء الصراع المسلح بين البلدين، رأى آخرون أن يوم «٤» أيلول هو تاريخ فعلي لنشوب القتال، بعد الاستخدام الواسع للمدفعية والدبابات والطائرات الإيرانية في مهاجمة العراق ومدنه الحدودية.. أما آخرون فقد تحدثوا يوم «١٧»،

أيلول بعد عدة معارك جرت في الحدود، عن احتمالات الحرب بين البلدين، كما فعلت صحيفة «التايمز» البريطانية. أما سالنجر فكانت الصورة عنده على خلاف منهم جميعاً، حيث اعتبر حالة الصراع قائمة منذ بدء التحرش السياسي والإعلامي الإيراني بالعراق، ووجد في ذلك انتهاء لهدنة مؤقتة قبلت بها إيران على مضض عام ١٩٧٥، فوقعت اتفاقية الجزائر لترتيب أوضاعها في الداخل، واختصار عدد خصومها، حتى تنشأ ظروف أفضل تنتهي فيها تلك الهدنة.. وعندما جاء خميني إلى السلطة، شعر أن الهدنة قد انتهت، وأن إيران مقبلة على عمل عسكري يضاف إلى التحرش السياسي والإعلامي بالعراق. ومن هنا بدأ بملاحقة أحداث الحرب وتفاعلاتها، والتحالفات التي نشأت حولها.

أهمية سالنجر لا تقل عن أهمية جاك أندرسون المعلق الأميركي الشهير. فقد أعطته خبرته السابقة حساسية عالية في التقاط الموضوعات المثيرة. ولم يكد يصدق أن النظام الجديد في إيران سيواصل علاقاته مع إسرائيل، ووجد أن مجرد التقاء «عمامة» مع «قبعة حاخام» هو مشهد مثير بحد ذاته.. فكيف إذا تسنى له أن يوثق هذه الزيجة المحرمة، ويعرضها على مشاهديه في التلفزيون الأميركي..؟.. كان دبلوماسيون غربيون قد نقلوا إليه في وقت مبكر من بدء الحرب العراقية ـ الإيرانية، في باريس، أن إسرائيل بدأت بإرسال شحنات سلاح إلى إيران، وتصرف بحذر مع تلك المعلومات، وبدأ نشاطاً جدياً كمراسل لمحطة «A.B.C» في باريس.. استمع إلى رجال مخابرات وصحافيين، والتقى مع سياسيين أوروبيين وأميركان وشرق أوسطين.. وكان كل واحد منهم يلقي إليه بمعلومة جديدة تضاف إلى سلته التي يصطاد بها الأنباء المبكرة لهذه العلاقة.. كيف يقبل نظام برفع اسم الإسلام بالتعامل مع

إسرائيل. وهل يعقل أن علاقة بالسعة التي وقف على أسرارها، تتم دون علم القادة الدينيين الذين يسيرون السلطة في إيران؟ طرح هذه الأسئلة ومثيلاتها. ومن خلال معرفته بالإسرائيليين لم يكن شديد الحذر منهم.. فقد استنتج أنهم لن يستهدفوه. لأن الطرف الذي يستحي من هذه العلاقة السرية هو إيران، وليس إسرائيل، التي يسرها أن تتباهى بأن دولة مسلمة كبيرة مثل إيران، بقيادة دينية تكفر الجميع، قد قبلت التعامل مع العدو الذي يتفق المسلمون في كل مكان على عدائه وكراهيته.

شرح لاحقاً لزملائه ولشخصيات عربية، أن أكثر ما كان يغيظه أن الجهة التي تتعامل مع إسرائيل، تكيل لها السب والشتم ليل نهار، ولذلك أراد أن يفتتح تحقيقه بالضرب على أكثر العناصر إثارة وحساسية عند الأميركان.. هو موضوع الرهائن.. رفع سماعة الهاتف من باريس، وقال لمدير البرامج دعنا نطلع الأميركان على ما تسلمته إيران من أسلحة أميركية بينما كان أولادنا يعاملون كالكلاب في طهران!

من أجل ذلك لم يتمتع بإجازة مريحة طوال شهر تموز من عام ١٩٨١، وهو يستقصي ويجمع المعلومات، حتى اكتملت عنده أواسط آب، وانتهى فيها إلى أن طرفاً آخر يبيع السلاح من وراء ظهور الجميع، هو بريطانيا التي تفاوضت بروح تساومية محترفة لإطلاق سراح مبشرين بريطانيين كادوا يتهمون بالتجسس في إيران، مقابل إرسال محركات للدبابات بريطانية الصنع الموجودة في إيران.

جمع سالنجر أوراقه كما لم يكن يفعل عندما كان سكرتيراً صحفياً لرئيس إحدى أكبر دولتين في العالم.. تصرف كمراسل صحفي اكتمل

صيده، فعرض على مشاهدي التلفزيون الأميركي ما اعتبر صدمة جارحة عبر قناة «A.B.C».

• • •

استمع الأميركيون للمرة الأولى أن إسرائيل تبيع السلاح إلى إيران.. وأن كميات من السلاح الأميركي نقلت من إسرائيل إلى طهران خلال أزمة الرهائن الأميركان، وهو أمر لم يكن ليتم دون علم أو موافقة ضمنية أو مباشرة، صريحة أو غير صريحة، المهم أن البلد المنشأ للسلاح، وهو الولايات المتحدة، كان يعرف ما يجري. وهنا استعاد سالنجر ما كان قد فهمه من قبل من عبارة الرئيس الأميركي السابق «جيمي كارتر». وهو يفهم بحسه السياسي دلالات تلك العبارات، ومعنى تمسك أميركا «بالصداقة» حتى من جانب واحد، وشعور رئيسها بثقة تامة أن إيران لن تصبح عدوة مهما حصل.. ومهما قيل..

كشف سالنجر أن محركات دبابات «سكوربين» بريطانية الصنع قد نقلت من بريطانيا إلى إيران، بينما كان الدبلوماسيون الأميركان يجثمون تحت وطأة كوابيسهم المريرة في طهران. وحدد بدقة أن محركات الدبابات هي من صنع شركة «Alvis» في كومنتري، وقد نقلت يوم ١٢ تموز ١٩٨١ إلى طهران، وهو أمر علله البريطانيون في حينها، بأنه تم بسبب ركود تجارة تسويق السلاح البريطانية، وتمت العملية عبر بيع شركتين بريطانيتين، تولت الشركة الثانية مهمة تصديرها إلى الخارج، وتحملت أعباء إعداد وثائق شحن وجهتها نحو إيران، وقيل حينها أن الصفقة تمت عبر علاقة مع شركة «جاكوار» التي يشبه محركها محرك دبابة «سكوربين».

وضع سالنجر يده على دور شركة فرنسية تعرف باسم «Setti» تولت إدارة الصفقات المبكرة بين إسرائيل وإيران، وإزاء المصداقية العالية لمعلوماته اضطر الرجل الذي احتل منصبه في البيت الأبيض أيام الرئيس كارتر أن يؤكد معلومات سالنجر، فقد صرح السكرتير الصحفي «جودي باول» أن ما قيل حول وصل سلاح أميركي إلى إيران رغم الحظر الرسمي، هو أمر صحيح وأن الجهة التي وردت السلاح هي جهة صديقة للولايات المتحدة. «وأن الحكومة الأميركية بحثت الأمر مع إسرائيل».

تابع سالنجر من ناحيته العلاقات القوية بين السفارة الإسرائيلية في باريس وشركة «Setti» حيث جرى اتفاق على شراء «٢٥٠» إطار لطائرات «فانتوم ٤» لتصدر إلى إيران.. وتولت الشركة استئجار طائرة من باريس إلى مدينة «باسيتا» في «كورسيكا»، ثم انطلقت إلى تل أبيب، حيث تم نقل الـ «٢٥٠» إطار إلى الطائرة التي عادت في طريق آخر إلى طهران.. وبعد أن أنجزت العملية اتصلت شركة «Setti» بشركة «DSDP» الإيطالية للحصول على محركات لدبابات «أم ٤٨» و «أم ٦٠».. وهو الأمر الذي اتضح لاحقاً انه تم بناء على نصيحة إسرائيلية لتأمين الاحتياجات الإيرانية العاجلة.

وجرى دفع مبلغ «٢٣٣,٠٢٧,٤٥» دولاراً إلى الحساب المرقم «٧٣٩٠ ـ ٣٠٩٢٠» في بانك باركلي في مدينة «موناكو»، ومبلغ «١٥٠,٢٧,٣٥» إلى الحساب نفسه في وقت لاحق من تشرين أول ١٩٨٠، وغطى هذان المبلغان صفقة محركات الدبابات الأميركية، بينما استلمت إسرائيل مبلغ «٨٠,٠٢١,٣٠» دولار يوم ١٣ تشرين أول ١٩٨٠، وهو أحد مبلغين استلمتها عبر بانك «باركلي» في «موناكو».

كان لما كشفه سالنَجر وقع الصاعقة على المواطنين الأميركان، أما

الإسرائيليون فقالوا رسمياً: ليس من عادتنا أن نعطي أية معلومات حول بيع السلاح إلى الخارج!

وصعب على سالنجر أن يصف ما يجري بين طهران وتل أبيب.. أهي زيجة غير شرعية.. أم أنه زواج متعة؟.. وإذا كان مثل زواج المتعة فلماذا لا يتحول إلى زواج دائم بعد أن التقى الرأسان على وسادة واحدة وارتبطا بهموم مشتركة..! لقد عرف سالنجر قبل غيره بعد ستة أشهر مما كشفه عبر التلفزيون إلى إيران عبر مطار لشبونة في البرتغال.. وهو أمر كان يجري رصده من أطراف أخرى يهمها إفساد العلاقة بين تل أبيب وطهران..

من المفارقات التي لن يتمكن سالنجر من معرفتها يوماً أن تحرياته واستقصاءاته كانت متابعة من قبل طرف معني بالحرب العراقية ـ الإيرانية، وقد سرته الطريقة التي أدار بها عملية جمع المعلومات باحتراف رجل تقص خبير. وكانت الكثير من معلوماته قد وصلت إلى إحدى العواصم قبل أن تصل أميركا.. ولم يضطر الرجال الذين تابعوا نشاطه إلى إشعاره بذلك، وامتنعا عن توجيه كلمة تقدير كانت تحتبس في نفوسهم خشية أن تثير عنده حرجاً أو يكون لها وقع معاكس لدلالاتها الحقيقية.. ولكن ذلك الطرف لم يتردد من إبلاغ سالنجر، عبر طرف ثالث، بأن الإسرائيليين يجمعون المعلومات عن علاقاته ومصادر معلوماته.. ثم عنه شخصياً!

كان وسط سلسلة من الملاحقات السرية، أهم عناصر نجاحها عند الجميع، أن لا يشعر طرف بحركة الطرف الآخر، وهكذا تمت.. وتلاشت كلمة التقدير التي ضاقت بعض الوقت في صدور أصحابها!

□ □ □

الفصل الثاني عشر

صادرات إسرائيلية للنشر!

صادرات إسرائيلية للنشر!

إذا لم يتعرض الصحفي الإسرائيلي «Ibraham Shamsh» «إبراهام شمـش» إلى قتل متعمد، أو حادثة اصطدام غير متوقعة، فإنه سيموت ميتة طبيعية أوائل التسعينات، رغم انه لن يبلغ يومئذ أكثر من خمسة وخمسين عاماً من العمر، لكن ما عرفه في حياته وما تعرض له من هزات نفسية يجعل النتيجة المتوقعة لدورة الاضطراب العصبية هي الموت في مثل هذا العمر. . ففي كل مرة يستدعى إلى أحد الدور في ضواحي «تل أبيب» ليلتقي إيعازات محددة من أحد ضباط «الموساد»، يضع يده على قلبه وهو يتسلم توجيهات حول أحداث وقعت، أو أحداث ستقع، او أحداث لن تقع أبداً لكن المطلوب منه أن يوحي بأنها ستقع. . ويشعر دائمًا أن مسؤولية معنوية وعبئاً ثقيلاً يُوضع على كاهله، وان الإخلال بطريقة عرض التوجيهات يكلفه وقفة صعبة سينصب فيها اللوم على رأسه، في لقاءاته التالية. . وعلى هذا فقد بدا أحياناً مفرطاً في التدخين، ومتوتراً في التعامل مع زملائه، بعد أن صار زملاؤه يغارون منه ويصفونه بـ «المدلل».

وكثيراً ما استمع ضباط «الشين بيت» جهاز الأمن الداخلي في الأرض المحتلة إلى شكاوى حول الرعاية الخاصة التي يعطيها ضباط

«الموساد» إلى إبراهام شمش وبعض صحفيي جريدة «الجيرولزم بوست»، وكانت الإجابة دائمًا، أن «شمش» يؤدي واجباً ضد أعدائنا.. وقد أصبح خبيراً بشؤون العراق، وهو ماهر في بناء موضوعاته عن العراق وتصريفها في أوروبا، ولم ينفع الحماس الذي أبداه أولئك الصحفيون لأداء أية مهمة ممكنة، في كسب معاركهم ضد شمش.

حدث تحت وطأة ذلك الإلحاح أن هب رجل «الشين بيت» ليصرخ في وجه صحافيين يحادثونه بتلك الطريقة: لا يجب أن نفسد خطة جاهزة ينفذها آخرون في الحرب الدعائية.. اكتبوا تحليلات في الداخل كما يفعل «عاموس عوز» في «دافار»، و«يوري افنيري» في «هعولام هازيه»، ودعوا الآخرين يحاربون في الخارج.

وقطب عاموس عوز حاجبيه معتبراً ذلك الكلام طعناً مباشراً به، وبإمكاناته ككاتب سياسي، ولم يمنعه شيء من الرد على رجل «الشين بيت» أمام مجموعة الصحفيين:

لقد تقاسمتم الصحفيين أنتم و«الموساد».. وأستطيع أن أفهم لماذا أستبعد من مهمات «خارجية».. إنني أدفع ثمن ما فعلته من أجل حزب «العمل».. اننا جميعاً أحجار على طاولة الشطرنج بين الموساد والشين بيت.. ثم غادر مكان الاجتماع، دون أن يودع الحاضرين بكلمة مجاملة واحدة.

إبراهام شمش قد يموت دون أن يعرف به أحد من الصحفيين والقراء في أوروبا وأميركا، رغم انه يكتب لأحد أهم مصادر المعلومات الصحفية في أوروبا.. لأن الأسلوب الذي تتبعه النشرة، التي يراسلها من إسرائيل، يخفي اسمه، حيث لا تضع أسماء مراسليها، وتسعى

لإخفائها حتى عن أقرب الناس إلى دائرتها، لحساسية الموضوعات التي تتناولها، ولاعتمادها في معظم الأحيان على مصادر سرية. . والنشرة معروفة باسم «الفوريون ريبورت» «Foreign Report»، ويكتب في زاويتها العليا «Confidential» «سري موثوق» لتوحي لقارئها بدلالات هذه الكلمة، وهي تصدر عن مؤسسة «الايكونوميست» «Economist» البريطانية وتُوزع على المشتركين فقط، وهم في العادة صناع القرارات ومساعدوهم، من رؤساء وزراء وسفراء ورجال مخابرات وصحافيين، يتجاوز عددهم ثمانمائة مشترك في أوروبا وأميركا والعالم الثالث. وتعتبره النشرة نفسها مصدراً للمحللين السياسيين والكتاب والصحفيين، وللسفراء والملحقين الصحفيين في إعداد تقاريرهم. . وأتذكر انه ذات مرة بلندن وقعت في يد أحد السياسيين العرب نسخة من هذه النشرة فأثارته الإشارة إلى أنها «خاصة وسرية». . وكان أن وضعها بين حاجاته الخاصة واستعجل العودة إلى بلده، وكأنه قد عثر على وثيقة من ذلك النمط الذي يستهوي أجهزة المعلومات السرية. . ، فالنشرة تؤدي دور الإيحاء والتأثير على هكذا متلقين بطريقة ساحرة.

مع الأيام تورطت النشرة في تقديم تقارير غير صحيحة أفقدتها بعض مصداقيتها، وأوقفت الخط البياني لعدد المشتركين فيها، وأصبحت في مطلع الثمانينات ـ على الأقل من وجهة نظر بعض المحللين السياسيين ـ نشرة ذات أهمية واحدة. هي التعريف بأحدث الإشاعات السياسية، والقصص «المفبركة»، المطلوب ترويجها لخدمة أهداف التضليل والتعمية.

ولأن هذه النشرة تلاحق في العادة الموضوعات الساخنة، فإن تدرج الأولويات فيها يبدأ بالاتحاد السوفيتي والدول الحليفة له، ثم يمر

بأحداث الشرق الأوسط بما فيها الصراعـان العربـي ـ الإسـرائيلي، والعراقي ـ الإيراني، وتأتي بعد ذلك الموضوعات الساخنة على مستوى ما تقرره الأحداث، وهي تركز على خلفيـات القرارات السيـاسية، وتستقرىء شخصيات صنع القرار، وأجواء الصراع السياسي الداخلي، ونشاطات الأجهزة السرية في العالم.

رغم اعطاء قضايا «الشرق الأوسط» أهمية عالية في هذه النشرة فإنها، تشتغل دون أن يكون لها أي مراسل عربي أومراسل أجنبي مقيم في عاصمة عربية. . وقد جربت مع بعض الصحفيين في المنطقة العربية، لكنها افترقت عنهم عندما خرجت معالجاتهم عن التبويب المرسوم لأهدافها. . وظل مصدرها الرئيس عن الشرق الأوسط إبراهام شمش، الذي لم تنحصر مسؤوليته بتغطية الموقف الإسرائيلي باعتباره مقيًا في الأرض المحتلة. . بل أصبح مراسلاً إقليمياً يكتب من شقة في «تل أبيب» تقع على بعد ألف كيلومتر من الحدث الذي يعني به.

يعمل «شمش» بموجب خطة مرسومة مسبقاً، وينصب اهتمامه الأول على العراق والخليج. . ذلك أمر مطلوب وله أسبقية، ومن المؤكد أن إحدى عينيه ليست سحرية، وان الأخرى ليست متصلة بسلك مع الأقمار الصناعية، أو ان راداراً قد رُكب في رأسه ليرى على بعد ألف كيلومتر ما يجري في الخليج والعراق. . لكن قصاصـات صغيرة من الورق، فيها أفكار منظمة بصيغة نقاط متتالية، كانت توضع على طاولته لتسعفه وتضخ إليه موضوعات شبه جاهزة فيعيد ترتيب ما فيها من معلومات، ويحولها إلى تقرير يبرق إلى طاولة تحرير نشـرة «الفورين ريبورت» في لندن، بعد أن تكون قد دخلت عملية تلميع، ووضعت في

إطارها الصحفي الذي يعتمد قدرة عالية في الإيحاء ولفت الاهتمام في هذا الاتجاه أو ذاك.

أدى «شمش» مهمة محددة في مراحل التمهيد للعدوان الإسرائيلي على مفاعل تموز، بنشره سلسلة تقارير وأخبار تحمل اتهامات موجهة إلى العراق، ثم أعقب ذلك بتقارير تبرر السلوك الإسرائيلي وقرار الهجوم على تموز.. وكان أول من نشر اتهامات مزعومة حول استخدام «المطر الأصفر» كسلاح كيمياوي من قبل العراق، وذلك قبل أكثر من عام من انفجار الحملة الإعلامية التي غذتها إسرائيل وأجهزتها عام ١٩٨٤، وكانت لديه دائمًا هواجس مختلطة تنصب على تحجيم صورة الانتصارات العسكرية العراقية وامتصاص بريقها.. والتشكيك بمواقف التضامن العربي.. وتدمير أي موقف وحدوي.. وإبراز النعرات الطائفية والمذهبية والعرقية.. وإدامة الاتهامات ضد العراق من كل لون وصنف، وبخاصة حول العلاقات مع الاتحاد السوفييتي.

ولأن إبراهام شمش بدأ يشيخ من كثرة توتره وشعوره الدائم بالعبء الذي يلقيه «التزييف» على كاهله. فقد انضم إليه مؤخراً مراسل إسرائيلي آخر ليتعامل مع هذه النشرة، وهو كذلك، يعمل بتوجيه الأجهزة الإسرائيلية التي تطبخ عمليات الحرب النفسية والإعلامية وحملات التضليل، ولعله وجد في اليوم الأول، أن حرب الخليج في مقدمة الأولويات الواجب ملاحقتها، متى كان ذلك ممكناً مع نشرة «الفورين ريبورت»، ومتى ما تسنى الإيحاء لإدارتها في لندن.. إن ما يصل من تل أبيب.. فيه شيء من المصداقية!.

□ □ □

الفصل الثالث عشر

كن يسارياً تصبح صديقاً للعرب!

كن يسارياً تصبح صديقاً للعرب!

كن يسارياً وتقرّب من العرب. ولن يحتاج الأمر سوى معرفة الشعارات المتداولة بين المثقفين العرب الجدد والتردد على مقاهيهم وأماكن تجمعهم واستخدام مفردات مشابهة للتي يستخدمونها ضد إسرائيل والحركة الصهيونية.. ولا بأس من الحديث عن جذور قهر طبقي في العائلة، كأن تدعي أن أباك كان حمالاً مضطهداً يحمل أمتعة البرجوازيين أو اسكافيا لم يشم منهم إلا روائح أقدامهم..

وإذا كان الشائع استخدام الاصطلاحات في الحياة اليومية استنسخ طريقة استخدامها والحماس الواجب إظهاره عند أداء أي منها، ولا تشعر بأي ذنب وأنت تشتم دولة إسرائيل وأركان الحركة الصهيونية فإن الكلمات لا توجعنا، وأنت أعرف بالمثل الانكليزي: «دعه يرميك بالكلمات.. فإذا لم يرمك بها.. سيرميك بحجارة تكسر عظامك».

بهذه الخطبة يبدأ إرسال مجموعة من الشبان الصهاينة إلى أوروبا بهدف الالتقاء مع العرب المقيمين والسائحين، ويحمل أولئك الشبان صفات أدباء وفنانين وطلبة وجامعيين، بعضهم مقيم بصورة دائمة في هذه العاصمة أو تلك، له مكتب وعمل دائم، والآخرون يروحون

ويجيؤن ويتركز معظم اهتمامهم على الدخول عبر بعض الشبان، العرب إلى المنظمات الفلسطينية والحركات السياسية العربية متغلغلين عبر ما شاع لدى العرب حول التفريق بين الصهيونية واليهودية.. فهم يعترفون بدياناتهم ولكنهم يروجون بأنهم ضحايا كالعرب من ممارسات حركة عنصرية تورط اليهود والعرب في أفظع مآسي هذا القرن.

ومن أشهر النصائح التي يتلقونها من موجهيهم الموزعين بين جهاز «الموساد» المكلف بالعمل خارج الأرض المحتلة وجهاز «الشين بيت» الذي يعمل في الداخل ولديه امتدادات في الخارج.. تلك العبارة التي سمعها الجميع تكررت أمامهم مرات عديدة: «اقرأوا مفردات اليساريين في الصحافة العربية، وأعيدوا استخدامها مع من تلتقوهم من العرب..».

أما النساء، فيلتفت إليهن مديرو هذه العمليات بتوجيه خاص: «إن خطيئة التماس مع رجل عربي كبيرة بلا شك.. ولكنها واجبة إذا كانت تخدم إسرائيل».

• • •

إيان بلاك «Ian Black» هو أحد هؤلاء اليساريين البريطانيين اليهود الذين عملوا على التسلل في صفوف بعض العرب. رجل بريطاني في الثامنة والثلاثين من العمر، طويل القامة، مشاكس بطبعه، له شعر يتدلى طويلاً إلى الخلف، لا يعير هندامه اهتماماً يذكر، على طريقة الذين يحرصون على انسجام مظهرهم مع طروحاتهم اليسارية، كان له نفس طويل في التعامل مع الموضوعات العربية باعتباره صحفياً يكتب تقارير إخبارية اعتماداً على ما يحصل عليه من معلومات خلال لقائه مع شخصيات متنوعة الاهتمامات، أبدى اهتماماً غير عادٍ بالحرب العراقية

ـ الإيرانية عندما كان قد ترك إسرائيل في عودته الثانية إلى لندن.. ثم طور هذا الاهتمام الظاهر ليبحث في «المسألة الطائفية» و«الإرهاب العربي ضد إسرائيل».

ينحدر إيان بلاك من عائلة يهودية اسكتلندية.. عاش في إسرائيل مع عائلته في الخمسينات، ثم عاد إلى بريطانيا عام ١٩٧٤ ليواصل دراسته فيها، واعتاد آنذاك أن يذهب إلى اجتماعات الحزب الاشتراكي الإسرائيلي في لندن، وتظاهر منذ ذلك الحين أنه متعاطف مع الفلسطينيين.. لكنه عاد عام ١٩٦٨ إلى إسرائيل والتحق بعمله الجديد في صحيفة «الجيرولزم بوست» إلى جانب مراسلته لمجلة «نيوستيتسمان» اليسارية البريطانية.. ويبرر لبعض معارفه الفلسطينيين الذين فوجئوا بعمله في «الجيرولزم بوست» بأنه كان بحاجة إلى المال وقبل ذلك العمل.. بينما كان قد اقترن حينئذ بامرأة إسرائيلية قبل أن يعود إلى بريطانيا ثانية عام ١٩٨٠.

كان طموحه أن يعمل في إحدى الصحف البريطانية كمحرر ثابت له دخل محسوب ومكان يستقر فيه ويتخذ منه مركزاً لتحركه، لكن الحصول على عمل ثابت في الصحف لم يكن بهذه السهولة في أيام يجري فيها تسريح العشرات كل سنة والاستغناء عن خدماتهم، لذلك اتصل بأصدقاء وأقارب يهود تدخلوا على الفور لدى صحيفة «الكارديان» التي تأسست بأموال التجار اليهود في مدينة مانشستر وظلت حريصة على الوفاء لهذا الانتماء حتى اشتهرت بافتتاحيتها بعد كامب ديفيد التي ذكرت فيه «إن ما راهنت عليه أصبح حقيقة» «وإن الدولة التي دافعت عنها ربع قرن أصبحت حقيقية يعترف بها أعداؤها العرب». لكن «الكارديان» تتصرف على طريقة الأشخاص المطلوب منهم تحبيب أنفسهم للعرب..

فهي تعطي حيزاً كبيراً لأخبار العالم الثالث وتتبنى الصحفيين اليهود الذين يتغلغلون في الأوساط العربية.. ويقوم عماد التصرف على النحو التالي: دافع عن منظمة فلسطينية واشتم بقية العرب.. فلا أسهل للتغلغل بين العرب والتأثير فيهم من الادعاء بأنك نصير الفلسطينيين فإذا انفتح لك الباب اتهم الجميع بأنهم أقل إخلاصاً للفلسطينيين منك وزايد عليهم.

لقد رحب «بيتر برستن» رئيس تحرير «الكارديان» بالصحفي اليهودي الجديد إيان بلاك، وهو رئيس التحرير نفسه الذي لم يتمالك مشاعره من الفرح عند ضرب مفاعل تموز فاستقبل مندوب صحيفة «الجويش كرونيكال» الناطقة باسم الجالية اليهودية، ليعلن له في تصريح علني «إن لإسرائيل الحق في ما فعلته».

عرف إيان بلاك أنه سيستلم أجوراً غير ثابتة بقدر ما يقدم من موضوعات لصفحات الأخبار الدولية، وكانت لديه رغبة غير مفهومة من قبل بعض زملائه للاتصال بالسفارات العربية والشخصيات والجمعيات والمنظمات العربية والمتعاملة مع الشؤون العربية، كان يفتح دفتر تلفوناته الأحمر ليتصل كل يوم بعدد من هؤلاء الأشخاص.. في أعماقه كان مسترخياً على عكس ما يظهر عليه من روح مشاكسة.. فلديه تعليمات واضحة محددة بعبارة صغيرة «لا تضطر إلى خسارة كبيرة قبل أن يحين موعد تنفيذ واجب كبير».

كان بلاك مثل أولئك الذين تتملكهم نزعة تدميرية للمجتمع العربي، يعملون على استثمار الموجات اليسارية المضطربة والتغلغل فيها.. وإذ يتصور بعض اليساريين أنهم حالة جديدة لا تنتسب إلى هوية

فإنهم يعيشون وضعاً نظرياً افتراضاً هشاً.. حتى يصبحوا مخلوقات بلا أطراف ليس تحتهم أرض ولا فوقهم سماء.. وتجارب معظمهم هي حالات مقروءة ليس لها إلا صور شاحبة في الأذهان فقط.. لذلك فإن التسلل إلى عوالم هذه النماذج ليست مهمة صعبة «اشتم اليمين وزايد بشعارات اليسار..» فيصبح التعامل مع «اليسار الإسرائيلي» عملاً مشروعاً على أساس أن «اليساريين العرب والإسرائيليين يقاومون سلطة يمينية واحدة تحكم في إسرائيل».. بذلك كانت مهمة «ايان بلاك» سهلة تماماً.. وكثيراً ما أعلن معارفه من اليساريين العرب أنه ضد «حكومة بيغن اليمينية» وأنه «مؤمن بالحوار بين اليسار العربي واليسار اليهودي».. وانفتحت أمامه أبواب بيوت ومؤسسات وسفارات.. وتمكنت عيناه من مشاهدة ما هو محرم عليه.. وتمكن من الاتصال بإحدى الشخصيات الفلسطينية المعروفة بنشاطها الدولي واستعدادها للحوار مع الأطراف الإسرائيلية التي ترفع شعارات السلام.. وكان المدخل لتلك العلاقة سهلاً وبسيطاً «إنني يهودي معادٍ للصهيونية.. أؤمن بالسلام مع العرب..»..

بينما أبلغ «بلاك» رجل الاتصال الإسرائيلي أنه يمكن أن يعتبر من الآن ذلك الشخص الفلسطيني «مصدر معلومات وتحليلات دائم».. واستمر الوضع حتى اغتيلت الشخصية الفلسطينية البارزة في عاصمة أوروبية عام ١٩٨٣

● ● ●

سحب رجل في الستين من العمر ورقة بيضاء وصار يخطط عليها ويرسم صوراً لكلمات غير واضحة وخاطب «بلاك» الذي كان يستمع إليه:

في الستينات كان جمال عبدالناصر في أولوية أهدافنا وكانت التعليمات التي تأتي من تل أبيب تكرر كلمتي «مصر» و «عبدالناصر» في كل رسالة أو برقية، ويبدو أنكم الآن تجهدون مع عدو آخر أشد خطورة على أمن إسرائيل.. هو العراق.. وصدام حسين»..

فأجابه إيان بلاك: كانت الصورة واضحة لديكم قبل عشرين عاماً حيث الموساد وحدها توجه ذلك العمل.. أما الآن فأنت تعرف علاقتي القديمة مع الشين بيت.. إنهم الذين يديرون العمل الجديد.. واعترف أنهم أقل خبرة في العمل الخارجي..

ـ لِمَ لا تتحول صلتك إلى الموساد إذن؟

قال بلاك:

ـ هناك سببان، الأول هو خلافاتي الشخصية مع عدد من ضباطهم، والثاني أنهم وجدوا في السبب الأول أمراً مهمّاً لتنويع الصلات منعاً للكشف والاختراق فانا على الأقل محط شتم «الموساد» وهذا كاف لتضليل العرب الذين أعرفهم.

نهض الرجل من وراء طاولته وقد بدت عليه ملامح تعب وإجهاد قديم بعد أن عمل في خدمة الجهاز الإسرائيلي السري عشرين عاماً في أوروبا، وربت على كتف إيان بلاك قائلاً: كان دورك ثميناً عشية اغتيال القادة الفلسطينيين الثلاثة أوائل السبعينات وعليك أن تبدي حماساً أكبر مع العراقيين هذه المرة.

وقال مازحاً: لقد رتبت شكلك.. وتسريحة شعرك الفوضوية وهندامك غير المنظم لينسجم مع دورك اليساري، فقال بلاك: أقسم بالله.. أنني هكذا أصلاً.. لا أتصور نفسي مخنوقاً بربطة عنق ومحبوساً

في بدلة أنيقة.. إنني مكيّف بالولادة لأن أكون «يسارياً»، وغرق الإثنان في الضحك قبل أن يخرجا ليقطعا الشارع المحاذي للهايد بارك في قلب لندن، حيث تضطجع النساء الكثيرات تحت الشمس. فتلاحقهن نظرات «بلاك» الذي لم يعرف زواجاً ناجحاً لأنه يعتبر نفسه رجلاً لا يصلح للمغامرات والعلاقات غير المحكومة بالقيود.. فهو ياسري بالفطرة.. حتى مع النساء!

● ● ●

في آذار «مارس» ١٩٨٣ تردد «إيان بلاك» على بناية محكمة «أولد بيلي» بلندن لحضور بعض جلسات محاكمة الفلسطينيين المتهمين بمحاولة اغتيال «شلومو أركوف» السفير الإسرائيلي في لندن في حزيران ١٩٨٢، ولم يبذل جهداً كبيراً في ملاحقة مجريات المحاكمة، لكنه كان بحاجة إلى وقائع جرت في المحكمة لإكمال قصة شبه جاهزة زودته بها السفارة الإسرائيلية وجرى الاتفاق معه على نشرها في اليوم التالي لصدور الأحكام.. لم يكن «إيان» معنياً بالاتهام وبالدفاع، لكنه كان بحاجة لرسم مناخ المحاكمة لإعطاء موضوعه بعضاً من المصداقية.

وأبلغ «بلاك» رئاسة تحرير الكارديان أنه يعد قصة مطولة أراد لها عنواناً على الصفحة الأولى وصفحة كاملة في الداخل.. وفي السادس من آذار ١٩٨٣ جمع أوراقه من شقته، وانطلق إلى بناية صحيفة الكارديان، حيث أمضى يتابع ترتيب المقال وإعداده للنشر، كانت التعليمات الواجب إبرازها في موضوع يتعلق باغتيال «أركوف» ما يلي:

- توجيه الاتهام إلى العراق.
- تبرير دوافع الغزو الصهيوني للبنان.
- التشهير بالمؤسسات الدبلوماسية العراقية والتحريض ضدها.

ـ تحويل الأنظار عن النجاح العراقي في صد الهجمات الإيرانية.

ـ خلق حالة مشوشة حول الوضع السياسي والعسكري في حرب الخليج.

ولم تكن تلك العناصر تحتاج سوى سيناريو يكتب بلغة الاعتماد على مصادر وهمية.. وعندما نشر الموضوع في السابع من آذار كان من السهل على أي قارىء أن يتلمس مشاعر العداء للعرب والتحريض ضدهم والأسلوب الإسرائيلي المعروف في تسريب القصص المختلفة.

في العاشرة من صباح ذلك اليوم رفع بلاك سماعة الهاتف على السفارة الإسرائيلية ليسأل عن رأي أحد موظفيها بما نشره فتلقى جواباً محيراً: كان يجب أن لا تضطر إلى خسارة كبيرة

وقال له أحد محرري الشؤون الخارجية:

ـ العراقيون اليوم هم غيرهم بالأمس.. يبدو أنهم كانوا يلاحقون قصتك قبل أن تنشر ولذلك كان ردهم مؤذياً بتفاصيله ومعلوماته.. وهم يختلفون عن آخرين يرتبكون عند تلقي مثل هذه الحملات الصحفية.

• • •

في غمار صلاته التي صارت تتشعب كان قد وجد أن التغلغل في أوساط الطلبة والشبان العرب والإيرانيين هو له فرصة ذهبية للاستماع منهم إلى اقتراحاتهم ومعلوماتهم.. وبينما التقى بطلبة من جامعة لندن وكلية «البوليتكنيك» وجامعة مانشستر أتيحت له فرصة التعرف بأعضاء من حزب «الدعوة» فوجد فيهم «البطة الثمينة» التي انتظرها طويلاً، فأمسك بيدين حارتين بالمناخ الطائفي واندفع يروّج لطروحات مذهبية

يتغذى بها عبر لقاءاته مع أعضاء هذا الحزب الذي يتخذ من إيران مقراً له ويتمول بأموال إيرانية ويعمل على تنفيذ أهداف إيرانية في العراق ودول الخليج العربي، وكان أقرب الأصدقاء إليه شاب من أصل أفغاني ويتكلم الفارسية ويحمل جوازاًعراقياً وآخر إيرانياً.. ويتخذ له مكتباً إحدى غرف الدائرة القنصلية الإيرانية.. ويعرف باسم «يوسف».

• • •

في الأيام التالية دخل بلاك أحد البارات القريبة من الصحيفة، وتحدث مع صحفيين وجهوا إليه اتهامات حول علاقته بالأجهزة السرية الإسرائيلية، وبينما كان يرد بصوت عال عليهم، أخرج أحدهم نسخة من صحيفة «الجيروليزم بوست» الإسرائيلية وقرأ له مقتطفات من قصة منسوبة في معلوماتها إلى المخابرات الإسرائيلية تحمل مفردات وعبارات واتهامات بلاك حرفياً.. وسأله أن يشرح له كيف حصل هذا التطابق في الأسلوب والأداء بينهما. وكيف تطابق توقيت النشر بين لندن والقدس بهذه الطريقة؟

غادر بلاك البار غاصاً بالحسرة فقد أحس أن نشر موضوع «الجيرولزم بوست» هو مؤامرة أولئك الضباط الذين سبق أن تشاجر معهم.. واضطر أن يترك العمل في الكارديان ليلتحق بعد أسابيع بصحيفة موطوءة بالنفوذ الصهيوني هي «الديلي أكسبريس» ليمضي شهوراً هناك حتى يعاود التسلل مرة أخرى إلى «الكارديان»، قد ساعده أحد معارفه في ترجمة اتهامات حول علاقته بالأجهزة السرية الإسرائيلية وجهتها إحدى المجلات العربية فزاده ذلك اضطراباً وقال له: «إنهم يريدون قطع الطريق عليّ لمواصلة التغلغل مع العرب.. وفي الأيام التالية سمع يقول:

ـ إن هناك عرباً يختلفون عن العرب. وليس من السهولة التعرض لهم.

□ □ □

الفصل الرابع عشر

أهل «الساحل الغني»
يتورطون في حرب الخليج!

أهل «الساحل الغني»
يتورطون في حرب الخليج!

كيف تجرأت دولتان بعيدتان عن الشرق الأوسط على التورط في الدخول طرفاً إلى أكثر عناصر الصراع العربي ـ الصهيوني حساسية.. وهو ما يتعلق بمدينة القدس، عند الاعتراف أن هذه المدينة العربية المقدسة هي عاصمة لإسرائيل بنقل سفارتيهما إليها.. ولم يكن للمواطن العربي في ربع القرن الأخير متسع للتفكير بهما وبموقعهما على الخارطة وبطبيعة النظام الذي يحكم كلاً من «السلفادور» و«كوستاريكا».. وبينما شبه اللبنانيون أوضاع السلفادور التي تغرق في حرب أهلية بأوضاع وطنهم الممزق ووجدوا في التدخل الخارجي الذي يبعثر شؤون «السلفادورين» حالة مماثلة لما عانوه من تدخل إسرائيلي وغير إسرائيلي في شؤونهم.. فإن «كوستاريكا» لم تعرف، ولم يتذكرها أحد إلا بعض هواة الرياضة الذين تابعوا مشاركاتها في المسابقات الدولية. فإن هي ربحت أقامت الكرنفالات وإن خسرت أغمي على المشجعين، ولم تتردد من الزحف على جارها الذي خاصمها في ساحة كرة القدم لتنتقم مما أصابها على أيدي لاعبيه.

أما الإسرائيليون فقد وجدوا أن أولئك البعيدين الذين لم يعطهم العرب اهتماماً، «الأصدقاء» الممكنون الذين يفتحون الباب لأول طارق

عليها.. وهكذا سبقنا إليهم الإسرائيليون.. بضعة يهود توغلوا في أعمال تجارية.. وآخرون تبرعوا لتأسيس وتطوير أجهزة القمع السرية.. مستشارون عسكريون للجيوش.. صداقات في بيوت الحاكم.. وبعدها يمكن لرئيس الوزراء الإسرائيلي أن ينام وقد اطمأن أن مفتاح قلوب «الكوستاريكيين» موجود تحت مخدته..

أصبحت بلدان أميركا اللاتينية قواعد خلفية للنشاط الإسرائيلي السري والعلني.. وقوة احتياط تستخدم العلاقات معها في مواقف الحصار والضيق.. ولذلك كان إقدام «كوستاريكا» و«السلفادور» على نقل سفارتيهما إلى القدس أمراً متوقعاً، واستجابة لضغط صهيوني متغلغل هناك ورجاء رسمي إسرائيلي تمته الخارجية والموساد من تل أبيب والقدس.. وبتلك الخطوة أرادت إسرائيل أن تكسر حاجز الخوف عند دول أخرى وتشجع المترددين على اتخاذ قرارات مماثلة.. أما صانعوا القرار في «كوستاريكا» فلعلهم يتصورون أن مد الأصابع في نيران تشتعل بعيداً عن أقليمهم لن يؤدي إلى حريق داخل بيوتهم، ولذلك يمكن لمن يمد يداً في النزاع العربي ـ الإسرائيلي أن يتورط في حرب الخليج أيضاً.. لم لا.. طالما كانت الاستشارة الوحيدة التي يتلقاها «الكوستاريكيون» هي استشارة إسرائيلية.

في منتصف عام ١٩٨٢ كانت قد تولدت قناعة كاملة لدى السلطات الإيرانية أن وفودها التي ترسل إلى أوروبا لعقد صفقات السلاح والغذاء والمعدات والأجهزة تقع صيداً سهلاً في شباك أفخاخ يشترك في وضعها لهم معارضون متنفذون، وأعداء سريون، وشركات وتجار ووسطاء تغريهم سذاجة المشتري الإيراني فينصبوا له فخاً هنا وفخاً هناك.. وتباع إليه بضاعة قديمة وأغذية فاسدة، وتوضع لهم مخلفات

معامل الحديد والورق بدل معدات الكترونية في صفقات جرت في بريطانيا وبلجيكا «١٩٨١» على يد «بهنام نجومي».. ولذلك طلب رجل الدين الإيراني «شاعري» الموجود في بناية «كالا» في شارع فيكتوريا بلندن من الضابط الإيراني «نظافت خاه» الموجود في البناية نفسها أن ينقل إلى «أصدقائه الإسرائيليين» الحالة التي تشكو منها إيران، وأن يستمع إلى نصائحهم.

كان «نظافت خاه» واحداً من عدة ضباط يمثلون صنوف القوات الإيرانية البرية والبحرية والجوية ويديرون جانباً من صفقات السلاح مع إسرائيل.. وبالفعل، شرح «نظافت خاه» لإثنين من الإسرائيليين، أحدهما عسكري والثاني يمثل «الموساد»، عند لقائه بهما في أحد البيوت شمال لندن، أن السلطات الإيرانية تشعر بالخيبة من التحايل الذي يجري للإيقاع بوفودها المرسلة إلى الخارج، عدا عن الصعوبات التي تواجههم في العثور على من يقدم عروضاً مرضية دون العزوف عن التعامل مع إيران.. وذكر لهم أن هناك حاجة مستعجلة لشراء اللحوم، وكان يفترض الوصول إلى اتفاق مع جهات إيرلندية ونيوزلندية للحصول على آلاف من الأطنان لتلبية الحاجة العاجلة التي تعانيها إيران.

لم يُعطِ الإسرائيليان جواباً سريعاً، ولكنهما وعدا بنقل ما سمعاه فوراً إلى آمريهم في تل أبيب..

بينما أصدر «شاعري» أوامره إلى أعضاء وفد كان يتباحث مع الإيرلنديين لشراء كميات من اللحوم، أن يوقفوا اتصالاتهم بعضاً من الوقت في انتظار ما سيرد من «نصائح الأصدقاء»!

بعد أسبوع واحد، سأل الإسرائيلي الذي يتصل بموظفي شركة

النفط الإيرانية الموجودين في بناية «كالا» شارع فيكتوريا بلندن، إن كان بينهم من يتحدث الاسبانية.. فأجابه «نظافت خاه» ساخراً: وهل بينهم من يتكلم الانكليزية، وأضاف: إننا لولا المترجم الباكستاني مالك حسين ما فهمنا ما يدور حولنا..

ثم استمع من صديقه إلى ما استلمه من توجيهات: أعدوا وفداً للذهاب إلى كوستاريكا.. فقد تم الاتصال بهم وهم يرحبون بوفد مخول لإعداد صفقة أغذية ولحوم. عندها فهم الضابط الإيراني معنى السؤال الذي بدأت به المقابلة حول وجود من يتكلم الاسبانية لكي ينضم إلى هذا الوفد..

وأزال المتحدث الإسرائيلي الشكوك التي تولدت عند الضابط الإيراني حول جدوى الذهاب إلى جزر بعيدة في أقصى غرب الكرة الأرضية للحصول على الأغذية الإيرانية.. فجمع أوراقه وانطلق يبلغ طهران بما استلمه من «نصائح الأصدقاء».

بعد أيام، فتح موظفون إيرانيون أطلس العالم ليؤشروا على موقع بلد لم يحلموا برؤيته من قبل وقد أسروا بعضهم البعض: أن نساءهم جميلات وهن أكثر عدداً من الرجال.. أما بالنسبة للصفقة فليس هناك متاعب بعد أن هيأ الإسرائيليون كل شيء!

● ● ●

سأل رجل إيراني في الخامسة والثلاثين من العمر:

ــ ما هذا:

فأجابه النادل: أنه مزيج من القهوة والكونياك.. يصنع في «جامايكا» ونسميه بالاسبانية «تياماريا».

فضحك الضيف الإيراني وتجرع كأساً صغيرة فأحس بحرقة تلهب حلقه، والتفت يكمل الحديث مع زميليه اللذين كانا يراقبان حركاته مندهشين.. لم يخطر ببال الموفدين الإيرانيين تلك الساعة وهم يتناولون وجبة عشائهم في مطعم مكسيكي بمدينة «سان خوزيه» أن أربعة شباب عرب يحملون جوازات سفر لجمهورية كوستاريكا كانوا قد استمعوا ما دار على الطاولة المجاورة حيث لخصت المناقشة الصاخبة بين الموفدين الإيرانيين طبيعة المهمةِ التي جاءوا من أجلها إلى هذا البلد قاطعين رحلة من آلاف الأميال.. ولم يأت على بال الإيرانيين من بين الأربعة آلاف عربي المقيمين في هذه الجمهورية الأميركية اللاتينية من يتابع ويرصد النشاطات التجارية والتجسسية التي يقوم بها أعضاء الجالية اليهودية بعد أن تمكنوا من السيطرة على اقتصاديات البلاد ونجحوا في توجيه سياستها الخارجية بما يتطابق مع مصالح إسرائيل وبخاصة في الأمم المتحدة حين صوتت ضد القرارات التي أدانت الصهيونية كحركة عنصرية أو أكدت على حقوق الفلسطينيين.. لاحظ «عرب كوستاريكا» أن تجاراً يهوداً اتصلوا في ربيع ١٩٨٢ مع شركات الأغذية المنتجة من الثروة الحيوانية وأجروا مباحثات أولية لتزويد «إيران» بكميات كبيرة من اللحوم.. ومنذ ذلك الوقت دفعت روح المغامرة وكراهية النشاط اليهودي أولئك الرجال العرب لرصد أعقبه من نشاط قبل وصول الوفد التجاري الإيراني إلى «سان خوزيه»..

جرى كل شيء دون أن تضطر السفارة الإسرائيلية إلى التدخل حتى لا تنشأ أسباب صريحة تكشف عن الدور الإسرائيلي في تعريف الإيرانيين بهذه الدولة النادرة التي تعيش من دون سواها من جيرانها المضطربين.. بدون جيش، وتقدم التسهيلات للتمتع بجواز سفرها،

وهو الأمر الظاهر الذي تعرف به البلاد نفسها للوهلة الأولى. ولكن بلاداً تقع بين نيكاراغوا وبنما، وبين المحيط الهادي والبحر الكاريبي، وعلى بعد أشبار من «المناطق الحيوية» التي تؤثر في الأمن القومي الأميركي.. لا يمكن أن تنام المخابرات المركزية الأميركية عنها دون أن تزرع رجالها في كل زاوية بحيث لا يجري أمر دون علمها ومباركتها. وهكذا.. كشفت التسهيلات السريعة التي أعطيت للإيرانيين في كوستاريكا أن العين التي تراقب كل شيء.. كانت راضية على الأقل.

حدث ذلك قبل عام من مجيء «كوستاريكا» إلى منطقة الضوء بقرارها نقل سفارتها إلى «القدس» متحدية العرب والمسلمين.. ولعل الإدارة الحكومية فيها كانت مطمئنة إلى أن قرارات حاسمة لن تتخذ ضدها بعد أن تكونت لها صداقات في العالم الإسلامي وبخاصة مع إيران التي أسهمت بتوفير الغذاء لقواتها والتخفيف عن جانب من أزمة كبرى كانت البلاد تختنق بها.

لقد تم كل شيء بمباركة إسرائيلية جمعت بين رأسي صديقين وأعدت حفلة تعارفهما، بينما واصلت ترتيب صفقات السلاح على أمل أن تستمر إيران في الحرب، ولعل المرة الأولى التي شعرت فيها السلطات «الكوستاريكية» بأنها تتعامل مع دولة ذات كيان مهتز عندما تأبطت فتاة كوستاريكية ذراع موظف إيراني جاء لعقد صفقة تجارية، فإذا بفتاته تطلب له جنسية بلادها لينتفع من السهولة التي تمنح بها هذه الجنسية لأي فتى يريد الزواج من امرأة في تلك البلاد.. وقد وجدها فرصة لا تعوض.. بينما وضع العلاقات بين إيران وكوستاريكا في مهب الغرام الذي علق به.. ولا يعرف كيف تمت تسوية المأزق الدبلوماسي العاطفي بين الدولتين..

● ● ●

أما «كوستاريكا» فقد تورطت بالتوغل في مياه لا تعرف درجات حرارتها ولا أعماقها.. وكان يكفيها أننا كنا عندما نستمع إلى اسمها الغريب نستمتع بإيقاعاته، ومعناه بالاسبانية «الساحل الغني»!

□ □ □

الفصل الخامس عشر

مشاكل آل هاشمي
الطامعين بحكم إيران!

مشاكل آل هاشمي
الطامعين بحكم إيران!

كان رجل الأعمال الإيراني الموجود في أميركا «سايروس هاشمي» موضوع رصد ومراقبة منذ عام ١٩٧٩، من قبل جهات عديدة، بسبب علاقاته وارتباطه بأوساط المخابرات الأميركية من جهة، وجهاز «السافاك» ثم «الساواما» من جهة أخرى، ولم يتوقع أحد أنه من أقارب رئيس البرلمان الإيراني هاشمي رافسنجاني.. فلم يكن التشابه بالاسم كافياً لإعطاء هذا الانطباع، وكان أبعد ما يتوقع أن يكون «سايروس هاشمي» الذي تظاهر بأنه من أعداء النظام الجديد في إيران، هو من أقرب المقربين إلى هذا النظام يدير عملياته السرية ويستخدم ارتباطه بأجهزة المخابرات الأميركية لخدمته.. وقبل أن يرصده الكاتب الأميركي «روبرت درايفوس» «Ropert Dreyfuss» ويشير إليه في كتاب «رهينة لدى خميني» «Hostage to Khomaini» كانت الشكوك قد ازدادت حول «هاشمي» وأخيه الأكبر «رضا» وعلاقتهما بالسلطات الإيرانية، معتمدين على ما يتمتعان به من حرية في الحركة داخل الولايات المتحدة، وقدرة على تحويل ومناقلة أموالهما في أوروبا وبخاصة من وإلى لندن، وتطوير علاقاتهما المالية مع مؤسسات أوروبية وشرق أوسطية.

وقد ذكر السياسي الأميركي الشهير «لاروش» «Larouch» الذي

يتزعم الحركة التي أصدر أحد أعضائها كتاب «رهينة لدى خميني»: أن حركته ترصد الدعم الأميركي والتغطية الأميركية لعمليات تسليح إيران، وما يقدم من تسهيلات يجري بعلم واطلاع وكالة المخابرات المركزية، وقال لي بكلمات صريحة عند لقائنا عام ١٩٨١ خلال ندوة عن إيران عقدت بمدينة «فيسبادن» بألمانيا الغربية: أن عملاء إيران يتحركون بحرية في أميركا وبريطانيا ولدى معلومات دقيقة حول ذلك!

كان «سايروس هاشمي» بتعددية علاقاته مؤهلاً لأن يدير صلات سرية مع «إسرائيل»، دون أن يحتاج غير مداورة الأوراق الكثيرة بين يديه للتضليل على هذه العلاقة التي لا يرغب الطرفان بالإعلان عنها، وكانت أول إشارة تلقاها بالتحرك في بداية الحرب، بينما كانت أزمة الرهائن الأميركان ما تزال مستمرة.. عندما طلب إليه مبعوث خاص من رافسنجاني أن يتدبر شراء معدات عسكرية أميركية، فأجاب «هاشمي» بأن محاولاته مع المؤسسات الأميركية مستمرة، ولكنه يستطيع الاتصال بإسرائيل لتدبير ذلك، بعد أن كان قد أطلع على قائمة الطلبات وفيها «مدافع تركب على الزوارق الحربية وصواريخ أرض ـ جو وقطع غيار لطائرات «الفانتوم»، وبعد أسبوعين من ذلك اللقاء استقبل مندوب رافسنجاني ثانية في مكتبه بنيويورك يبلغه بأنه مخول رسمياً إجراء الاتصالات مع الإسرائيليين، وأن حساباً لتغطية الصفقة سيفتح في سويسرا.. وقد تمكن «سايروس هاشمي» من الاتصال بالشركات الأميركية رغم الحظر الرسمي المعلن على شحن الأسلحة إلى إيران، في الوقت الذي اتصل بشركات إسرائيلية لتصنيع الذخائر وقطع الغيار. تبدو في إطارها المعلن شركات خاصة، ولكنها في الحقيقة واجهات تأتمر بتوجيهات وزارة الدفاع وجهاز «الموساد».

أبلغ هاشمي الإسرائيليين الموجودين في نيويورك، رغبته في عقد اجتماع في أميركا بدلاً من وضع التفاصيل في «تلكسات» معرضة للكشف، لذلك حضر إلى نيويورك مندوب إسرائيلي في الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٨٠، وانطلق في اليوم التالي لوصوله إلى الرقم «٩» غرب «٢٧» بمدينة نيويورك، حيث اجتمع مع «سايروس» بحضور شقيقه «رضا» واستلم قائمة الطلبات.. وجرى الاتفاق بينهما على أن تساعد إسرائيل في إخفاء صفقات يتدبرها سايروس مع شركات أخرى، حتى لا ترتكب مخالفة قانونية من حيث الشكل بسبب الحظر الرسمي المعلن، كما نقل المندوب الإسرائيلي إلى «سايروس» «ورضا» أن حكومته بصدد طلب قطع غيار إضافية للأسلحة الأميركية من حكومة واشنطن حتى تتمكن من إرسالها لاحقاً إلى إيران لتلبية الاحتياجات السريعة.

في الجانب الآخر، أشاع سايروس لنفسه أسماء عديدة للتداول فعرف بمعاملاته وتحركاته في بريطانيا باسم «الدكتور حسن الهاشمي»، الذي يتردد على لندن لملاحقة أعمال فرع شركته التابع للمكتب الرئيسي في نيويورك.. وكانت أهم صفقات «الدكتور حسن» الذي يتظاهر بأنه متزوج من امرأة عربية، شراء سرفات دبابات وقنابل يدوية بريطانية الصنع شحنت عن طريق دولة أوروبية ثالثة هي اسبانيا وثبت على الصناديق أنها تحتوي على ملابس.

وكثيراً ما كان «الدكتور حسن» يترك لأحد أتباعه في لندن المعروف باسم «سلطان بور»، أن يتابع توريد الذخائر وقطع الغيار عدا تلك التي يجري التفاوض عليها مع إسرائيل فهي دائماً من مهماته الخاصة التي يديرها عبر مكتبه في نيويورك.

لقد أوحى هذا الإيراني الثري «٤٦ سنة» أنه شخصية «جيمسبوندية» أحياناً، وأنه «عراب» عائلة من المافيا أحيان أخرى. فتغيير اسمه، وتنقله من مدينة إلى أخرى، والغموض الذي يحيط به نفسه، يظهر شخصيته المغامرة.. لكن الطريقة التي يدير بها أعماله مع أخوين اثنين «رضا ـ ٤٨ سنة» الموجود معه في نيويورك، «وجمشيد» الذي يتردد معه على لندن، وتورطه في العلاقة مع تاجر السجاد الإيراني «ناهضيان» المتهم بقتل علي طبطبائي أحد المعارضين الإيرانيين في أميركا، يوحي بالأجواء التي يصنعها «عرابو المافيا»، وتآمرهم المتأصل في أعماقهم.. لكن المفاجأة الأكثر إثارة أن هذه الشخصية الغامضة استطاعت إخفاء صلة القرابة مع رافسنجاني خمس سنوات على الأقل، فلم يتمكن كل الذين كانوا معنيين به وبمراقبته من أميركان وإيرانيين وعزب من معرفة ذلك رغم ما لاحظوه من تمتعه بقدرة سريعة على حسم أعماله، والتمتع بصلاحيات المبعوثين الرسميين وأكثر منها أحياناً.. ويذكر الذين تعاملوا معه عن كثب أنه كان يقوم بما هو أكبر من تدبير الصفقات.. حيث اعتبر «مهمة تصحيح صورة إيران في الغرب» من مسؤوليته وقام بنقل وجهات نظر الطرفين إلى بعضهما، وهو أمر لا يستبعد أنه جرى مع الإسرائيليين أيضاً بعد انكشاف صلة قرابته بأحد أكثر المتنفذين في السلطة الإيرانية الحالية.

عاد «سايروس هاشمي» للإشراف على صفقتين أساسيتين في مطلع ١٩٨٣، إحداهما مع بريطانيا، والثانية مع إسرائيل، فوصل إلى لندن للاجتماع خصيصاً مع وفد عسكري مخول لتوقيع الصفقتين مكون من «العقيد رضا روحاني، وحسن مقدم وشهيدي والعقيد شقيعي» والأخير هو الأكثر أهمية في الوفد، فقد سبق أن زار إسرائيل عام ١٩٨٢،

بجواز سفر يحمل اسم أحد اليهود الإيرانيين، وكانت لندن محطة توقفه أيضاً.

وضع «هاشمي» أمام الوفد نتائج تدابير أولية تمت مع شركة إسرائيلية، بحيث لم يبق سوى التوقيع، وإكمال إجراءات نهائية. وقد انتهت مهمته عند ذلك. بينما بدأت مهمتهم حين استقلوا طائرة «العال» في رحلتها العادية من لندن بأسمائهم المستعارة في ١٩٨٣/١/١

وبين نيويورك وأثينا، لم تنقطع اتصالات سايروس هاشمي بتاجر السلاح الإيراني فاروق عزيزي المقيم في العاصمة اليونانية الذي عمل تحت إدارة «هوشنك نيا» مدير مكتب المشتريات العسكرية الإيرانية هناك، على ترتيب صفقتين كبيرتين مع إسرائيل.. لقد كانت أثينا إحدى أهم مركزين إلى جانب لندن، وعبرها يتم الإشراف على عمليات تجري في اسبانيا.. وكثيراً ما سمع «عزيزي» و«هوشنك نيا» من الضباط الإسرائيليين الذين التقيا بهم في أثينا، أن اليونان ساحة مفتوحة لنا وما يتعذر القيام به في عاصمة تفرض قيوداً على العمليات السرية.. ننفذه هنا.. إنها تمثل بيروت عندما كانت الجاسوسة الإسرائيلية شولا كوهين تتحكم بأسرارها من سوق سرسق حتى قصر بعبدا.. وكثيراً ما طلب سايروس هاشمي تحويل مكان المفاوضات مع الإسرائيليين من لندن وباريس اللتين سلطت أضواء الصحافة على ما جرى فيهما من نشاط سري، إلى أثينا حيث يحس الطرفان الإيراني والإسرائيلي بأمان ويضيع رجالهم وسط ضجيج السياح وتدفن أسرارهم في ليالي المتعة وكأنهم مجرد مسافرين عابرين جاءوا ليغرفوا حفنات متعة قبل أن يعودوا إلى دولهم الشرق أوسطية.

وقبل ذلك كان قد ترك لأحد العسكريين الإيرانيين السابقين أن يتابع بين روما ونيويورك ترتيبات شحن السلاح الذي يتفق عليه مع إسرائيل أو أية دولة أجنبية دون أن يكلف نفسه عناء السفر إلى إيطاليا، فقد أوكل المهمة إلى الرائد السابق في البحرية الإيرانية «سيامك ديهمي» في سنتي الحرب الأوليين على الأقل، قبل أن يطلب إلى «ديهمي» من قبل السلطات الإيرانية نفسها تغيير مهمته تلك.

• • •

وقف «سايروس» مع أخيه «رضا»، أمام القضاء الأميركي لا ليحاسب على دوره في توريد السلاح الإسرائيلي إلى إيران أو مؤامراته ضد المعارضة الإيرانية أو ليُقاضىٰ على ما لعبه من دور في توريد أسلحة أميركية إضافية إلى إسرائيل لتنقل من هناك إلى إيران أيام أزمة الرهائن. ولكن الأمر يتعلق بقضية واحدة شغلت القاضي «رودلف جولياني» المدعي العام في نيويورك هي مخالفة خمسة أشخاص بينهم الأخوان «هاشمي» القوانين وقيامهم بتصدير سلاح أميركي تبلغ قيمته مليون دولار إلى إيران خلال أزمة الرهائن عام ١٩٨٠ ولم يكن للرجال الخمسة أن يقفوا أمام القضاء لولا بعض التعقيدات ومنها تورط مساعدة المدعي العام السابق في تسهيل الأعمال للأخوين هاشمي واتهام شخص أميركي آخر بالصفقة وما تخلفه الأخبار المتسربة عن ذلك من إيذاء لمشاعر الجمهور الأميركي عن عملية تسليح تمت في فترة اعتقال الرهائن في طهران.. لذلك لم تكن هناك حيلة لتجاهل القضية بعد أن افتضح أمرها.

ويحاول هاشمي أن يعيد إلى أذهان الناس صورته كـ «صيرفي» يدير بنك الخليج العربي في نيويورك، ويذّكر بصداقاته «العربية»

وعلاقته مع مؤسسة صحفية ومالية عربية كبيرة وإدارته لشركة «انترناشونال انتر تريد» والمصرف العربي في أميركا.. لكنه يخفي في الجانب الآخر مهماته السرية التي تمت بتكليف ومباركة من رئيس البرلمان وممثل خميني في مجلس الدفاع الأعلى وأكثر المسؤولين الإيرانيين طمعاً بحكم إيران.. هاشمي رافسنجاني، أن من حسن حظ «هاشمي» أنه سيقاضى في مدينة «نيويورك» حيث يوجد أكبر نفوذ صهيوني في أميركا وقد قام بالاتصال بحاكم الولاية الأميركية وهو يهودي متحمس، لامتصاص الإجراءات القانونية التي يتوقع اتخاذها ضده وربما لم يندم حتى الآن، لكنه يحسد آخرين قاموا بمهمات سرية لصالح إيران أيام أزمة الرهائن دون أن يتعرضوا لما وقع له الآن.. ويذكر لأصدقائه اسم المحامي الإيراني اليهودي «حبي»، الذي أدار من مكتب في منطقة «البيكاديللي» بلندن افتتحه بعد سقوط الشاه، كل ما يتعلق بالمشكلات المصرفية التي نشأت لإيران مع البنوك الأميركية والأوروبية بسبب احتجاز الدبلوماسيين الأميركان في طهران، ثم أدار بعد ذلك جانباً من الاتصالات مع إسرائيل، مستخدماً مكتبه الذي يسمي نفسه «شركة استيراد وتصدير»، كقاعدة لتلك الاتصالات، قبل أن يتمكن من شراء بناية كاملة في «البيكاديللي» مجاورة لشركة «خطوط الشرق الأوسط» اللبنانية، وحتى يتقرر موقف هاشمي أمام القضاء في نيويورك سيتحرك يهود كثيرون في المدينة لتخفيف الأحكام التي يمكن اتخاذها ضده، وسيسعى رافسنجاني لإنقاذه رغم إصرار سايروس على عدم وجود صلة قرابة. فرافسنجاني من كيرمان، وسايروس من عربستان. لكن رافسنجاني سيفعل، كما فعل الخميني بإنقاذ صهره صادق طبطبائي بعد فضيحة المخدرات في المانيا ١٩٨٣

الفصل السادس عشر

«ملف التسليح»

إن المشاكل التي هي في مقدمة أولوياتنا، تتمثل في المخاطر المترتبة على عدم انتهاء الحرب بين العراق وإيران إلى حرب استنزاف، كما نأمل، بل إلى انتصار لطرف واحد فيها.

أهود براك
رئيس المخابرات الإسرائيلية
صحيفة دافار (١ / تشرين أول (أكتوبر) ١٩٨٤)

«ملف التسليح»

استرخى «ستيوارت مكفرتي» «Stuart Mccafferty» في مقعده الأزرق داخل فندق «الهيلتون»، القريب من مطار أمستردام، وطلب من صديقته الهولندية «ماريون دي براين» «Marion De Brayn» رقم الهاتف الواجب البدء به لإجراء مكالمة مع «تل أبيب».. ثم أدار القرص بنفسه.. وانتظر قليلاً ليستمع في الطرف الآخر صوت جنرال إسرائيلي يبدأه بالسؤال:

ـ هل حصلت مفاجأة غير متوقعة..

أجاب مكفرتي، الاسكتلندي المولد، والمعروف كأكبر تجار السلاح وأكثرهم مغامرة في أوروبا: «إن كل شيء على ما يرام.. لكن خللاً فنياً اضطر الطائرة أن تتوقف في مطار قرب أمستردام، وسنواصل رحلتنا غداً إلى إسرائيل».

سألته «براين» عن اسم الجنرال الإسرائيلي الذي كان على الطرف الآخر، فقال مازحاً «إننا نسميه موسس».. وحقيقة الأمر أن «موسس» لم يكن سوى اسم مستعار لضابط كبير في الجيش الإسرائيلي، يعمل بواسطة شركة تعرف باسم «أيلرل» «Elul» في تل أبيب يديرها «زوي

كولتز «Zwi Kultz». . وكان الواجب الأساسي لهذه الشركة أن تتدبر إرسال شحنات سلاح عاجلة إلى إيران، لمساعدتها في الحرب ضد العراق دون أن يكشف أي طرف في العالم أسرار عملياتها. .

وقد روت «براين» ما حدّثها به «مكفرتي» عن إمكانية استبدال كل عمامة تغطي رأس رجل دين إيراني،كالذين كانت ترى صورهم تلك الأيام،بقبعات الحاخامات دون أن يتغير شيء من وجهة نظره. . ولم تكن قد فهمت حينها مغزى تلك المقارنة الفكهة بين صورة الحاخام اليهودي وصورة رجال دين مسلمين. . لكنها عرفت أن «مكفرتي» جاءها إلى أمستردام بطائرة مؤجرة خصيصاً للذهاب إلى إسرائيل في مهمة غامضة وحساسة.

كانت مهمة هذه الطائرة المسجلة في الأرجنتين وتدعى «٢٢٤» «Sign Yankee Romeo» من نوع «CL. 44» أن تنقل بصورة عاجلة سلاحاً إسرائيلياً وأميركياً من تل أبيب إلى طهران، وهو كما عرف لاحقاً قطع غيار لدبابات «م ٤٨» الأميركية، ورشاشات إسرائيلية، وقذائف للمدفعية الثقيلة «١٧٥ ملم». وقد قام «ستيوارت مكفرتي» بتوقيع الاتفاق مع إحدى شركات النقل في الأرجنتين، لينطلق بالطائرة من أميركا الجنوبية إلى أوروبا باتجاه إسرائيل قبل أن يستوقفها خلل فني في مطار «Shiphol» قرب مدينة «أمستردام» في هولندا. بينما كانت تتم في تلك الساعات عملية نقل الأسلحة إلى مطار تل أبيب استعداداً لتحميلها والطيران بها إلى طهران.

أما «مكفرتي» الذي يتخذ له مكتباً في «ميامي» بالولايات المتحدة فقد وجد في هذه العملية ضربة العمر الذي ضيع ست سنوات منه في

أعمال التحميل والشحن الجوي ذات الأهمية المحدودة، كواحد من مئات أمثاله الموجودين في مكاتب الشحن بمطارات أوروبا والشرق الأوسط وأميركا اللاتينية. . وشجعته صديقته الهولندية «ماريون دي براين» على اتصالاته المبكرة مع الإسرائيليين، واعتبرت نفسها حافظة أسراره، لكنها في الواقع لم تكن تعرف التفاصيل كلها. . كان يكفيه الشعور بأن «ماريون» معه، وأنها ستحفظ أسراره. لأنها يهودية على الأقل!

ومنذ مساء الحادي عشر من تموز «يوليو» ١٩٨١ بدأ تحميل أول شحنة سلاح ضمن هذه الصفقة، وكان اتجاه الطائرة المعلن هو «تل أبيب ـ لارنكا في قبرص»، وبالفعل وصلت تلك الطائرة إلى لارنكا في المساء نفسه بصورة رسمية للتزود بالوقود. . لكن الهدف الحقيقي لذلك التوقف كان لإعداد أوراق جديدة واستبدال الوثائق التي جاءت الطائرة بها، ووضع الاتجاه الحقيقي للطائرة على الوثائق الجديدة. . ثم غادرت الطائرة بعد سبعين دقيقة حاملة وزناً مقداره حسب الأوراق الرسمية التي خلفتها في مطار لارنكا، ستة الآف وسبعمائة وخمسين كيلوغراماً من مواد مدنية عادية. فقد تم في لارنكا تثبيت أن رحلة الطائرة المدونة على الورق الذي أعد هو «نيقوسيا ـ طهران»، بحيث لم تعد كلمة إسرائيل موجودة على أية وثيقة تخص الطائرة. وكانت الإشارة التي أعطاها كابتن الطائرة وهو يعبر الأجواء التركية أنه يحمل «فواكه وخضراوات» قبرصية إلى إيران. . وهكذا وصلت الشحنة الأولى إلى إيران. لتعود الطائرة بعد ذلك سالكة نفس طريقها. وبعد ثلاثة أيام تولت نقل الشحنة الثانية إثر وصول برقية عاجلة من السفارة الإسرائيلية بباريس تتحدث عن حاجة ملحة في إيران لاستلام الأسلحة الموعودة من تل أبيب.

إن كثيراً من السلاح كان قد نقل من تل أبيب قبل أن تنفجر الطائرة الأرجنتينية «سي. إل ٤٤» في منطقة الحدود الإيرانية الشمالية الغربية حوالي الساعة العاشرة من صباح الثامن عشر من تموز ١٩٨١، بعد أن أفرغت ثالث حمولة لها في مطار طهران.. منذ ذلك الحين لم يعد هناك سر يباع حول التسليح الإسرائيلي لإيران وأهدافه في الحرب ضد العراق.. تناثرت بقايا الطائرة وتمزقت جثث طاقمها، لكن الحادثة فتحت ملفاً سرياً ويجري التواطؤ لإخفائه خلف شعارات الإيرانيين في معاداة إسرائيل ومد يد تعاون وهمية للعرب والفلسطينيين.. وهكذا بدأت..

• • •

كانت الرواية الرسمية السوفييتية قد صدرت عن وكالة أنباء تاس يوم الثالث والعشرين من تموز (يوليو) ١٩٨١، وذكرت أن طائرة مجهولة دخلت المجال الجوي السوفييتي عبر الأجواء الإيرانية، واصطدمت في منطقة «بريفان» بطائرة سوفييتية. فتحطمت.

وليس هناك ما يجزم وجود معلومات مسبقة لدى الاتحاد السوفييتي، حول هوية ومهمة الطائرة أدى إلى قرار مقصود بإسقاطها على حافات الحدود السوفييتية، أو استدراجها بعملية تضليل راداري للدخول إلى الأجواء السوفييتية، لتقع في مصيدة أُعدت لها مسبقاً، لكن بعض المؤشرات اللاحقة تكاد تؤكد تلك الشكوك، فمنذ بدء الحملة التشهيرية ضد حزب «تودة» ــ الحزب الشيوعي الإيراني ــ والحملة الدعائية ضد الاتحاد السوفييتي في إيران، أعادت وسائل الإعلام السوفييتية إلى الأذهان «أن لدى الاتحاد السوفييتي البراهين على قيامَ إسرائيل بتزويد إيران بالسلاح..»، وهو أمر أثرته مباشرة في لقائي

«تموز ـ يوليو ـ ١٩٨٤» مع «أكور باليف» المتحدث السوفييتي إلى مؤتمر عالمي حول حرب الخليج عقد ببغداد ونائب رئيس لجنة معاداة الصهيونية في الاتحاد السوفييتي. الذي أعطى الانطباع نفسه وقال: «إننا دولة كبرى وليس لنا أن نخمن.. إننا نعرف. ولدينا ما يثبت التعاون الإسرائيلي ـ الإيراني منذ بدئه».

كانت أول إشارة استلمتها طهران عن استعداد إسرائيل لإرسال شحنات سلاح سريعة في الأسبوع الأول من تشرين أول «أكتوبر» ١٩٨٠، عندما طلب «Zwi Alon» الذي يتخذ من السفارة الإسرائيلية بباريس مقراً له، من أحد التجار السويسريين الذين يترددون على السفارة الإيرانية في باريس، نقل الرسالة التالية، والعودة إليه بجواب عليها حتى ولو كلفه الأمر أن يسافر فوراً إلى طهران:

«إذا قررت إيران مواصلة الحرب، فإن إسرائيل مستعدة أن تفعل كل شيء لتشجيعها ضد عدو مشترك، وستكون الخطوة الأولى إرسال السلاح الذي تحتاجه».

لم يكن التاجر السويسري الوسيط بحاجة للسفر، فقد نقل الرسالة إلى السفارة الإيرانية التي أبرقتها إلى طهران لتستلم في اليوم التالي رداً واضحاً: «أشكروهم ستتصل بهم بوسائلنا.. وفي مكان آخر».

في حين سجلت التقارير الواردة إلى الموساد الإسرائيلي من داخل إيران، اعتماداً على معلومات عسكريين ورجال دين، جرى الاتصال بهم في الداخل، أن سقوط الخميني أصبح ممكناً في حالة الارتباك الذي يعيشه المؤسسات في الداخل، وأن الموقف العسكري على الجبهة يعاني

من انقسامات ونقص في العتاد. . ولم يكن عملاء الموساد داخل إيران قد تلقوا طوال الأشهر الستة الأولى من الحرب سوى توجيه واحد يقول:

«واصلوا إرسال المعلومات ـ أعيدوا صداقاتنا القديمة، واكسبوا أصدقاء جدداً». .

منذ ذلك الحين تمكن الضباط الإيرانيون الذين كلفوا بالاتصال مع الإسرائيليين في الخارج، أن يحصلوا على موافقات رجال دين أعضاء في مجلس الخبراء ومجلس الشورى «البرلمان»، ويقاوموا في الوقت ذاته اتجاهات رافضة لهذا التعاون السري، والمبررات التي رافقته حول «استعادة ديون قديمة أو الحاجة إلى السلاح لمواصلة الحرب أو التعويض العاجل عن نقص غيار السلاح الأميركي بعد أن شحت مصادره بسبب أزمة الرهائن الأميركان وما رافقها وتبعها».

تمكن التيار المؤيد للتعامل مع إسرائيل من السيطرة على لجنة المشتريات في وزارة الدفاع التي تولاها ضابطان محترفان آنذاك، هما «فاريفار»، ثم «العقيد أمامي»، وكان من بين أسباب فوز هذا التيار وقوف العقيد صياد شيرازي إلى جانبه الذي سبق أن عرف بعلاقاته مع حزب «توده» أيام الشاه، وقسوته في الهجمات التي شنها ضد القرى الكردية شمال شرق إيران، ويعتبر من أكثر الضباط قرباً من الخميني ومنتظري على السواء، ومنذ توليه قيادة القوات البرية كانت علاقته مع هيئة الأركان متوترة بسبب سعيه لابتلاع الصلاحيات، واتخاذ قرارات فردية، حتى بلغ التصادم ذروته مع العميد ظهير نجاد الذي تولى رئاسة الأركان بعد حادث انفجار طائرة وزير الدفاع جواد فاكوري ورئيس الأركان السابق ولي الله فلاحي في جنوب إيران. كان شيرازي متنفذاً

إلى الحد الذي تولى بنفسه بعد ذلك التاريخ بعامين دعوة أحد المستشارين العسكريين الإسرائيليين «عام ١٩٨٢» إلى طهران، ولم يكن يتردد من الذهاب بنفسه إلى فندق الشيراتون شمال طهران ليرافق «ضيفاً إسرائيلياً» في جولات لم تعرف أماكنها.

وقبل أن يهرب الرئيس الأسبق أبو الحسن بني صدر إلى فرنسا، لم يكن هناك عضو في مجلس الدفاع الأعلى على غير علم بكامل التفاصيل المتعلقة بصفقات السلاح بين إسرائيل وإيران، ولم يكن في المجلس من قاومها أو اعترض عليها، لكن التيار المضاد كان في أوساط الضباط ذوي المسؤوليات الأدنى، وعند بعض رجال الدين الذين انعزلوا عن ممارسة العمل السياسي مباشرة واحتفظوا بأدوارهم الطبيعية كرجال دين ومدرسي فقه واجتهاد.

على أن موقف الرئيس الإيراني الأسبق أبو الحسن بن صدر اكتنفه بعض الغموض، فالثابت أنه عرف بالصفقات السرية مع إسرائيل كما اعترف بنفسه، بعد هروبه إلى فرنسا، في حديثه إلى مجلة «الدستور» في ١٨٩١/٩/٧ بقوله: إن «تقريراً وصلني حول شراء السلاح من إسرائيل وعندما سألت المسؤول عن شراء السلاح قال بالفعل لقد اشترينا السلاح بصورة غير مباشرة من إسرائيل وإن الإسرائيليين عرضوا علينا كميات إضافية وبالدفع المؤجل» وقال: «عرفت بعدئذ أن أحد أقارب آية الله بهشتي رئيس الحزب الجمهوري الإسلامي اسمه سير شابور وهو عسكري سابق ساهم في بناء العلاقات بين الشاه وإسرائيل منذ عام ١٩٥٢ وهو الذي أدار صفقات السلاح الجديدة بين إسرائيل وإيران». . على أن رئيس الوزراء اللاحق مير حسين الموسوي اتهم بني

صدر بأنه كان على معرفة بصفقة السلاح الإيرائيلي التي كانت تحملها الطائرة الأرجنتينية إلى إيران.

ويدل المناخ الشكسبيري الذي يسود العلاقات بين المسؤولين الإيرانيين منذ سقوط الشاه، أن الجميع متورطون، ويعانون من نقاط ضعف إزاء زملائهم، لكن كثرة تردد اسم آية الله بهشتي في العلاقات السرية الإسرائيلية ـ الإيرانية وضع المؤسسة الإيرانية كلها في مأزق، حتى بعد مقتل بهشتي في حادث تفجير مقر الحزب الجمهوري الإسلامي الذي يترأسه «حزيران ١٩٨١». فبهشتي هو رئيس للحزب في البلاد الذي ينضوي تحت تنظيمه جميع المسؤولين من وزراء وأعضاء برلمان ورجال دين. وقد أشار الصحفي السويسري «جورج هودل» عضو لجنة السلم العالمي في سويسرا ورئيس تحرير صحيفة «ووخن زايتونغ» إلى حسابات سرية لبهشتي ومنتظري في البنوك السويسرية، جرى السحب منها لتمويل صفقات سلاح سرية مع إسرائيل وسويسرا، وهو أمر كلفه المثول أمام المحاكم السويسرية لمقاضاته، بناءً على الدعوة التي رفعتها إحدى الشركات المتهمة بترتيب الصفقات بين تل أبيب وطهران، كما أشار كاتب سويسري آخر هو عالم الاجتماع «جون زكلر» في كتابه «سويسرا التي يشك فيها»، إلى قيام تاجر السلاح الإيراني أحمد الحيدري بعقد صفقات سلاح مع إسرائيل بناء على تكليف من آية الله بهشتي ووزير الدفاع السابق جواد فاكوري!

• • •

فوجئت وزارة الدفاع الأميركية في تشرين أول «أكتوبر» ١٩٨٠ بسفير إسرائيل آنذاك «موشي آرينز» ـ أصبح وزيراً للدفاع في حكومة مناحيم بيغن حتى تكوين حكومته الائتلاف بين الليكود والمعراخ حين

يتولى إسحاق رابين وزارة الدفاع في حكومة شمعون بيريز ـ يطلب إعلان مواقف أميركية أكثر تشدداً ضد إيران، والتأكيد على مواصلة فرض المنع المعلن لتوريد السلاح وقطع الغيار بسبب استمرار حجز الرهائن الأميركان، في الوقت الذي يتم فيه إرسال شحنات عاجلة وبكميات إضافية من قطع الغيار وبخاصة إطارات طائرات الفانتوم إلى إسرائيل، لكي تقوم بتأمين إيصالها إلى إيران، وإعادة بناء العلاقات «التقليدية» بين طهران وتل أبيب. وقدم لائحة بطلبات تحتوي على ذخائر وقذائف وقنابل، جميعها من صنع أميركي، وهو أمر أكده لاحقاً ديفيد كيمحي مدير عام الخارجية الإسرائيلية والنائب السابق لمدير الموساد.

وهكذا أصبحت الجهة الأولى التي تعرف احتياجات إيران العسكرية هي إسرائيل، لتلبي بعضها بصورة مباشرة، أو تقدم نصائحها للاتصال بتجار سلاح يحركون سوق السلاح السوداء في أوروبا.. وكانت أولى الطلبات تلك التي نقلتها شركة تعرف باسم «سيتي» «Setti» التي تعمل بين فرنسا وسويسرا، عندما نقلت اللائحة الإيرانية إلى «زوي ألون» المندوب العسكري الخاص في السفارة الإسرائيلية بباريس، ووجد أمامه أن إيران تطلب في الشهر الثاني من الحرب محركات دبابات سكوربين البريطانية، وأجهزة راديو واتصالات، وإطارات لطائرات الفانتوم.. وخلال أيام التحق بباريس مسؤول عسكري من مجلس الدفاع الأعلى ليفاوض الإسرائيليين على صفقة السلاح.

في لندن كان على مندوب الحرس الذي وصل منتصف ١٩٨٢ المدعو «شفيعي» أن يتعلم اسمه الجديد الذي وضع في جواز سفر بديل

أعد خصيصاً في السفارة الإيرانية، حيث استبدلت أسماء المسؤولين الإيرانيين الذي وصلوا من طهران إلى لندن في طريقهم إلى تل أبيب، من: الرائد محمد مقدم وشفيعي وشخص ثالث من لجنة المشتريات إلى: «الولاجي ـ إسحاق صمدي ـ نيلوفري»، وهي أسماء يهود إيرانيين حقيقيين مقيمين في بريطانيا، سبق أن جرى التحفظ على جوازات سفرهم داخل السفارة. واعتبر أعضاء الوفد الإيراني وهم يستقلون طائرة «العال» من مطار «هيثرو» يهودا إيرانيين في زيارة لأقاربهم داخل الأرض المحتلة.

أما صادق طبطبائي فقد تلقى في مقر إقامته السابق بمدينة «مانيز» الألمانية الغربية رسالة من مكتب «الإمام» يطلب فيها إليه «أحمد الخميني» أن يزيد من نشاطه في شراء السلاح، فرفع سماعة الهاتف وتحدث مع الملالي في قصر جامران، وأبلغهم بسفرة عاجلة يقوم بها إلى إسرائيل، وبالفعل انطلق إلى لندن، حيث وضعت له سمة دخول على ورقة منفصلة عن جوازه، واختفى أسبوعين عن معارفه الذين ظنوا أنه ذهب إلى إيران لتسلم تعليمات من الخميني. . ولم يكن طبطبائي بحاجة ـ مثل الوفود التي سبقته إلى تل أبيب ـ إلى تعليمات من وزير الدفاع أو مجلس الدفاع، فصلة القرابة وارتباطه المباشر مع الخميني، ومنصبه السابق كنائب لرئيس الوزراء، هي أسباب جعلت منه رأساً لمؤسسة مشتريات منفصلة ومتنقلة تعمل بين أوروبا وإسرائيل، حتى ألقي القبض عليه عام ١٩٨٣ متلبساً بنقل المخدرات في ألمانيا الغربية قبل أن يطلق سراحه ـ ليعود إلى طهران ويدير من هناك أعماله، آملاً بالحصول على منصب سياسي كبير، وكان أول نشاط له بعد ذلك هو السفر إلى باريس والالتقاء بموظفين حكوميين في حزيران «يوليو» ١٩٨٤ في محاولة

لكسر عزلة إيران الخارجية. على أن أساليب إخفاء هوية العسكريين المسافرين إلى إسرائيل استمرت بالطريقين السابقتين: إعداد جوازات إيرانية بأسماء يهود إيرانيين، وإصدار السمة على ورقة منفصلة، دون وضع إية إشارة على الجواز في المطار «بن غوريون». حيث تنتظرهم مجموعة إسرائيلية من ثلاثة أشخاص بينهم دائماً ممثل عن «الموساد»، بعد أن تكون تقارير العملاء السريين قد سبقتهم إلى إسرائيل، حيث لم تتعرض «مصادر المعلومات السرية الإسرائيلية» داخل إيران للزوال بعد سقوط الشاه إذ انضم رجالها إلى المؤسسة الحاكمة الجديدة وأصبحوا أعضاء نشيطين في الحزب الجمهوري.

على أية حال. سافر أكثر المسؤولين الإيرانيين وسامةً وأناقةً، وأول نائب رئيس للوزراء في الجمهورية الإسلامية إلى تل أبيب، بعد الحصول على سمة- دخول من السفارة الإسرائيلية في لندن، على ورقة منفصلة حتى لا تكون جزءا موثقاً داخل جواز سفره!

• • •

تعززت علاقات طبطبائي مع شركة «درايكوت» «Draycott» السويسرية، التي تكلفت بتزويد إيران بقطع غيار لسلاح الطيران وقذائف للمدفعية، وقد اقتضى الأمر أن يلتقي طبطبائي بصديقه «هانز البرت كونز» أحد أشهر سماسرة بيع النفط في «زيورخ»، في أحد مطاعم جنيف القريبة من بحيرة ليمان، ويتفق معه على إيجاد أغطية مناسبة للصفقة كي لا تتعرض إلى حملة إدانة من قبل برلمانيين سويسريين وأعضاء في هيئة السلام العالمي يعارضون تقديم مساعدات عسكرية من هذا النوع إلى إيران، بسبب طبيعة النظام الإيراني، وموقفه من مسألة حقوق الإنسان، وتمشياً مع مبدأ عدم تشجيع عوامل استمرار الحروب.

كانت وجهة نظر «طبطبائي» أن هذه الأغطية هي من مسؤولية شركة «درايكوت» التي ينبغي أن تقوم بإيجاد أساليب مناسبة لتضليل الجهات السويسرية في محطات الشحن، والحرص على عدم إرسال السلاح إلى إيران مباشرة، واعتماد مراكز توقف في طريقي الشحن البحري والجوي. . وقد استجاب «هانز ألبرت كونز» صاحب شركة «درايكوت» إلى طبطبائي، بعد أن اطمأن إلى قدرته على تقديم ضمانات مالية للصفقة والدفع الفوري من حساب موضوع باسمه في أحد بنوك جنيف.

منذ شهر نيسان «أبريل» ١٩٨١ حين أدار طبطبائي المحادثات الأولى مع الشركة، تابع دلال السلاح «ستيفانو دليجسياني» ترتيب أهم صفقة إسرائيلية مع إيران بتزويدها بدبابات روسية الصنع كانت قد غنمتها خلال غزو لبنان، وذلك بعد أكثر من عام من بدء الاتصالات في فندق «بريز دنت» بمدينة جنيف، وقد كشف مسعود رجوي زعيم منظمة مجاهدي خلق الإيرانية لصحيفة الأنباء الكويتية في ١٩٨٤/٨/٣ عن اسم الشركة المعروف بـ «Draycott Trading Finance Ltd» ومقرها في «فريبورغ»، وهي الشركة نفسها التي أدارت عمليات تسويق النفط الإيراني إلى إسرائيل بسعر ٢٦ ـ ٢٧ دولار للبرميل الواحد مقابل عمولة بلغت خمسة دولارات وهي من أعلى النسب التي حصل عليها دلالو النفط في السوق العالمية.

على أن الضجة التي بدأت حول تورط سماسرة وشركات سويسرية في توريد السلاح إلى إيران. لم تهدأ، وأصبحت تعرف بفضيحة «بيلاتوس غيث» بعد افتضاح عقد صفقةٍ لبيع طائرات من نوع «٧.بي.سي» «P. C. 7» إلى إيران، وهي طائرات من طرازين مدني

وعسكري، وتعتبر من فصيلة الطائرات المروحية، وتسمى المدنية منها بـ «طائرة سياحية»، ولكنها في الحقيقة قابلة لكي تحور فتكون قادرة على الأداء العسكري، ولذلك سعت إيران إلى شرائها لمهاجمة القرى الكردية وسكانها المدنيين. . وأمر هذه الطائرات يختلف عن ما جرى من صفقات إسرائيلية على أرض الجمهورية الاتحادية المحايدة، وبالذات قرب بحيرة «ليمان» التي لا يشبع الإنسان من تمضية أيام العمر على ضفتها. لأنها كما يردد طبطبائي ــ الحريص على صحته ووسامته ــ أكثر مكان في العالم يطول عمر الإنسان فيه أذا ما استنشق كثيراً من هوائه!

● ● ●

بعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ كان تجار إيرانيون يهود، وعناصر من السافاك، قد عادوا ليعملوا بصورة منتظمة كعناصر اتصال متنقلة بين طهران وتل أبيب وعبر أوروبا. . وفي كل مرة يتوجهون فيها إلى تل أبيب يكون برفقتهم وفد عسكري إيراني يضم بين أعضائه عناصر من الحرس الإيراني مزودين بتعليمات من محسن رضائي قائد الحرس للحصول على الاحتياجات العاجلة لقواته. .

وقد أكدت سلسلة من الوقائع أن ضباطاً كباراً من مسؤولي «السافاك» جهاز المعلومات والقمع السري الذي أسسه الشاه، عادوا للعمل في جهاز بديل أسسه النظام الجديد وعرف باسم «الساواما»، ولعبوا أدواراً أساسية في إدارة العمليات ضد الدول المجاورة، وترتيب صفقات السلاح السرية مع إسرائيل، ومنهم رئيس الجهاز الجديد «حسين فردوست» الذين كان من أقرب أصدقاء الشاه ومساعديه، وعلى محمد كاوة الذي انتقل من مسؤولية إحدى الإدارات في «السافاك» ليكون الشخص الثاني في الجهاز الجديد، وأقارب الجنرال «ناصر مقدم» رئيس السافاك الأسبق الذي أعدم بعد سقوط الشاه.

وانتقل يهود إيرانيون من إيران إلى إسرائيل حفاظاً عليهم من أفعال عفوية غير منضبطة يمكن أن يقوم بها ضدهم الجمهور العادي، وليساعدوا حسب اختصاصاتهم في إدارة العلاقات السرية التي تحتاج إلى خبرة أشخاص إيرانيين يعملون تحت أمرة الأجهزة الإسرائيلية التي تدير عمليات واسعة لصالح إيران.

• • •

في وقت لاحق جرى رصد عملية نقل كمية كبيرة من السلاح من سويسرا إلى إيران ، ما يزال الاعتقاد حتى الآن أنه كان سلاحاً إسرائيلياً جرى الاتفاق عليه بعد اتصالات توسطت فيها جهات دبلوماسية سويسرية، وقد تم إرسال برقية من سويسرا إلى السفارة الإيرانية في لندن لطلب دفع مبلغ «٤٥» مليون فرنك عن حساب تلك الصفقة، فأبرقت السفارة بتاريخ ١٩٨١/٦/٢١ عبر «بانك ميلي» في لندن لتحويل مبلغ مليون دولار إلى بانك «كريدت سويس» في زيورخ. واكتملت الاتصالات بين زيوريخ ولندن دون أن تتمكن السفارة الإيرانية في بيرن والممثلية الرسمية في جنيف من معرفة أي شيء عنها، وانحصرت الاتصالات مع العقيد «شهيدي» الذي كان موجوداً في لندن إلى جانب الرائد حسن مقدم من القوة الجوية والعقيد «كيوان» وحجة الإسلام «حسن روحاني» مسؤول الدائرة العقائدية في الجيش، ومشاركة محدودة للدكتور مخلصي الذي عين آنذاك سفيراً لإيران في العاصمة الكوبية هافانا.

ودلت أعمال رصد قام بها إيرانيون وأوروبيون، أن اسم الشركة في زيورخ يدعى «Zug»، ويقع مقرها على بعد خمسة عشر ميلاً من

المدينة، وقد جرى التحويل باسم مديرها «اندراس جيني» «Andras Genni» الذي يستخدم الهاتف المرقم «١٨٣٣ ـ ٧١٣» في زيورخ، ويتخذ من البروفسور الإيراني «علي ذاقيان» ـ الذي يعيش في لوزان ـ جسراً للاتصالات مع الجانب الإيراني.

بينما قام طيارون سويسريون بقيادة طائرات من نوع «P.C.7» وعددها «٢٤» لتسلم إلى إيران بعد جهود طويلة بذلتها شركة «Setti» التي توكلت منذ الأسبوع الأول للحرب العراقية الإيرانية ترتيب صفقات السلاح بين إسرائيل وإيران..

• • •

تم تأسيس مكاتب تجارية وهمية وحقيقية لتغطية العلاقات المتنامية بين الطرفين، واتخذت هذه المكاتب مقرات لها في تل أبيب وفروعاً في لندن وباريس. وكان على رأس واحدة منها أحد أعز أصدقاء الشاه السابقين هو «جاكوب نمرودي»، الذي تصور أصدقاؤه أنه سيموت من الحزن تأثراً على سقوط الشاه ولم يتخيلوا إمكانية أن يمد يده لأعداء الشاه ويعاونهم على تقوية نظامهم الجديد.. ولكنه فعل.. فعواطفه نحو الشاه لم تكن ساذجة بل كانت جزءاً من اهتمامه بإيران ومعرفته بأهمية هذا البلد للمصالح الإسرائيلية، ولذلك فعل كل ما تيسر له لإقناع الشاه بعقد صفقة رشاشات «عوزي» الشهيرة التي جرى تمويل إحدى مراحل تطويرها بأموال إيرانية. وهي رشاش قصير، عيار تسعة ملمترات، وزنه «٣,٥» كلغم وطوله الكلي «٦٣» سم ومداه المؤثر «٢٠٠» متر ويتسع مخزنه لـ «٢٥» طلقة فقط.

وقد لا يدري حراس الثورة «الباسدران» الذي تسلحوا برشاشات

«عوزي» وأعجبوا بها، أن إيران اشتركت في تمويل مشروع لتطوير هذه الرشاشات جرى التوصل إليه عام ١٩٦٦ بعد زيارة سرية قام عزرا وايزمان إلى طهران ضمن عدة اتفاقات للتعاون العسكري والأمني توصل إليها بعد اجتماعاته مع الشاه وكبار الضباط الإيرانيين. ويقال أن الخميني عندما عرف بحقيقة التمويل الإيراني لإنتاج رشاشات «عوزي» أبلغ عدداً من أعضاء مجلس الدفاع الأعلى بحضور حجة الإسلام رافسنجاني ممثله في المجلس: «من حقنا أن نعتمد على سلاح دفعنا فيه من أموال الشعب.. ومن الحق أن نتذكر أن هذه الرشاشات صنعت بأموالنا.. ولا يهمنا من صنعها». ومنذ ذلك الحين لم يتردد محسن رضائي قائد الحرس الثوري والعضو السابق في حزب «انقلاب إسلامي»، من نقل تفسير «الإمام» وتبريره إلى أعضاء الحرس، الذين استمر اعتمادهم على هذه الرشاشة كسلاح رئيسي طوال سنوات الحرب مع العراق.. فلم يترددوا من الظهور بها في شوارع المدن الإيرانية والتقاط الصور التذكارية إلى جانبها بعدسات المراسلين الأجانب، الذين وجدوا فيها واحدة من «مفارقات الثورة».

على مدى عشر سنوات كان أقرب إسرائيلي إلى الشاه هو نمرودي، الذي يحمل صفة ملحق عسكري إسرائيلي في طهران، بينما تولى في الحقيقة نشاط «الموساد»، وكان يعتقد أن الشاه على وشك السقوط، معتمداً على معلوماته المستقاة من علاقاته مع معارضة الشاه، ومعرفته بما يلقونه من دعم أميركي غير مباشر، في وقت كان الأميركان قد اتخذوا فيه موقفاً لا مبالياً إزاء مشهد السقوط الشاهنشاهي.

ومن المناسب معرفة الطريقة التي تدير بها «الموساد» أعمالها..

ففي أكثر الظروف آماناً، وحتى داخل إسرائيل، تلجأ إلى أساليب التعمية والتضليل وإيجاد الأغطية، وما يعرف بلغة المخابرات بالمراكز غير الشرعية في الخارج «ومشاريع الغطاء» في الداخل.. بحيث لا يجري الاستسلام في «الظروف الآمنة»، ويُترك الضباط المكلفون بمهمات حساسة للعمل دون أغطية تبعد عنهم الشبهات. وقد حصل هذا الأمر مع العقيد يعقوب نمرودي «وكان يسمي نفسه عند بعض الإيرانيين الجنرال.. أو الجنرال المتقاعد».. فمنذ مجيء السلطة الجديدة إلى إيران جرى في إسرائيل البحث عن شخصية خبيرة بالشؤون الإيرانية، عاشت أوضاع البلاد وكانت على صلة برجالات المؤسسة الدينية.. شخصية تعرف كل صغيرة عن ثقافة الإيرانيين ولغتهم وعاداتهم. ولم يكن هناك من هو أكثر مثالية لتمثيل هذه الخصائص أكثر من نمرودي، فهو ضابط ورجل مخابرات محترف، وخبير متألق في شؤون إيران، ومن أوائل الأشخاص الذين توقعوا سقوط الشاه وصعود رجال الدين إلى السلطة، فاقترب منهم في وقت مبكر.. واحتفظ بصداقات نادرة مع ضباط ورجال دين وتكنو قراط استمروا مع السلطة الجديدة. وهكذا استدعي من قبل رئيس «الموساد» الذي جرى التحفظ على اسمه، وحضر لقاء التكليف السري الجنرال «ساغي» من الاستخبارات العسكرية، فأدرك عندئذ أن أكثر من طرف أمني في إسرائيل سينتظر نتائج عمله.. وقيل له: «أنت الآن محال على التقاعد.. لا بأس من بث عبارات التذمر.. أو التظاهر بأنك تبحث عن عمل».. حدث ذلك بعد شهرين من سقوط الشاه.. وسمع منه معارفه عبارات الاستياء والتذمر، حيث لم يبق له من جهود سنوات طويلة في الخدمة سوى راتب تقاعدي يعادل بالكاد «٣٠٠» دولار. لذلك اتصل بأحد المهندسين الإسرائيليين، وفاتحه بإمكانية تأسيس مشروع لتحلية المياه في «تل أبيب». لم يكن

ذلك المهندس سوى وكيل سري في الموساد تظاهر بانه يدخل مفاوضات شائكة مع «نمرودي» لتأسيس الشركة.. وبالفعل جرى الاتفاق أمام معارفهما واتخذا مكتباً للشركة في شارع «بن جفيرور» بتل أبيب.. وهكذا ابتدأ «نمرودي» عمله..

إن إيران عنده هي الهم الشاغل، لذلك لم يفارقه حدث إيراني، وظل على اتصال بالموضوعات الإيرانية، حتى وجد له دوراً في مهمات التسليح الإسرائيلي لإيران، واستطاع أن يدير واحدة من أهم الصفقات عام ١٩٨٢، وسافر عدة مرات إلى طهران والتقى مع كبار ضباط الأركان وقائد القوات البرية صياد شيرازي وممثلين عن الحرس.

كان يرى أن الآخرين قد تخلوا عن إيران، ولا يجب على إسرائيل أن تفعل مثلهم. لذلك تعلم الأسماء الجديدة لعصبة الملالي، وعرف الحياة الخاصة لقادة الحرس، وحفظ عن ظهر قلب الحكايات التي تسرهم عندما يحادثهم بلغته الفارسية الطليقة بعد أن كان قد أجاد من قبل معرفة الأسماء الامبراطورية، وقلد أسلوب حياة الأمراء وأفراد العائلة المالكة وكبار الجنرالات.

وعندما شاهده عسكري إيراني كان على معرفة به أيام الشاه، ينزل من سيارته ليدخل فيلا كبيرة في لندن من دون ربطة عنق. كان متأكداً أن «نمرودي» في طريقه للاجتماع بوفد إيراني، ولذلك حرص على عدم وضع ربطة العنق. فما أدقه في مسايرة مجاليسه والتصرف بما يحلو لهم.. ففي رأسه هدف كبير أثمن من كل ربطات الأعناق!

• • •

وبينما كانت الوفود الإيرانية تواصل زياراتها إلى «تل أبيب»، ومستشارون إسرائيليون يذهبون بصورة فردية إلى طهران، وتطورت العلاقة لإقامة رحلات جوية مباشرة، رصدت منظمة المجاهدين إحداها في تشرين أول «أكتوبر» ١٩٨٤ كما ورد في بياناتها. . كان قد تكون رأيان مختلفان لدى الإدارة الإسرائيلية مع استمرار الحرب سنة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة بين العراق وإيران. . فبينما طلبت إدارة «الموساد» إخفاء أية معلومات عن العلاقة مع إيران للحفاظ على «الصداقات الجديدة» التي نشأت في إيران، ولمنع وضع القيادة الإيرانية في إحراج سياسي ومعنوي أمام الإيرانيين وأمام شعوب المنطقة، خاصة وأن المؤسسة الإيرانية الحاكمة تتخذ من الدين صفة وغطاء لها. . وتمسك «السريون» الإسرائيليون بفكرة: أقل المعلومات يعني أقل الخسائر فقد وجدت زعامة الليكود أيام «مناحيم بيغن» أن الإعلان عن العلاقة مع إيران، والسماح بتسرب بعض المعلومات هو أمر غير ضار بالمصالح الإسرائيلية، لأنه يؤكد على وجود «دور دائم لإسرائيل في الأحداث الساخنة بالمنطقة»، ويبقي لها صورة قوة محلية مؤثرة في أي نزاع مسلح يندلع فيها إلى جانب النزاع العربي ــ الصهيوني، بينما اندفع أرييل شارون إلى أبعد من ذلك، ودعا إلى إعلان تحالفات جديدة في المنطقة، وإفهام العرب علانية أنهم بين المطرقة والسندان. . وقد اعتمد هذا التوجه وواصله إسحاق شامير بعد استلام رئاسة الوزارة، الذي تحدث صراحة عن «المصالح الإسرائيلية المباشرة في حرب الخليج وإمكانية التدخل للدفاع عنها «تصريح حزيران ١٩٨٤»، واختلف الأمر من حيث الشكل مع حكومة «شمعون بيريز» الذي كان أقرب إلى مطالب الأجهزة السرية الإسرائيلية في حجب المعلومات ومنع تسربها.

□ عودة إلى أيام سابقة:

تكررت مرات عديدة «مداعبة مرة» إذ يفتح عمال الموانىء والمطارات الإيرانية وموظفو مخازن العتاد صناديق السلاح الذي اشتراه أعضاء لجان لجنة المشتريات العسكرية وسماسرة السلاح والتجار الإيرانيون المنتشرون في أوروبا.. فإذا بها مليئة بقطع من حديد أصم، أو أشكال بلاستيكية على شكل لعب أطفال، أو خردة المعادن التي تخلفها المعامل كفضلات، ولم يتم اكتشاف مخادعة من هذا النوع إلا مرة واحدة بجهود سلطات أوروبية كما حصل مع الدكتور بهنام نجومي في لندن عام ١٩٨١ فقد اتصل دبلوماسيون إيرانيون مع مندوبين قادمين من إيران بالدكتور نجومي الذي كان قبل سقوط الشاه مدرساً في إحدى المدارس التابعة للسافاك، ثم هرب إلى لندن ليتخذ له مكتباً في منطقة «الماي فير» بقلب العاصمة، وبالذات في بناية «كروفنز هاوس» المقابلة لحديقة «الهايد بارك».. ويستخدم معه اثنين من الرجال البريطانيين ذووي الجثث الضخمة والملفات السرية الحافلة بالمتاعب، إذ كان يعد نفسه لمهمات أكبر من الإطار الذي وضعه لمكتبه التجاري.. فقد وجد في اتصال الرسميين الإيرانيين به فرصة نادرة لتصفية حسابات عالقة.. وأصبح بعد ليلتين رفيقاً للعسكريين والدبلوماسيين الإيرانيين يتنقل بهم من ملهى إلى آخر، وإذا اشتهى أحدهم فنجان قهوة أخذه إلى أقرب نادي قمار في منطقة «الماي فير»، بعد ثلاثة أسابيع شعر نجومي أن أصدقاءه الإيرانيين الجدد أصبحوا مهيئين لاستيعاب الضربة التي أعدها لهم، فجمعهم بشقة في منطقة «اجوارد روود» «Edward Rd»، وطلب إليهم أن يوقعوا على وثائق الصفقة التي كان يفترض أن تشحن من أحد الموانىء البلجيكية.. وهنا تململوا بين القبول والرفض، بين الرشاوي

التي قدمها لهم، والتهديد الذي رافقها لكي ترسل قطع حديدية وخردة معادن بدلاً من المعدات العسكرية التي جرى الاتفاق عليها في الأساس، ولولا خطأ اعتماد نجومي على سائق بريطاني كان يشك بما يدور، لما تمكنت السلطات البريطانية من اقتحام الشقة وإنهاء صفقة كادت تتم تحت تخدير الرشوة والملذات التي أسقطهم فيها نجومي، وهم يفاوضونه لتسهيل شراء أسلحة من إسرائيل اعتماداً على صداقاته القديمة التي أسسها منذ كان عضواً نشيطاً في السافاك.

ولكن كل شيء أفسد.. وأحيل نجومي إلى المحكمة بتهمة التهديد بالسلاح والاختطاف والقيام بإجراءات غير قانونية، فكتب على زوجتيه أن تنتظرا عشرين عاماً قبل أن يستعيد حريته مرة ثانية!

أما أشهر السرقات فقد ارتبطت بتاجر السلاح الإيراني «أحمد حيدري»، الصديق الشخصي لآية الله بهشتي، والمساعد الموثوق لوزير الدفاع القتيل جواد فاخوري، والعنصر المجتهد الذي اعتمد عليه آية الله منتظري، واختلف معه رافسنجاني، بسبب ما خاضه من صراع مع قريب لرافسنجاني أصبح وزيراً للحرس هو محسن رفيق دوست، الذي كان يتولى عقد صفقات السلاح بعيداً عن حيدري، فإذا بهما قد دخلا إلى أجواء التنافس للاستحواذ على الأرباح والعملات.

لكن السؤال الذي ظل محيراً ويلاحق حيدري، هل أنت معهم أم ضدهم..؟.. أم أنك لص دولي محترف تسرق من أعز أصدقائك حين تكتمل شروط السرقة وتتعامل مع أشخاص مغفلين يسهل الضحك عليهم..؟

كانت ليال من الرعب قد مرت على أحمد حيدري وهو يئن في

أحد مراكز الاعتقال الجماعية بمدينة طهران في ربيع ١٩٧٩، بعد مجيء السلطة الجديدة إلى الحكم، رجال الحرس يأتوا كل فجر، يلتقطون خمسة من المعتقلين بطريقة تبدو عشوائية. ليذهبوا بهم إلى ساحة إعدام مجاورة للزنزانات الرطبة التي افترشوا أرضها.. كان يمكن أن يكون أحد المعدومين، لم يكن هناك ما يمنع، حتى المحاولات التي أجراها أصدقاؤه مع وزارة الدفاع كانت تتم بعيداً عن معتقله.. فإيران بحاجة إلى تجار سلاح يبدأون عملهم فوراً.. ولا بد أن «أحمد حيدري» هو شخص مثالي لذلك، يعرف زملاء أوروبيين وإسرائيليين وأميركان، ويستطيع أن يتفق على مواعيد معهم بمجرد خروجه من السجن، وحين بلغ الأمر بهشتي الذي كان أقوى رجل في إيران آنذاك، أصدر أوامره إلى وزير الدفاع لمقابلة شخص سيطلق سراحه خلال ساعة؟. ولم يتوقع أحد أن يغفر «حيدري» لجلاديه ما فعلوه به..

اجتمع إلى الجنرال «فاريفار» «Farivar» مدير المشتريات والتجهيزات العسكرية آنذاك، واستلم تعليمات محددة بالانتقال فوراً خارج إيران، والتحرك لعقد صفقات بحدود «٢٠٠» مليون دولار قابلة للزيادة إذا عثر على مواد عسكرية حيوية، على أن يتصل بطهران، لاستحصال موافقة بذلك. وخرج من مكتب «فاريفار» ليتوجه إلى مقر الحزب الجمهوري الإسلامي، ويجتمع مع بهشتي الذي بارك عمله، وأعطاه تعليمات لم يكن لتعرف لولا افتضاح أسرار الحسابات السرية المودعة باسم بهشتي في بنوك سويسرا، والتي استخدم جزء منها في شراء أسلحة من إسرائيل..

في اليوم التالي عاد إلى وزارة الدفاع وأجرى اتصالات هاتفية

سريعة لترتيب بعض المواعيد قبل سفره، لكنه فوجىء قبل مغادرة الوزارة بمكالمة هاتفية من السفارة الإسرائيلية في باريس.

ـ مسيو «حيدري».

ـ مسيو ألون..

بدا من لغة التخاطب أنهما يعرفان بعضهما، «حيدري» تاجر سلاح دولي يعرف أوربيين وعرباً وإسرائيليين وأميركان، أما المتحدث الآخر على الهاتف فهو «زوي ألون» رجل الموساد في السفارة الإسرائيلية بباريس. وقد عرض عليه خلال المكالمة أن يأتي إلى باريس فوراً للتباحث مع شركة «Setti» التي ورد اسمها في معظم صفقات السلاح الإسرائيلي لإيران كوسيط للتغطية.

في باريس، جرى التباحث حول إرسال «٢٥٠» إطار لطائرات الفانتوم، واحتوت قائمة «حيدري» أيضاً على «قنابل، موتور، اطلاقات، مدافع، قطع غيار..». بينما كان «ألون» قد جهز لشركة «Setti» معدات عسكرية بزنة «٢٠» طن تبلغ قيمتها «٦٠٠» مليون دولار، وترك لها أن ترتب شحن ما يختاره حيدري منها مع مندوب رسمي آخر التحق بباريس. في تلك الفترة كان يتحدث كل يوم مع مكتب بهشتي، ومع جواد فاخوري قائد القوات الجوية. ووزير الدفاع.

بعد مباحثات طويلة اتفق مندوب «Setti» و«ألون» و«حيدري» على نقل جانب من المفاوضات إلى لشبونة. لأنها كما يعتقد «حيدري»: منطقة محايدة لا يتوقع أحد أن تجري فيها إسرائيل محادثات سرية. وهو الأمر نفسه الذي كان الإسرائيليون يحتاجون إليه ويشعرون به آنذاك. وفي لشبونة اتصل حيدري مع «لويس سوير» «Luis Soyer» وهو من

الوسطاء المعروفين في سوق السلاح الأوروبي، الذي مهد له لقاء مع شـركـة «Explosives DA Trafaria» المعروفة بـالاسم الـرمـزي «S.A.R.L» وكانت مهمة الشركة والوسيط البرتغالي، المساعـدة في ترتيب النقل الجوي فقط، بحيث تصل طائرة «العال» من تل أبيب إلى لشبونة بالسلاح، فيجري تحويله إلى طائرة تابعة إلى الخطوط الإيرانية تكون في الانتظار بمطار لشبونة لتطير به إلى طهران.

بينما كان ذلك يتم بطريقة بدت للجميع مكتومة وجادة، ترك حيدري لوسيط السلاح السوري «أحمد سراقبي» أن يتابع في باريس مهمة أخرى تتصل بالنوايا الفعلية لـ «حيدري» الذي لم يضع البيض كله في سلة واحدة. ورغم أن سراقبي شخص انحدر من أصول تختلف عن أصول «حيدري» لكنهما التقيا على هدف مشترك ومصلحة واحدة.

ولد «أحمد سراقبي في دمشق وقد عمل في التجارة حتى تزوج بعد فترة من الزمن ابنة السيد صبحي الشوربجي أحد أشهـر الأثريـاء السوريين، وبذلك ربطته صلة قرابة مع وزير الدفاع اللبناني الأسبق «الياس سابا» الذي كـان متزوجـاً من ابنة الشـوربجي الأخرى.. واتسعت أعماله واتصالاته بتجار السلاح في أوروبا وأميركا اللاتينية، وتولى أعمال الشحن البحري لصفقات سلاح. اتجه بعضها إلى عواصم عربية.

ويبدو أن حيدري طلب من السراقبي أن يتدبر ترتيب الأوراق الأصولية التي تقنع السفارة الإيرانية بباريس أن كل شيء سليم. وطار هو إلى لشبونة وأتم هنالك شحن الوجبة الأولى من السلاح الإسرائيلي إلى إيران، بينما جرى خلال ذلك تحويل مبلغ «٥٦» مليون دولار من

بنك «بانك ملي» إلى بنك البحر الأبيض المتوسط الذي يملكه اللبناني «جوزيف عبده الخوري»، وجرت المعاملات لحساب شركة «يونيفرسال» التي يملكها السراقبي. واحتفظ بالمبلغ في بنك البحر الأبيض المتوسط أسبوعاً كاملاً قبل أن يتقرر صرفه إلى الشركة مقابل شحن كمية أخرى من السلاح من مرفأ «ريود يجانيرو».. وعندها كان «حيدري» قد عاد إلى باريس، فذهب مع «سراقبي» إلى السفارة الإيرانية وحصلا على أوراق التحويل المالي على أساس أن كل شيء تم حسب الاتفاق.

ويبدو أن «حيدري» لم يشأ أن يلعب مع إسرائيليين، فأكمل شحن سلاحهم، وعاد إلى باريس ليلعب مع أصدقائه وأقاربه في طهران لعبة مغرية.

كان يفترض أن تبحر السفينة «سيد كاست» نحو مضيق هرمز لتفرغ حمولتها في ميناء «بندر عباس».. لكن باخرة بذلك الاسم لم تصل.. «لويدز» شركة التأمين البحري البريطانية قالت: أن اسم الباخرة تغير وهي في البحر. «السراقبي» نقل الأموال خارج فرنسا. وحيدري ذهب إلى جنيف. ثم اختفى.. وظلت السلطات الإيرانية تبحث عن مبلغ الـ «٥٦» مليون دولار التي ابتلعها.. البحر.

تصرف «السراقبي» بثقة وذكاء.. عندما راجعوا حساباته وجدوا أن فيها عجزاً قدره «٥٠» ألف دولار. لم يختف كما فعل حيدري. ظل يتنقل من فندق «جورج الخامس» بباريس إلى لندن وجنيف. وأغرى بعض الصحفيين العرب بأموال بسيطة ليكتبوا تقارير عن العملية تبرأ فيها ساحته من التهم، بينما ثارت الضجة في أوساط القضاء الفرنسي.

ولم يعرف ما حل بالبقية الباقية من السلاح الإسرائيلي «Recoilless Riffes» الذي شحن منه «١٠٠» قطعة من أصل «٢٥٠» كان يفترض أن تشحن جواً عن طريق لشبونة. وهنا أسرع الإسرائيليون والإيرانيون للاتصال بتاجر السلاح البريطاني الشهير «Ian Smolley» «إيان سمولي» ولم يتم الاتفاق معه.. فتم العثور على تاجر سلاح مغامر من مدينة «كلاسكو» الاسكتلندية.. اسمه «ستيوارت مكفرتي»..

آنذاك كان «فاريفار» مدير المشتريات والتجهيزات في وزارة الدفاع الإيرانية قد طرد من منصبه بتهمة التواطؤ مع حيدري، وذلك في نيسان ١٩٨١ لكن القصة لم تنته.. فبينما تصور البعض أن أيام حيدري أصبحت معدودة. عاد هو للظهور والتقى مع برنامج تلفزيوني بريطاني. وبعد أيام خاطب آيةِ الله بهشتي شباناً متحمسين تجمعوا في طهران: إن «حيدري» كان يخدم بلاده. ولا يجوز توجيه التهم إلى رجل وطني أدى واجباته على أحسن ما يرام!

□ □ □



ونستون تشرتشل Winston Churchill «الحفيد» سياسي بريطاني له كتاب «حرب الايام الستة» مؤيد لاسرائيل حفيد رئيس الوزراء البريطاني في الحرب العالمية الثانية كان عضوا عن حزب المحافظين في مجلس العموم . اسهم في التمهيد الاعلامي والسياسي للغارة على مفاعل تموز
الفصل الخامس



ثريا خاشقجي «ساندرا جايفيس دارلي» مطلقة البليونير عدنان خاشقجي وعشيقة السياسي البريطاني «ونستون تشرتشل» . الحفيد . الفصل الخامس



جودي باول Jody Powal السكرتير الصحفي للرئيس الاميركي السابق جيمي كارتر
الفصل ، الفصل الحادي عشر



اسرائيل شاهاك بروفيسور اسرائيلي . له مواقف معلنة ضد سياسات اسرائيل . اول من نبه الى اهتمامات اسرائيل بمنطقة الخليج
الفصل «الاول»



ابو الحسن بني صدر اول رئيس جمهورية في ايران . ولد بمدينة همدان، ١٩٣٢ . درس في فرنسا اقيل من منصبه حزيران «يونيو» ١٩٨١ ثم هرب الى فرنسا حيث يقيم الآن

الفصل الـ[illegible]



محمد غرضي وزير نفط في حكومة حسين موسوي . سبق ان عمل في مساعدة لاجوردي المسؤول عن سجن ايفين اسهم في اعادة ترتيب العلاقات بين ايران وجنوب افريقيا واجرى اتصالات سرية

الفصل السابع



ديفيد كيمحي مدير عام وزارة الخارجية الاسرائيلية . نائب سابق لمدير الموساد . لعب دوراً في العلاقات السرية بين اسرائيل وايران . الفصل السابع



صاموئيل دو - رئيس ليبريا . الى جانب مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي الأسبق . الصورة في القدس . الفصل السابع



جوزيف عبدة خوري   صاحب بنك المتوسط في فرنسا الذي اودعت فيه مبالغ لعقد صفقات سرية لايران .

معه في الصورة فيكتور خوري رئيس [illegible] اللبنا[illegible]



سيد كريم   مغني ومنلوجست ايراني ، مقيم في لندن . زار اسرائيل ،

الفصل العاشر



جورج هودل صحفي سويسري ، كشف عن حسابات سرية ايرانية لشراء السلاح ، الفصل ال «السادس عشر»



جون زيكلر كاتب سويسري ، له كتاب «سويسرا التي لا يرقى اليها الشك» ، الفصل السادس عشر



احمد حيدري ، تاجر سلاح ايراني ، اتهم
ﺑ ٥٦٠ مليون دولار . عقد صفقات
بحيى في اوربا . الفصل



كارلوس دي ميلو تاجر سلاح دولي .
اتهمه القضاء الاميركي بتدبير صفقات
سرية لايران 1981



العالم المصري ، الدكتور يحيى المشد ، صورته كما كانت في جواز سفره ، قتل بباريس ١٩٨٠ ، الفصل الرابع



داميان شوسيه فني فرنسي قتل خلال الغارة الاسرائيلية على مفاعل «تموز» العراقي ٧، حزيران ١٩٨١ الفصل الرابع



صادق طبطبائي ولد في «قم» ١٩٤٣ ، درس في المانيا الغربية ، لديه شهادة دكتوراه في الكيمياء ، شقيقته متزوجة من أحمد الخميني ، وزير دولة ، ثم نائب رئيس وزراء في حكومة مهدي بازركان ، اعتقل في المانيا متلبساً بتهريب المخدرات عام ١٩٨٣ ، موجود في ايران حالياً ، الفصول الفصل التاسع والسادس عشر



محمد بهشتي «آية الله» ، ولد باصفهان ، قتل حين كان رئيساً للحزب الجمهوري الاسلامي الايراني «٢٩» حزيران «يونيو» ١٩٨١ ، درس في فرنسا ، وعمل في مدينة هامبورغ بالمانيا الغربية بين ١٩٦٤ ١٩٦٩ اصبح رئيساً لمجلس الخبراء في ايران «آب «اغسطس» ١٩٧٩ ، اودع اموالاً باسمه في بنوك سويسرية لشراء سلاح من اسرائيل . الفصل «السادس عشر»



جواد فاكوري ولد بتبريز ١٩٣٩
درس في المانيا واميركا ، وزير دفاع بين
١٩٨٠/٩/٧٠ و ١٩٨٠/٨/١٣، اصدر
اوامره الى احمد حيدري للاتصال
بالاسرائيلين قتل في حادث سقوط طائرة
النقل العسكرية الايرانية يوم ١٩٨١/٩/٢٨
ـن قائداً لسلاح الطيران ،
ـل «السادس عشر»



موسى نامجو . «عقيد» ولد في مدينة «انزلي»
الايرانية عام ١٩٣٨ كان ممثلاً لخميني في
مجلس الدفاع الاعلى الايراني ثم اصبح وزيراً
للدفاع
قتل عند سقوط طائرة نقل عسكرية يوم
١٩٨١/٩/٢٨ بعد ان عمل كوزير لمدة «٤٥»
يوماً



ولي الله فلاحي ، ولد بمدينة طالقان
١٩٣١ ، عين قائداً للقوات البرية ، ثم رئيساً
للاركان في ١٩٨١/٦/١٢ قتل في
١٩٨١/٩/٢٨ عند سقوط طائرة نقل عسكرية
ايرانية جنوب ايران

مصـــادر

جرت مراجعتها عند إعداد الكتاب

□ المراجع الأجنبية:

(1) Mc-CAN «NOST RANDAMUS», The Man Who Saw T ough Time. Cranada-1981.

(2) FLEDMAN-SHAI', «IŞRAELI NUCLEAR DETERRENCE», Strategy fo th 1980's' University Press — New York, 1982.

(3) PERLMUTTER-Amos, and oth s — «TWO MINUTES OVER BAGHDAD», Vallentine, Mitchell Co. L + d, London, 1982.

(4) CLARK-Roland. W. , «THE CREATEST POWER ON EARTH», «The Story of Nuclear Fission» Sidgwick and Jackson Ltd. 1980. U. K.

(5) COPELAND- Miles, «THE REAL SPY WORLD», Weiden feld and Nicolson. London-1974.

(6) AGEE, Philip LOUIS, Wolf, «DIRTY WORK», C. I. Publications, Inc, 1978.

(7) BULLOCH, Jhon, «FINAL CONFLICT», «The War in The Lebanon» Century Publishing-1983.

(8) ERDMAN, Paul, «THE CRASH OF, 79» — 1977.

(9) DREYFUSS Ropert, «HOSTAGE TO KHOMAINI» — Published by New Benjiamin Franklin publishing House Co. New York 1980.

(10) Hackett, General Sir Jhon, and others, «THE THIRD WORLD WAR», Sphere. Books limited-London 1979.

□ المراجع العربية:

(١) أبو مغلي (الدكتور محمد وصفي): دليل الشخصيات الإيرانية المعاصرة، مركز دراسات الخليج العربي في جامعة [illegible]ـرة ـ ١٩٨٣

(٢) صفوة (نجدة فتحي): وزارة الخارجية الإسرائيلية وكيف تعمل، سلسلة دراسات فلسطينية، بغداد ـ ١٩٨٢

(٣) ايزنبرغ (دنيس)، لاندو (إيلي)، دان (أوري) ـ الموساد جهاز المخابرات الإسرائيلية السري ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ودار الجليل للنشر ـ الطبعة الأولى ١٩٨١

(٤) السيد (الدكتور رشاد عارف يوسف السيد) ـ الغارة الإسرائيلية على الفاعل النووي العراقي، عمان ـ ١٩٨٢

(٥) مروة (يوسف) ـ أخطار التقدم العلمي في إسرائيل ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث، بيروت، آب (اغسطس) [illegible] ١٩[illegible]

(٦) مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ ملف (أم [illegible] الثمانينات) ـ تاريخ الطبع غير مذكور ـ مقدمة الكتاب [illegible] حزيران (يونيو) ١٩٨٠

□ أعداد من صحف بريطانية جرت مراجعتها:

— Financial Times: 12.4. 1981.
— The Observer: 23.8.1981.
— Financial Times: 10.6.1981.
— The Sunday Times: 4.7.1982.
— The Daily Telegraph: 23.6.1981.
— The Times: 23.6.1981.

□ □ □

المحتـوى